دراسات فى

جغرافية الانسان

الجماعات البدائية

يسرى الجوهرى

نائب رئيس جامعة المنيا "السابق"
رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة المنيا

١٩٩٧

الناشر

مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع: المنتزة، أبراج مصر للتعمير رقم ١١ ☎ ٥٤٧٥٤٩١
المطابع: المعمورة البلد - بحرى - شارع ٣٦٨ ☎ ٥٦٠٠١٣٩ إسكندرية

مقدمة

يرجع اهتمامى بدراسة الانسان إلى فترة تزيد على عشرين عاماً حينما كنت أشغل وظيفة محاضر للجغرافيا التاريخية بجامعة الاسكندرية وألفت فى عام ١٩٦٥ كتاباً تحت عنوان « السلالات البشرية » حاولت فيه مخلصاً أن اسير على درب استاذى الدكتور محمد السيد غلاب وأكمل فيه ما قدمه فى تطور الجنس البشرى و « البيئة والمجتمع » . ومنذ ذلك الوقت انكببت للتعرف على جوانب الانسانية فى الانسان بالبحث عن أصوله وتتبع أماكن تواجده وانتشاره واختلاطه وأيضاً بالتعرف على معالم بيئته الإنسانية .

وفى جميع الأحوال كان رائدى الحرص على ادراك مدى التفاعل القائم بين الانسان وإنسانية من ناحية والوسط الجغرافى الذى يعيش فيه من ناحية أخرى الأمر الذى دفعنى إلى أن أصدر سلسلة من الكتب تعالج جوانب عديدة من جغرافية الإنسان ذلك إلى جانب بعض المقالات التى تناولت درس ظاهرة حضارية بعينها فى بيئة محدودة كأحياء الصفيح فى مدينة بيروت التى ظهرت فى عام ١٩٧١ .

وفى عام ١٩٧٨ قدمت للقراء ما اسميته « بالجغرافيا الاجتماعية » أوضحت فيه علاقة البيئة الاجتماعية فى تفاعل الانسان مع بيئته الجغرافية وركزت فيه على اتصال العلوم الإنسانية بعضها بالبعض الآخر . وقد كان هذا العمل الأخير دافعاً قادنى إلى أن اتعرض لدراسة الجماعات البدائية فى بيئتها الجغرافية ولاصورها تحت عنوان « دراسات فى جغرافية الإنسان » لتشمل تحليلاً دقيقاً لاسلوب حياة انماط من الجماعات والقبائل والممالك والمجتمعات البدائية التى ينتمون إليها ، وهى بذلك دراسة تجنح نحو التحليل الانثروبولوجى لعديد من الجمعات التى تتناثر فى مناطق ركنية فى العالم .

وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب تناول الأول منها دراسة الجماعات البدائية حيث ضرب المثل فى هذا الصدد بجماعات الاندمان والياغان والاسكيمو بينما اختص الباب الثانى بتحليل انثروبولوجى للتانجوس بسيبريا وقبائل الشين التى تنتمى إلى هنود أمريكا الشمالية وقبائل الجيفارو فى حوض الامزون بأمريكا الجنوبية والتاهيتيون فى جزر بوليتزيا وقبائل النوير الإفريقية .

أما الباب الثالث فحتوى على دراسة الكالينجا . حيث ما زالت هذه الجماعات تمارس حياتها فى بيئتها الطبيعية .

أما الباب الرابع فمجال تجواله مجتمعين قرويين أحدهما فى شبة القارة الهندية والأخر فى أحدى قرى المغرب العربى وقد كان اختيار هذين المجتمعين هادفاً إذ روعى فى احدهما أن يكون على تخوم الحضارة العربية والأوربية والثانى فى قلب حضارة الشرق الأقصى .

وقد زود الكتاب بعدد من الصور التوضيحية التى تساعد على فهم بعض ما ورد ما بين السطور بالاضافة إلى خريطة وزع عليها أماكن توطن الجماعات التى ذكرت فى سياق الدرس والتحليل .

وإذ اقدم هذا العمل أرجو أن يكون لبنه فى التعرف على السمات الحضارية للإنسان كل إنسان وأى انسان .

والله ولى التوفيـــق ،،،

د. يسرى الجوهرى

السـيوف ١٩٧٩

يسعدنى أن أقدم طبعة جديدة من دراسات فى جغرافية الإنسان التى يدور محورها عن الحديث على مجتمعات بشرية يمكن أن يطلق عليها مجتمعات تذكارية فى اطار العالم المعاصر الذى يتجه نحو الحضارة العالمية الواحدة والتحضر .

والله ولى التوفيـــق ،،،

د. يسرى الجوهرى

السـيوف ١٩٩٦

جماعات الياغان
فى امريكا الجنوبية

The Yahgan of South America

جماعات الياغان في أمريكا الجنوبية

جماعات الياغان جماعات منقرضة ومن ثم فيتركز الحديث عنها والدراسة وذلك قبل أن ينفرط عقدها وتندثر .

تعتبر جماعات الياغان من أكثر الجماعات البدائية الموجودة فى العالم تعاسة ، حيث كانت تقطن فيما مضى الساحل الجنوبى لجزيرة تيبرا دلفويجو وبعض الجزر الصغيرة الممتدة جنوبا حتى رأس هورن فى أقصى جنوب أمريكا الجنوبية .

ومنطقة الياغان منطقة متطرفة من الأرض توجد حيث تنتهى السلسلة الساحلية من جبال الأنديز وتتعمق جنوبا فى المحيط ، وتتكون هذه المنطقة من مجموعة من الجزر والقنوات والفيوردات والرؤوس الصخرية الضاربة فى البحر ومن ثم فهى منطقة تبعث على اليأس والاحباط البشرى .

فمن ناحية المناخ نجد أن الرياح الشديدة والصقيع يصحبان السحب القاتمة والضباب الكثيف باستمرار ، كما أن المنطقة تتعرض لأعتى العواصف المحيطية فى العالم ونادراً ما تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر المئوى غير أن المنطقة رطبة على مدار العام الأمر الذى يدعو إلى التأمل فى كيفية حياة الإنسان فوق هذا الجزء من اليابس .

وعلى الرغم من أن منطقة الياغان تختلف كثيراً من ناحية المناخ عن غيرها من المناطق المجاورة ، فقد دهش الأوربيون من مدى صلابة وقوة تحمل الياغان للمناخ السائد فى منطقتهم ، فهم عراه دائماً وبلا مأوى تقريباً ، اللهم الا تلك الأكواخ المصنوعة من الحشائش . كما أن المرأة الياغانية تسبح وتغطس فى هذا المناخ من أجل صيد الأسماك القشرية التى تعتبر الغذاء الرئيسي للياغان ، وللمقارنة

فقد تجمد بحاران كانا مرافقا للكابتن كوك أثناء رحلته فى يناير عام ١٧٦٩ عندما كان فصل الصيف الجنوبى يسود تلك البقاع . ويقدر عدد الياغان بحوالى ٣٠٠٠ نسمة وذلك قبل أن تقضى عليهم الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم عندما وطئت اقدامهم للقارة خلال الربع الأخـــير من القرن التاسع عشر ، ففى ذلك الوقت كان اليـاغان يتجولون فى جمـاعات صغيرة تنتشر فوق نطاق واسع يبلغ عرضه عدة أميال من الساحل ، وهذه الجماعات كانت تتكون أساساً من أسرتين أو ثلاث وان كانت فى أغلب الأحيان تتألف من أسرة واحدة .

وقد كان الياغان يطلقون على أنفسهم اسم « يامــــانا Yamana » التى تعنى رجل أو بنى آدم غير ان اصطلاح ياغان قد اشتق أساساً من اسم مكان يقع داخل حدودهم ثم التصق بهم وأصبح من الصعب تغييره .

وجماعات الياغان ليست جماعات قبلية منظمة ، كما أن تميزهم عن غيرهم من الجيران يعتمد أساساً على اللغة بالإضافة إلى بعض الجوانب الحضارية البسيطة فلغة الياغان لغة منعزلة لم تتسرب إلى أى مكان آخر ، وتعتبر جماعات الأونا Ona . أقرب الجماعات إلى اليـاغان وهى جماعات تعتمد أساساً على الصيد البرى وتقطن الأجزاء الداخلية من تييرا دلفويجو . أما أكبر جـــزر الارخبيل فهى جزيرة الكالوف إلى الشمال الغـــربى وتسكنها جماعات الالكالوف Alakluf ، وهى جماعات تشبه الياغان إلى حد كبير فيما عدا اللغة .

ولا توجد بين الياغان أيضاً رابطة تجمعهم سوى أنهم يشكلون مجموعة مميزة عن جيرانها ويحتلون حدودا واضحة تتطلب دائما الاستعداد للدفاع عنها وعن أى ياغانى يتعرض للخطر .

ولا يوجد تنظيم اجتماعى من أى نوع بين الياغان وان كانوا ينقسمون

ككل إلى خمس جماعات فرعية أساسها إختلاف لهجة كل منها كما لا يوجد نظام إجتماعى سوى الشعور العام بالقرابة بين الافراد .

وتعتمد وسائل الانتقال لدى الياغان على البحر اذ يستخدمون قارب الكانو Canoe الذى أصبح سائداً لديهم لدرجـــة أنه يطلق عليهم هنود قارب تييراد لفويجو وذلك على النقيض من الآونا الذين يطلق عليهم الهنـــود المشاه The foot indians .

أما عن الصفات الجنسية للياغان فهى تختلف تماماً عنها لدى الآونا الذين يشبهون جماعات الصائدين الذين جابوا معظم مناطق الارجنتين واشتهروا بصفة عامة بالقامة الطويلة وصلابة العود .

ويشبه الياغان جماعات الشونو Chono التى تعيش فى أرخبيل شيلى إلى الشمال من منطقه الياغان والذين يمتازون بالقامة القصيرة ، واستناداً إلى وصف من زار هذه المنطقة فى وقت وجود الياغان وملاحظات الاوربيين عنهم فإن الياغان يبتعدون كلية عن الوسامة فوجوههم عرضـــه جداً وكبيرة بالنسبة لاجسامهم إذ يتميزون بالجذع العريض والارجل والاذرع القصيرة الرفيعة الامر الذى يضفى عليهم مظهراً قزمياً .

وتغطى المناطق الساحلية التى يعيش الياغان فوقها غابات كثيفة صعبـــة الاختراق لهذا يقضى الياغان معظم وقتهم فوق سطح البحر . ويعتبر كلب البحر أهم حيوان الصيد لديهم اذ يعتبر المصدر الرئيسى للحم كما يستخدم جلده فى صنع الخيـــام وبعض القلنسوات أما الحوت فيعتبر هدية ثمينة يجتمع حولها أفراد الجماعة ، ونظراً لضخامته فانه يكفيهم مدة طويلة كمصدر للحم ولامداد عدد كبير من الجماعة بالطعـام ، وقد اعتادوا الا يصطادوه فى عرض المحيط لكنهم

يراقبوه حتى يجنح فى الميـاه الضحلة أو ينتظروا حتى تجود عليهم مياه المحيط بإحدى الحيتان الميتة .

وهناك أنواعاً عديدة من الاسماك التى تعيش فى المياه المحيطة بمنطقة الياغان غير انهم لم يتوصلوا لمعرفة لفصائل البسيطة لهذه الاسماك أو إستخدام وسائل الصيد المتبعة لدى غيرهم من الصائدين فالرمح هو السلاح الوحيد المستخدم وفى أغلب الاحيان يستخدون الطعم لجذب الاسماك ثم الامساك بها بالايدى المجردة ومن ثم فقد ينصرم اليوم دون صيـد يذكر لذا كانت الحياة مستحيلة دون الاعتماد على بعض الاسماك الصدفية التى قد يكون البحث عنها هو العامل الهام وراء تنقل المجموعات الاسرية أما النباتات التى تشكل جزءا من غـذاء الياغان فهى نباتات طحلبيه أساساً بالإضافه إلى بعض النباتات المتسلقه .

وتكثر الطيـور فى منطقه الياغان وهى طيور كبيرة كالأوز البرى والبط البرى غير أن الياغان يفتقرون إلى طريقه الصيد المثلى كالشباك فهم يستخدمون الرمح والقوس والسهم فى صيد هذه الطيور .

كما يتبعون طريقه فريدة فى صيدها وفى القاء الاحجار عليها لقتلها أو يتسلل الصياد للامساك بها ليلا .

وبيئه الياغان على الرغم من صعوبه الحياة فيها الا أنهـا بيئه ذات وفرة بيولوجيه ، أمـا إنخفـاض مستوى معيشه الياغان فيرجع فى المقـام الاول إلى إنخفاض مستواهم الفنى (التكنولوجى) وحضارة الياغان من أكثر الحضارات البدائيه المعروفه بساطه فهم لا يعرفون الزراعه ولا استئناس الحيـوان اللهم الا الكلب ومن المعروف ان هـذه المعرفه ترتبط بالحيـاة المستقرة وتستخدم النساء العصي المعقوفه فى جمع سرطان البحـر وبعض الاصداف أما أوانى

التخزين فلا تعدو أن تكون أنواعا بسيطة من السلال .

ويعيش الياغان بصورة دائمة فى قواربهم — الكانو — لدرجة انهم أنشأوا قوارب ذات مواقد تحتفظ بالنار مشتعلة بصورة دائمة ومع ذلك فان البحر لم يزل مها كالكانو وان كان عاصفا فى نفس الوقت ، ولم يقم الياغان بصنع القوارب التى يمكنها الابحار فى مواجهة العواصف العاتية فقواربهم عبارة عن « قشرة من لحاء شجرة الزان » وهى أكثر ضعفا من القوارب المصنوعة من لحاء شجرة البتولا فى أمريكا الشمالية ، ويتألف قارب الياغان من عدة دعامات أو فروع شجيرات وهو على شكل هلال يصل طوله إلى حوالى خمسة عشر قدما ويمكن للمياه التسرب اليه بسهولة ولا توجد به عوامل مساعدة على الابحار اللهم الا شراع بدائى من جلد عجل البحر ، وفى عام ١٨٨٠ صنع الياغان أول قارب محفور من جذع شجرة باستخدام أدوات من الصلب وقد انتقلت صناعته بالمحاكاة على طول المنطقة المحيطة بهم .

وعند إستخدام الكانو تقوم المرأة بالتجديف أما الرجل فيجلس على مقدمة الكانو ليتمكن من طعن الأسماك برمحه حيث يمكن رؤيتها بسهولة من هذا المكان، وتشكل عملية ارساء القارب مشكلة بالنسبة للياغان بسبب تلك الكميات الهائلة من الحصى والحصباء التى تنتشر فوق الشواطىء والتى ينتج عن الاحتكاك بها تدمير قاع الكانو الهش إذا اقترب منها بشدة ، ومن ثم يجر الكانو برفق نحو الشاطىء ثم يقوم الرجل الواقف فوق مقدمته بمساعدة بعض المحارة بسحب الكانو إلى الشاطىء برفق فيشبه إصطدامه بالقاع ثم تقوم المرأة بدفع القارب إلى حافة تملؤها أعشاب البحر الكثيفة فى جزء عميق المياه حيث تقوم بارسائه ثم تعود سابحة إلى الشاطىء وعند العودة للابحار تقوم الزوجة أيضا باحضار القارب، والنساء أقوى على السباحة من الرجال .

ودائما ما يتجول الياغان رجالا ونساءاً وأطفالا وهم عراه تماما أما الغطاء الوحيد المستخدم لستر الجسم فهو قطعة من جلد القندس (كلب الماء) وهو من القصر بحيث لا يلتف حول الجسم لفة كاملة فهو يستر العورة الأمامية فقط وهو مربوط إلى الصدر ، ولا يعرف الياغان دباغة الجلود ومن ثم الجلود الناعمة اللينة وعلى هذا الأساس فان ملابسهم الجلدية خشنة الملمس باردة لدرجة أنهم يفضلون عدم ارتدائها عند الانهماك فى عمل يتطلب حركات سريعة نشطة .

وعند السيرفوق اليابس يرتدى الياغان أحذية مصنوعة من جلد عجل البحر وهى أحذية بلا كعوب محشوة بالحشائش وعموما فهى ليست أحذية مريحة أو متينة .

ويطلى الرجل أو المرأة جسمها بالزيت أو الشحم للحصول على نوع من الوقاية والحماية من الرياح القارسة والأثر الكاوى الذى تسببه مياه البحر المالحة .

ويستخدم الياغان وسائل بسيطة لتزيين الوجه والجسم وهى الوسائل السائدة لدى غيرهم من أصحاب الحضارات الهامشية ، فالمرأة دائماً ما ترتدى غطاء مثلث الشكل مصنوع من الفراء أو من جلد بعض الطيور وذلك لتغطية عورتها أما تغطية الرأس فلا يعيرها الرجل أو المرأة أى إهتمام فلا توجد قبعات أو ما يشبهها بل يطلق شعر الرأس على شكل عقد باستثناء ما فوق الجبهة وينزع شعر الجسم باستخدام صدفة نوع من المحار حيث تستخدما كملقط أو مكشط ، ولا يخدش الياغان أجسامهم من أجل الزينة كما لا يقومون بأحدث شقوق بها ، اذ لايخدش الجسم الا من أجل اظهار الحزن فى وقت الحداد ، أما الوشم فما هو الا ركن بسيط من أركان الطقوس التى تقام عند بداية سن البلوغ ومن ثم

لا تنتشر بينهم طريقة تشويه الجسم المعقدة التى يعرفها الهنـــود الأمريكيون الآخرون مثل تشويه الرأس والأذن والشفاه أو خرق الأنف غير أنهم يعبرون بالرسوم الملونة عن أحاسيسهم برسمها على أجسامهم فالصور المرسومة باللون الأحمر (التى تصنع مادته من الرمال المحترقة) يدل على السلام أما الصور التى ترسم باللون الأبيض (من الصلصال) فتعنى الحرب ، ويخصص اللون الأسود (مصنوع من الفحم النباتى) لرسم الصور المعبرة عن الحزن أو الحداد .

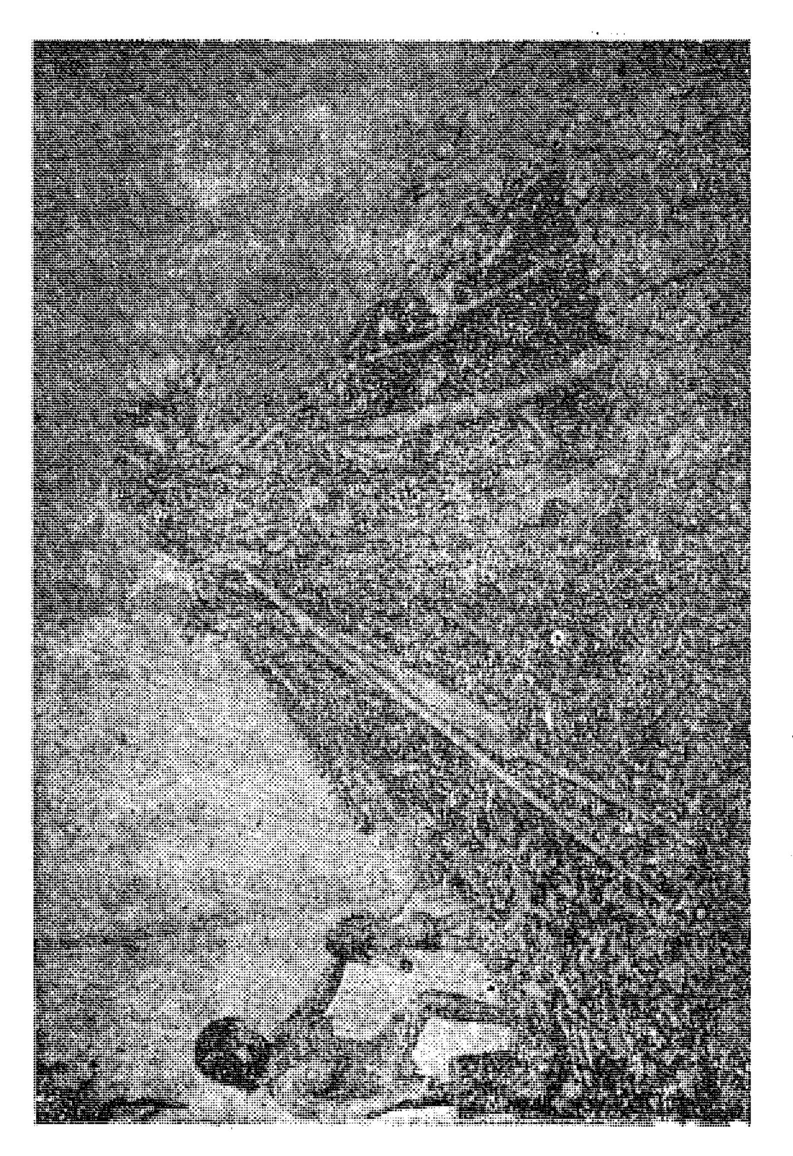
وتصنع الخلاخيل أو الأساور من جلود الحيوانات أو من أوتار عضلاتها وترتديها النساء كحلية أما العقود فتصنع من الأصداف الصغيرة وبعض أجزاء من عظام أرجل الحيوانات حيث يلحمونها فى أوتار عضلات هـذه الحيوانات ، ولما كان إستقرار الياغان فوق اليابس إستقراراً بسيطاً مؤقتاً فان كوخهم يتسم بنفس الدرجة من البساطة وهو على غطين .

الأول : على شكل خلية نحل بسيطة ويقام بإنشاء شبكة من الأغصان ذات شكل قبابى ثم يغطى بالحشائش والسرخس واللحاء والجلود .

والثانى : ذو شكل بيضاوى ، اذ ترفع الجذوع والفروع على شكل مخروط يغطى بنفس الطريقة المتبعة فى النوع الأول .

ولأحكام صنع الأعشاب والجـــلود فان سقف الكوخ لا يسمح بتسرب الدخان الناتج عن النار المشتعلة باستمرار داخـل الكوخ ومن ثم يتميز الياغان بعيونهم الدائمة والإلتهاب والإحمرار بسبب الدخان خاصة فى فصل الشتاء عندما يحكم صنع الكوخ ،

والتخصص فى العمل بين الياغان يعتمد على مدى قوة تحمل كل من الجنسين فالرجال يقومون بعملية الصيد والقنص وعمل الاسلحة والقوارب أو القيام



شكل (١) نموذج لكوخ اللاغان المخروطي

بالأعمال الصعبة عموماً كبناء الأكواخ شكل (١) أما المرأة فهى مسئولة أساساً عن تربية الصغار وكافة النشاط المنزلى كالطهى والحياكة وعمل الحقائب والسلال، وبقدر ما يعتبر الكانو مسكناً للياغان وذلك لأنهم يقضون معظم وقتهم فيه بقدر ما تقوم المرأة بمعظم عمليات التجديف وإدارة دفة الكانو وارسائه وإعداده للإبحار مرة أخرى .

وكما فى مجتمعات الصيد والجمع الأخرى فان المرأة هى التى تقوم بعملية الجمع لأن هذا العمل يمكن القيام به بالقرب من الكوخ كما أنه لا يتطلب مشقة كبيرة وتعتبر عملية جمع الأصداف البحرية أهم عمل تقوم به المرأة .

وتتمتع المرأة الياغانية بمنزلة خاصة ربما بسبب دورها الهام فى الامـــداد بالطعام والكساء أو ربما بسبب مشاركتها للرجل فى كافة نشاطاته .

فعندما يقتص الرجل أثر حيوان بحرى من أجل اصطياده تقوم زوجته بعملية توجيه الكانو ، وعند بناء الكوخ تساعد المرأة زوجها فى إتمام عملية البناء بحيث يصبح العمل مشتركا بينهما ، ونظريا فأن الرجل هو الذى يسيطر على الأسرة وتكون له الكلمة الأخيرة فى شئونها بالإضافة إلى مركز القيادة غير أن الملاحظات قد أثبتت العديد من الحالات التى يكون الزوج فيها خاضعا لزوجته .

وهناك دليل آخـــر على أهمية المرأة وهو نظرة المجتمع إلى ظاهرة الزنا إذ يبدو أن هذه الظاهرة غير مستحبة من قبل الزوج والزوجة كما أن الغيرة ظاهرة عامة بينهم .

والبغاء (اعارة الزوج لزوجته لرجل آخر أو العكس) أو المتاجرة بشرف الزوجة أمر مرفوض وهذا دليل على أهمية المرأة فى مجتمع الياغان ، ويحدث

الطلاق أحياناً لكنه غير ملاحظ بصورة عامة ومن أهم أسباب الانفصال بين الزوجين قسوة الرجل وشراسته أو إصابة المرأة بالبرود والجنس .

وتعدد الزوجات ليست ظاهرة عامة ، كذلك توجد بينهم عادة تزويج المرأة التى يحـــدث زوجها إلى أخو الزوج المتوفى Levirate فعندما تصير المرأة بلا زوج يجب أن يتزوجها أخو زوجها الذى توفى وهذا الموقف فى نظر الياغان هو الاختيار الرئيسى لهذا الأخ ، وإذا تزوجت المرأة برجل آخر يكون لأخو زوجها المتوفى الحق فى أولادها منه . ومحاباه الزوج لا تنعكس فى ما سبق فقط لكن تعكسها ظاهرة الإقامة بعد الزواج فاذا تزوج الرجل فانه يصحب زوجته معه للاقامة فى المنطقة التى تعيش بهـا أسرته مما يؤدى إلى إرتباط الزوجة بأسرة زوجها تدريجياً أكثر من إرتباط الزوج بأسرة زوجته وهناك دليل آخر وهو أن عضوية الرجل أو إشتراكه فى المنطقة التى تعيش بها أسرته تورث حتى بعد وفاته كما يحدث فى معظم مجتمعات الجمع والقنص الأخرى

وعندما يصبح أطفال الرجـل الذكور رجالا لا يمكنهم الانتقال من المنطقة التى تعيش بها الأسرة أما الأناث فقط فهن الائى يستطعن مغادرة المنطقـــة (إلى منطقة أسرة الأم) .

والإتجاه نحو مجموعة محلية من الأسر المتقاربة هو الايعاز الوحيـد بتنظيم أكبر من الأسرة لكن هـذا النظام غير رسمى كلية فالإرتباط بين الأسر التى تؤلفه نادر الحـدوث ولكنها مترامية فوق اقليم واسع وتلتقى فى فترات غير منتظمـــة .

وليس هناك رئيس أو أية سلطة أخرى تسود فوق الجماعة فما يجمعهم أساساً هو الشعور بالاتصال الذى يتضمن إفتراض أن الافـراد يستطيعون طلب

المساعدة من بعضهم فى حالة العراك مع الغير أو إنتهاك الغير لحرمتهم أو الإنتقام من مجموعة أخرى .

والوظيفة الوحيدة لهذه المجموعة المحلية هى عقد الشعائر البدائية التى تتألف منها الإحتفالات التى نادرا ما يقومون بها .

ولا توجد حرب منظمة من أى نوع ، فالشجار بين الافراد والجماعات الصغيرة تنتج عنه أضرار بسيطة نسبياً أما جرائم القتل فتتطلب الاخذ بالثأر والإنتقام من قبل أسرة القتيل .

ويبدو أن ظاهرة القتل كانت تسود بينهم فى الماضى، غير أن تقديم الإنسان كقربان غير معروف كذلك الإنتحار .

وقد كان يظن أن الياغان من آكلى لحوم البشر حتى أخذ الادميرال فيتزوورى أربعة من الياغان إلى إنجلترا عام ١٨٢٩ حيث تأكد بصورة حتمية أنهم ليسوا من آكلى لحوم البشر .

وقد أنكرت أسرة بريدج التى عاشت بين الياغان لسنوات عديدة صفة أكل لحوم البشر عن الياغان وقد ثبت بعد ذلك أن الياغان لم يعرفوا هذه العادة مطلقاً .

وقبل تبادل البضائع تتم عملية تبادل الهدايا ويجب أن يستجيب متلق الهدية برد هدية مساوية أو أعلى فى قيمتها من الهدية التى تلقاها ويعتبر رفض الهدية إساءة إجتماعيه ربما تدل على بخل رافض الهدية .

وتمتد عادة الكرم إلى كل من يحيط بالفرد من قومه ويعتبر هذا شيئاً طبيعياً فالقاعدة هى أن يمد كل إنسان يده للآخر كما فى معظم المجتمعات

البدائية فالجود بين الاصدقاء والاقارب ضرورى كما هو متوقع ، وليس من التصرف السليم أن يعبر المرء عن شكره لما يتلقاه من هدايا تعبيرا شفهيا ربما بسبب أنه إذا فعل ذلك فانه قد يشير إلى عدم قبوله للهدية أو انه لن يردها وتعتبر السرقه من الامور التى تستوجب أكبر قدر من التوبيخ وإذا سرق أحد الغرباء شيئاً لا يوبخه الياغان على إعتبار أنه ذو درجه أقل من درجتهم كبشر .

وقد وافق الياغان على وجود عائلة بريدج بينهم بعد أن كابدت سلسلة من المتاعب .

والمعلومات عن آداب المعاشرة والإتيكيت المتبع نحو فئات خاصة من الاقارب معلومات ناقصة ومع ذلك فان رقاب النسب بين أفراد العشيرة القاب ثنائية أو مزدوجة وهى تعتمد على مدى القرابة للاب أو للام فالخالات والاعمام يمنحون القابا خاصة مميزة عن تلك التى تمنح للابن أو للابنة وكل بنات العم أو أبنائه يخاطبون بأخى أو أختى ، اما الفاظ مناداة العم أو الخالة فيرفق معها لفظ أب أو أم ، والزواج ممنوع بين هؤلاء الافراد .

وبسبب حياه الياغان فى أسر صغيرة متباعدة فان المميزات التى تفصل بين الوالد من ناحية وبين الاعمام والخالات من ناحية أخرى متوقعة وسائده .

والمساواة بين ابناء العم والأخوة فى الرضاعة بصرف النظر عن المكان الذين يعيشون فيه انما ترجع إلى سيطرة قاعدة امتناع الزواج بينهم ، فابناء العم يتساوون مع الأخوة فى الرضاعة من حيث السلوك الاجتماعى .

والرجل ملزم بمسئولية محددة تجاه صهره وأم زوجته إذ يساعدهما وقت الحاجة ويعاملهما باحترام وكما فى المجتمعات البدائية الأخرى فان هذه الصلة

النسبية تعتبر هامة جدا أن لم تكن حساسة إذ يجب ان يراعى زوج الابنة عددا من التحفظات الاجتماعية فمثلا لابد أن يستمر احترام والد الزوجة خلال حياته بأكملها كما يجب أن يكون اتصالا غير مباشر وعادة ما يكون عن طريق الزوجة ويدرك الياغان بوضوح الفرق بين العملية الجنسية وانجاب الاطفال فالزوجات لا يحاولن عادة تحديد النسل لأنهم يحبون الاطفال ويرغبون فيهما أما بالنسبة للفتيات غير المتزوجات اللاتى يصبحن حوامل فانهن يمارسن الإجهاض ويقتلن اطفالهن بعد ولادتهم .

واستقبال الوليد يتم بمساعدة عدد من الإناث اقرباء الام بينما يبقى الزوج خارج الكوخ وتحرق مشيمة الوليد ويجفف حبله السرى ويحفظ من أجل استخدامه في أغراض السحر . وبعد الوضع مباشرة تنهض المرأة ومعها وليدها لتأخذ حماما فى البحر البارد وهذا مايجب ان يدهش الاطباء المحدثين لأنها لم يكن لها أدنى تأثير لا على الأم أو على وليدها .

ولبعض الوقت يتناول كل من الاب والا طعاما طوطميا قبل الوضع وبعده خاصة إذا كان المولود ذو أولا طفل إذا يمتنع الاب عن أى عمل لأيام عديدة كما لو أنه كان يعانى من آلام الوضع وعادة ما يسمى الطفل باسم المكان الذى ولد فيه ولا تصحب عملية اعطاءه الاسم أية طقوس أو شعائر لكن الاسم يجب أن يصبغ بصبغة سحرية ، وتعتبر عملية مناداة أى شخص باسمه الخاص أمرا سيئاً وحتى الاسماء الشخصية للافراد الحاضرين لا تستخدم فى المخاطبة .

ومصطلحات القرابة عند المخاطبة وجها لوجه لا تستخدم مباشرة لكن بصورة غير مباشرة وعن طريق غير ملتو ونستخدم عبارات وصفية للاشارة إلى الشخص الغائب .

واثناء الطفولة فان كلا من الاطفال الذكور والإناث يمارسو الالعاب معا لكن ليست لهذه الالعاب صفة جماعية لأنه نادرا ما يتواجد عـــدد كبير من الاطفال فى مكان واحد .

وبعد ان يصل الاطفال إلى سن السابعة أونحو ذلك لا يسمح للاناث باللعب مع الذكور والعقاب البدنى نادر الحدوث لكن كبار السن يقضون وقتا كبيرا فى تربية الاطفال وارشادهم إلى أفضل طرق السلوك .

ويقيم العديد من الصيادين وجامعى القوت احتفالاتهم الدينية الهامة فى الوقت الذى يبلغ فيه مجموعة من اطفالهم سن الحلم .

وتعتبر هـذه المناسبة فرصة كبيرة للقيام بالطقوس والشعائر وينظـر اليه كنوع من حفلات التخرج من نظام تعليمى غير رسمى .

ويمـــكن توقيت بداية سن المراهقة لدى الفتيات مع حدوث أول طمث عندئذ تصوم الفتاة ثلاثة أيام بعد ان تطلى خديها باللون الاحمر .

ولمدة أيام عديدة تتلـقى الفتاه نصائح أخلاقيه من النساء الأكبر سنا ويميز انتهاء فترة الصوم والاحتفال الاستحمام الشعائرى فى البحر وبعـده يعتبر اليوم عيدا لكل الموجودين .

ولا تتميز فترة بلوغ الذكـور من المراهقه باية شعائر من هـذا النوع لـكن المتبع ان يتجمع جميع البالغين حديثا مـن المجموعه المحليه معا فى حفل كبير ، وهـــذا التجمع لا يحدث فى فترات محـدده سلفا فتوافر الطعام وعدد الشباب الموجود هى العوامل التى تحتم اقامه هذه المناسبه .

ويبنى الياغان كوخا كبيرا ذو حجم ضخم للاحتفال بهذه المناسبه ، ويخصص

لكل شاب من البالغين كفيلا أو معلما ليزوده بالعديد من اساليب الحياة العمليه والاخلاقيه خلال أيام فترة الاحتفال (التى تمتد لعدة شهور) .

ويتعرض الشباب البالغ لعديد من وسائل الحرمان والتعذيب الجسدى إذ يسمح لهم بالحد الأدنى من النوم والطعام ويجب أن يجلسوا فقط وهم متقاطعى الأرجل أو ما يشبه القرفصاء كما يحتم عليهم الاستحمام فى البحر كل ليلة ولايشربون الماء إلاعن طريق عظمه أحدالطيور التى تستخدم كانبوب الإمتصاص.

وفى أول الإحتفال يرسم على صدور الشباب نوع من الوشم البدائى .

وابرز مراحل الاحتفال هى المجموعه التى ترقص وتغنى عادة فى آخر الليل وهذا بالطبع ربما يكون فاصلا ترفيهيا لكنه يخفى وراءه أمرا خطيرا فالاغانى ما هى الا وسيله اتصال بالارواح الشريره وارواح الشياطين مثل روح يتايتا Yətaita التى يجب ابعادها بمثل هذه الاهازيج لتظل بمنأى عن أكواخ لياغان.

وفى الاحتفال السابق يتم تقديم الشباب إلى المجتمع عندما يستقبلهم المشرف على الاحتفال (وهو ليس رئيس الاحتفال لكنه يشبه نظيره لدى الارونتا فهو سيد الاحتفال) الذى من خلال مجموعه من الشعائر يجعلهم أعضاء كاملين فى المجتمع وبعد ذلك يقوم كل كفيل أو معلم بتقديم من تتلمذ على يديه من الشباب ومعه سله مزينه خصيصا لهذه المناسبه وعظمه للشرب وعصا مزركشه .

وهناك احتفال أخر يطلق عليه اسم كينا Kina وهو أحيانا ما يتلو الاحتفالات السابقة ويبدو أنه صوره ركيكة من احتفال الآونا المشهور بالكلوكيتين Klodeten الذى هو أساسا صياغة دراميه مسرحيه لاسطوره تعيد من جديد تاريخ الآونا الماضى التى كانت السياده فيه للمراه ، حيث تمت للمراه

السيطره على الرجال عن طريق ارتدائهن اقنعه جعلتهن يتقمصن أرواحا شريره مما أدى إلى خوف الرجال وانزوائهم إلى مكانه أقل من مكانه المرأة ثم اكتشف الرجل خدعه المرأه وعادت له السيطره عليها .

ويجب على الرجال لذين يقومـون باحياء احتفال السكينا أن يكونوا على اطلاع كامل بكافة تقاليد الياغان فهم يعتزلون سرا فى كوخ الاحتفال ثم يلونون اجسامهم ويرتدون الاقنعه التى تمثل الأرواح ثم يقلدون الأرواح فيظهرون فجأه أمام النساء والأطفال ويغنون ويرقصون مهددين المرأه التى لاتطيع أوامرهم باشد أنواع العقاب .

والشعائر الاكثر أهميه والتى تلى احتفالات بدايه سن المراهقه فى أهميتها هى الاحتفالات الجنائزيه (احتفالات الدفن) والصوره العامة التى تعامل بها جثه المتوفى هى احراقها واحراق كافة ممتلكاته الشخصية ، ويعبر اقرباؤه عن حدادهم بصبغ اجسادهم باللون الأسود ثم يصومون بعد ذلك ، ويقوم أقرب اقربائه بشق صدورهم للدلاله على حزنهم العميق .

ويعتقد الياغان فى مجموعه من الإلهه والارواح ، كما يخافون على وجه الخصوص من أرواح الموتى الجدد ومن ثم فانهم يهجرون المنطقة التى يموت فيها اثنان منهم ولاتسود بينهم عباده الاسلاف المـــوتى أو الصلاة لهم بل انهم لاينطقون اسم الشخص المتوفى مطلقا ، ولكل انسان روح صديقه تحرسه وهى التى يمكن استدعاؤها لمساعدته إذا احتاج ذلك ، ويبدو أن هناك اعتقاد فى روح سامية يطلق عليها باسم « أبى » لكن لأنه لايوجد نفوذ تبشيرى بين الياغان فانه لم يستدل على حقيقة هذا الإعتقاد .

ولايوجد بين الياغان رجال دين « قساوسة » أو عقيـــده أو أى شكل من

أشكال الدين وأقرب الأشكال إلى رجل الدين هو « الشامان » وهو رجل طب من ذلك النمط الذى يسود بين الهنود الإمريكين ، ويمكن لأى رجل أن يصبح شامانا إذا رأى فى نومه أنه يدعى لهذه المهنه عن طريق روح صديقه تلقنه أغنيه الشامان ثم يذهب إلى أكبر شامان على اعتبار أنه صبى تحت التدريب ومن ثم يعرضه الشامان الكبير لسلسله من الاختبارات الجسدية والآلام المختلفه ثم يلقنه الشعائر السرية الخاصة بالمهنه .

ويعتقد الياغان أن باستطاعة الشامان التحكم فى مظاهر الطقس والتكهن بما سوف يحدث فى المستقبل من أحداث ، غير أن الوظيفه الأساسية له هى معالجة الناس من أمراضهم فاذا اشتكى انسان ما من ألم يتم تدليك المنطقـــة المصابه ودهانها بالمراهم لاستخلاص الأشياء الغريبه (الألم) منها ويعزى هذا الألم بل وحتى الموت – إلى مكائد شامان عدو أو شيطان ومن ثم فانه على الشامان المعالج أن يقوم بتطبيق سحر مضاد .

والمفهوم العام لدى الياغان عن الموت هو نفسه الذى يسود بين كافة الهنود الإمريكيون فهم يعتقدون أن الموت يرجع إلى وجود شامان شيطان يسرق الروح من الشخص فيسبب له المرض والسام ومن ثم الموت إذا لم تسترد الروح بواسطة شامان آخر .

واعتقاد الياغان فى نشأة الكون والإساطير التى تسود بينهم تشبه ما هو موجود لدى غيرهم من الشعوب البدائية وأن كان ينقصه العمق والتعقد .

وتسود بينهم بعض الإساطير المفسره لكيفية وجود بقع فوق سطح القمر وكيفية شروق الشمس كما توجد اساطير على شكل مواعظ دينيه ومحاضرات اخلاقيه يعاقب فيها الذكر ويوصم بالخزى والعار وبعض الاساطير عباره عن

تمجيد (لبطل شعبى) وتحكى احـــدى الإساطير أن وضع القواعد الإخلاقية لمجتمع الياغان قد تم على يد أخوين قاما أيضا بوضع اسماء الاشياء وقواعد الفنون والحرف .

أما اسطوره ديبا كل Depacle فتحوى عديدا من الرويات الخاصة بطوفان عظيم نتج عن سقوط الشمس (أو القمر) فى مياه المحيط ، وعـــدد آخر من الإساطير يختص بنشاط الارواح المرعبه آكلة لحوم البشر وبجنس العمالقة الخبثاء.

ولا يشكل استخدام المخدرات جزءا من اعتقاد الياغان الدينى أو من عقيدة البعث لديهم كما لا يوجد أى شكل من أشكال المشروبات الروحيه أو حتى الدخان .

أما الموضوعات الجماليه كالموسيقى والرقص فهى أقل اتقانا ، فلا توجد لديهم أدوات موسيقيه تقريبا فيما عدا طبول الإيقـاع وحتى الطبله والناى البدائيين لا يسود استخدامها .

أما الإلعاب فهى غايه فى البساطه وأكثرها شيوعا هى ما يشبه المصارعه أما وسيلة التسليه الشائعه فما هى الإنوع بسيطة من السامره وحتى الفنون اللفظيه فانها لم تلق حظها من النطور فلا توجـد لديهم أقوال مأثوره (امثال شعبيه) ولا شعر وحتى الـكلمات التى تعـــد لتغنى فما هى الا إعادات احادية النغمه أو نغمة واحده مكرره .

ويجد الياغان وقتا طويلا للتحدث فيما بينهم ، وقد قـــدر توماس بريدج Thomas Bridges وهو احـــد الباحثين الذى قام بدراسة هذا المجتمع انهم يعملون فعلا ⅓ الوقت الذى يخصصه الرجل المستحضر للعمل ، وقد ذكر أكثر من ملاحظ أن الياغان لم يعطـــوا أنفسهم أية فرصه للتفكير فى مستقبلهم أو حياتهم المقبله فهم يأكلون ما هو موجود بين ايديهم وإذا لم يجدوا طعاما فانهم

لا يتبرمون ، غير أن أهم ظاهره استرعت اهتمام الباحثين أن الياغان ينقصهم الميل إلى الإختراع أو الاستنباط .

وكل ملامح حضاره الياغان ملامح بسيطه ، لكن السؤال المحيرهو أنه على الرغم من قسوة البيئة الا أن الياغان لم يصنعوا لانفسهم ملابس أفضل أومساكن أكثر متانه مما أدى إلى اعتقاد الإركيولوجى صمويل روب بوجود نقص حيوى فى قدرتهم الذهنيه وعـــلى الرغم من ذلك فان من يعرفون الياغان كأفراد لم يلاحظوا عليهم مظاهر الغباء والدليل على ذلك أن صغار الياغان الذين رحلوا إلى انجلترا مع الإدميرال فيتزورى عام ١٨٢٩ قد تأقلموا بسرعة مع الحضـــاره الانجليزيه وبنفس السرعة عادوا إلى حياتهم القديمة بعد عودتهم إلى بيئتهم الأصليه مما أدى إلى خيبة أمل الرجل الإنجليزى الذى كان يأمل فى نقل الحضاره الإنجليزيه إلى تيراد لفويجو عن طريق هـــذه البراعم الصغيره ومن الصعب تفسير كون الياغان راضين عن انفسهم فى نفس الوقت الذى هم فيه غير قادرين على الاختراع لكن الإنثروبولوجيون قد عرفوا أن هذا أمرا طبيعيا فهذه المقدره غير متوقعه فى العالم البدائى خاصة مع وجود التحدى الكبير الذى تفرضه البيئة القاسيه والذى ينتج عنه ذلك الاستلام الكبير من قبل الرجـل البدائى مما لا ينتج عنه وجود أية طاقة خلاصة .

وقد حاول الرجل المتحضر التفكير فيما سوف يفعله إذا واجهته ضرورة الحياة فى اقليم الياغان لكن الناس الذين ينتمون إلى الحضاره لغربية يفكرون بعقلية مختلفةعنهم بمعنى أن أراؤهم تشكلها حضاره مختلفة تماماومسئوليتهم نحو هذا النوع من المسائل مسئولية انسانية أساسا .

وهناك بعض الظواهر التى يستطيـع الإنثروبولوجيون ملاحظتها للوصول إلى تفسير للحقائق السالفة منها .

أولا : أن الحضاره القديمة البدائية التى تميل دوما إلى البساطه تتجه إلى مرحلة ثابته من القصور الذاتى التى يسببها شده اندماج مكوناتها والتأقلم مع بيئتها التى لا يمكن تغيره بدون ضغط خارجى ملحوظ والأفراد فى هـــذه الحضاره لا يستطيعون التخلص منها بسهولة غالبا فالياغانى الذى عاد من انجلترا لم تتوافر لديه فرصة اختيار حقيقية لكنه عاد إلى حضارته الوطنية ، ولا توجد هناك قضية سوى أن الامن الإجتماعى والإستقرار الروحى الذى يتضمن التأقلم الكلى للفرد مع حضارته الوطنية وهو أكثر ضرورة من راحته الجسمانية عندما يجد الإنسان نفسه مرتديا ملابس أكثر دفئا .

ثانيا : أن معظم الحضارات البدائية توجد فى المناطق الأكثر هامشيةوعزله والبعيدةعن أى احتكاك بالمراكز الحضارية المتطـــوره بسبب المسافة الكبيره والمواقع الجغرافية.ومجتمع الياغان - كغيره من المجتمعات البدائية الأخرى التى توجد فى المناطق الهامشية الأخرى لايعـــرف عديد من الأدوات التى يشيع استخدامها بين الهنود الإمريكين وذلك ببساطة بسبب انهم منعزلون جدا .

ثالثا : انهم كبقية العديد من الصيادين وجامعى القوت الأخرين ليست لديهم الأدوات الإنتاجية التى يستطيعون بها استغلال وقتهم فليس هناك أكثر من جمع الاسماك والقواقع التى يمكن اكلها وهم يأكلونها يوما بيـــوم اذ انهم لا يمتلكون أدوات لحفظها فاذا لم يكن السمك موجـود أمامهم فانهم لا يتجهون لصيده .

ووسائل التخزين كالتجفيف والتعبئة التى تسود بين هنود شمال غرب أمريكا الشمالية تجعل من الممكن استغلال الوقت للحصول على أكثر انتاج ممكن ، أما السكان المستقرين فلديهم حضاره معقده على الرغم من ارتكازها على تكنولوجيا

الجمع والصيد فقط لكن هذه الأساليب لم تنتشر لتصل إلى جنوب امريكا الجنوبية

وقد كان لدى الياغان فرصة كبيرة لإكتساب الخبره التكولوجية باحتكاكهم مع الحضاره الأوربية بعد وصولها اليهم ، غير أن الإمراض الإوربية (الحصبة) حمى التيفود (السعال الديكى (الجدرى) قد اهلكت الجزء الإعظم من الياغان بمجرد احتكاكهم بالإوربيين فقد تناقص عدد الياغان من حوالى ٣٠٠٠ نسمه عام ١٨٨١ ليصل عـــام ١٩٠١ إلى ١٣٠٠ نسمه فقط وفى عام ١٩٣٣ أصبح عددهم ٤٠ نسمه فقط ومنذ هذا التاريخ تناقص عددهم ثم انقرضوا نهائيا .

وقد مرما جلان ببعض الجزر الفوجية عندما اكتشف المضيق الذى يحمل اسمه الآن،ومعنى تيرا دلفويجو ارض النار وذلك لإن ملجلان قد لإحظ وميضاً دائما أثناء الليل ينبعث من معسكرات الياغان وغيرهم من قاطنى هذه المنطقة .

والإلتفاف بالسفن حول راس هورن عملية صعبه جدا أو خطيره فقد تحطم عدد من السفن بين هذه الجزر وقام الوطنيون بنهبها ، لكن السمعة السيئة التى طبعت الياغان فقد كانت نتيجة لجهـل الياغان وخوفهم من الإوربيين من ناحية وخوف الإوربيون منهم من ناحية أخرى ، ففى أيام الإبحار الإولى كان هناك خوف مبالغ فيه من هؤلاء البدائيين .

وقد بدات اتصالات مستمره بين الاوربيين والياغان فى اوائل القرن الماضى مع بدا الحملات الكشفية والبعثات المساحية التى جابت امريكا الجنوبية، واكثرالحملات شهره حملتا فتزورى Fitzory ما بين عامى ١٨٢٦، ١٨٣٢ التى أخذت معها عند عودتها أربعة من الياغان قضوا بانجلترا ثلاث سنوات وقد كان اصغر الاربعة الياغان فتاه سنها تسع سنوات أطلق الإنجليز عليها اسم السلة الفويجيه «Fuegia Basket» كذلك ولد يبلغ من العمر أربعة عشر عاما وقد كانا مثل تلميذين وديعين، وقد جذبت الفتاه

اهتمام ملك وملكة انجلترا عندما أخذا يستمعا اليها ، أما رحلة عوده الصغار إلى وطنهم فقد تمت فوق فوق ظهر السفينه بيجل مع سير شالز دارون وقد وصلت السفينة إلى تييرا دلفويجو عام ١٨٣٢ وبقيت لعدة أسابيع جمع خلالها دارون ملاحظات هامة عن الياغان .

والحدث الذى كان مفتاح معرفتنا بالياغان هو وصول توماس بديدج وأسرته عام ١٨٧١ لانشاء محطة ارشاد فى يوشايا Ushuaia على قناه بيجل على الساحل الجنوبى لجزيرة تييراد لفويجو ، فقد انفق بروج معظم حياته للاعتناء بالياغان والكتابه عنهم وقاموسه عن الياماما Yamana هو واحد من الدراسات الهامه التى اهتمت باللغات البدائية فمجهودهذاالمبشر من المجهودات الكبيره على الرغم من عدم استطاعته الحيلوله دون اتصال الياغان بالعدد المتزايد من الأوربيين الذين تدفقوا على المنطقة ومن ثم لم يستطيعوا مقاومـــة الأمراض الأوربية التى أدت إلى انقراضهم نهائيا .

الاندامان الجزريون

The Andeman islanders

سكان جزر الأندامان

يقطن سكان جزر الاندامان بيئة مختلفة تماماً عن بيئة قاطنى الصحـــراء الاسترالية من ناحيـة وبيئة الياغان الساحلية من ناحية أخرى ، كما انهم ينتمون إلى مجموعة جنسية مختلفة الا وهى النجريتو أو الزنوج الأقزام .

وهم يمثلون بوضح بقايا سلالة قديمة كانت تقطن الغابات على مساحة أكـبر من المساحة التى ينتشرون فوقها حاليا . وبصورة عامة فان لهم اتصالا ســـلاليا بنجريتو الأجزاء النائية من الفيلبين ، ونجريتو الأجزاء المرتفعة من نيوغينيا والمناطق الداخلية من شبه جزيرة الملايو واقليم الكونجو فى أفريقيا .

ومع ذلك فان أى اتصال تم بين الاندامان وبين هذه المجموعات انما تم فى الماضى البعيد جداً لأن كل هذه الجماعات حالياً بما فيها الاندامان جماعات منفصلة تماما ، وربما يعـــبر الاندامان عن الشكل الأنقى والأكثر أصـالة من حضارة نجريتو الغابات ، لأن جماعات النجريتو الأخرى فى المناطق التى ذكرت تعيش بصورة نموذجيـة فى نوع من الاتصال أو حتى التكامل الاقتصادى مع جـيران أكثر قوة وقد استعار معظم ملامح حضارية عديدة وصلت إلى حد إستخدام لغة هؤلاء الجـيران كلغة للتفاهم فيما بينهم .

أما الاندامان فهم على العكس من ذلك ، فإنهم منعزلين تمـاماً كما تشكل لغتهم فرعا لغويا منفصلا ليس له أى اتصال واضح مع من العـائلات اللغوية المعـــروفة .

وفى الحقيقة فان الاندامان وقت أن اكتشفهم الأوربيون لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم . كما اعتقدوا بأن الغرباء ذوى البشرة الفـاتحة اللون والشعر

الأشقر والقامة الطويلة ما هم الا أرواح .

ويقع جزر الاندامان على طول الجزء الشرقى من خليج البنغال مترامية على خط طول جزر نيكوبار ليشكلا معا إحدى ولايات الهند ، وتبلغ المساحة الاجمالية لجزر الاندامان حوالى ٢٥٠٠ ميلا مربعا وتعتبر جزيرة الاندامان الكبرى أكبر جزر المجموعة إذ يبلغ طولها حوالى ١٦٠ ميلا أما عرضها فلا يتعدى ٢٠ ميلا فى أى مكان منها ، أما الجزيرة الكبيرة الوحيدة الأخرى فهى جزيرة الاندامان الصغرى التى يبلغ طولها حوالى ٢٦ ميلا وعرضها ١٦ ميلا ، أما بقية المجموعة فما هى الا جزيرات صغيرة متباعدة .

وقد كان عدد الاندامان يقدر بنحو ٥٥٠٠ نسمة وذلك قبل أن يتناقص هذا العدد بسبب الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم .

ويسود المناخ المدارى جزر الاندامان ومن مميزاته انه مناخ دافىء رطب به إختلافات طفيفة فى درجة الحرارة والجزء الأعظم من التساقط السنوى (١٤٠ بوصة) يسقط خلال الفصل الموسمى من شهر مـــايو حتى منتصف نوفمبر أما بقية شهور السنة فهى جافة تماما أما المجارى المائية التى تنتشر فوق الجزر الكبرى فهى مجار ضئيلة قصيرة تنصرف مياهها إلى مستنقعات داخلية كبيرة .

وكانت معرفتنا بالاندامان أساسا نتيجة دراسة رجلين هما ا. هـ مان E.H man الذى كان موظفا حكوميا بريطانيا فى هذه الجزر فيما بين ١٨٦٩، ١٨٨٠ وعلى الرغم من أن مان لم يعد ليكون أنثروبولجيا إلا أنه كان ملاحظا ماهرا وجامعا شديد التدقيق المادة العلمية أما الرجل الثانى فهو البرفيسور ا . ر راد كليف براون A.R.Radcliffe-Brown الذى كان دارسا للأنثروبولوجيا فى جامعة كمبردج والذى تناول الاندامان بالدراسة فيما بين عامى ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ويعتبر عمل راد كليف متمما ومكملا

لعمل مان غير أنه توجد إختلافات طفيفة فى تفسيرهما لغالبية مظاهرة حضارة الاندامان ما عدا فيما يختص بصلة القرابة ونظام المصاهرة والمصطلحات الفنية وبحلول عام ١٩٠٦ كانت الأمراض الأوربية قد انقصت عدد الوطنيين إلى حوالى ٢٧ ٪ مما كانوا عليه فى الفترة التى كان مان موجودا بينهم فيها .

وقد أثر هذا التناقص بوضوح على التنظيم المحلى للقربة وعلى قاموس القرابة وقد سلم راد كليف براون بصعوبة تفسير هذه المظاهر ولهذا السبب فان الكتابة الحالية تستخدم المادة العلمية التى وضعها مان على الرغم من وجود إختلافات بسيطة بينها وبين المادة العلمية التى وضعها راد كليف براون ويجب أن يفهم أن المعلومات المذكورة تشير إلى حضارة الاندامان إبتداء من عام ١٩٠٨ وما قبلها .

ولا يمارس الاندامان الزراعة كما أنهم لا يمتلكون حيوانات مستأنسة فحتى الكلاب قد أحضرت إلى الجزر عام ١٨٥٨ وتوجد حيوانات الصيد والأسماك والنباتات بوفرة بالمقارنة بما هو موجود لدى قبائل الأرونتا الاسترالية ويعتبر الخنزير البرى من أكبر مصادر حيوانات الصيد من الغابة وهو أول هدف لمن يقوم بعملية الصيد على الرغم من صيدهم لكميات كبيرة من السحالى ذات الحجم الكبير بل والفئران والأفاعى إذا وجدوها مصادفة فى طريقهم .

وعلى الرغم من وجود أنواع عديدة من الطيور الا أن الصيادين لا يمتلكون شراكا ولا شباكا ونادراً ما يحاولون قذف الطيـــور بسهامهم وذلك بسبب كثافة الادغال .

ويعيش معظم الاندامان على الساحل أو بالقرب من المجارى المائية الصغيرة وتعتبر الاحياء البحرية الوفيرة مصدراً رئيسيا للطعام بالنسبة لهم ، ومن بين

الحيوانات البحرية التى يتخذونها طعاما الاطوم (حيوان بحرى ثديى) وأنواعاً عديدة من السلاحف والاسماك والسرطانات وجراد البحر والرخويات .

ويجب أن يأخذ الصيادون حذرهم أو أى عابر طريق من النحل البرى ومن النساء والاطفال الذين يجوبون المنطقة المحيطة بمعسكرهم لجمع بعض البذور والجذور الصالحة للآكل والفواكه أيضاً .

وتستخدم الشباك والرماح القصيرة أو الحراب فى صيد الاسماك ولم يعرف الشص (السنارة) إلا فى وقت قريب ، وكذلك تستخدم الاقواس والسهام فى صيد الاسماك الكبيرة أما فى صيد الحيوانات البرية فيعتمد الانداءان كلية على القوس والسهم ، فلا تستخدم الشراك أو الرماح الطويلة ولا حتى بندقية النفخ كما أنهم لا يعرفون السهام المسمومة .

أما الوسيله الوحيد التى تستخدمها النسوه أثناء الجمع فهى العصا المعقوفة التى تستخدم فى اقتلاع الجذور والمادة الخام الاساسية فى صناعة كافة الادوات هى الخشب والصخور والاصداف لكن الانداءان قد اكتسبوا بسرعة فكرة صنع رؤوس السهام والسكاكين من الحديد الذى أصبح موجوداً لديهم بوفرة نتيجة عملية تحطم السفن على شواطئهم الوعرة ، غير انهم لم يتوصلوا إلى معرفة أن تسخين الحديد يجعله لينا سهل التشكيل لذلك كان عليهم أن يطرقوه وفيما عدا هذا الإستخدام الحديث والمؤقت للحديد فان السكاكين والخارز والمكاشط ورؤوس السهام تصنع كلها من الاصداف .

أما قواربهم فهى من النوع المحفور شكل (٢) الذى يتم صنعه بتفريغ جزع شجرة ويستخدمون قاربهم بمساعدة مسند خارجى عائم ليحفظ القارب من الانقلاب أثناء الابحار ومن ثم فليست هناك تسهيلات ميكانيكية تساعد فى عملية النقل والانتقال .



شكل (٢) مجموعة من الاندامان فى قاربهم المحفور

ومع ذلك فانه بسبب السخاء النسبى للبيئة فان الاندامان يحيون حياه أقل بداوه من الاستراليين الأصليين ، فأكواخهم من نوع أكثر استقرارا كما انهم يمتلكون أنواع متعدده من الأوانى المنزلية فأوانى لطهى الطينيه التى أحيانا ما يثبتوها باطار مصنوع من الاملود ليسهل حملها تعتبر واحده من الأدوات الخاصة بالاندامان وهو الذى لانفتقده أكثر المجتمعات التى تعيش على الجمع والقنص بسبب ثقل هذه الأوانى وقابليتها للكسر .

أما الدلاء الخشبية التى تستخدم فى تخزين المياه فتصنع من كتله خشبيه واحده محفوره جيدا كذلك تستخدم قطاعات من البامبو طولها حوالى ٤ أو ٥ اقدام لتخزين المياه أيضا ، ويستخدم الإندامان اصداف بعض الحيوانات البحرية كأكواب للشرب أما الأصداف العريضه فيستخدمونها كأطباق وتقوم النساء بصنع السلال من الروتان المنسوج لتستخدم فى حمل الطعام والادوات الخفيفه.

ويأتى الاندامان فى طليعة الجماعات البدائية من حيث الراحـــة أثناء النوم وذلك لأن لديهم حصر يستخدمونها للنوم وأحيانا يستخدمون وسائدخشبيه ومما يدعو إلى العجب أن الاندامان متأخرين فى ناحية هامه وهى انهم لايعرفون كيفية اشعال النار ولذلك فان عليهم أن يبذلوا جهدا كبيرا للأبقاء على نيرانهم مشتعله ، وحتى الأساطير العديده التى تتناول أصل النار لاتضع وصفا معقـولا للطريقة التى اشعلت بها النار أول مره اذ يعزى ذلك إلى أن مخلوقات أسطورية اشعلت النار عن طريق النفخ فى جمرات متفحمه .

وقرية الاندامان عبـــاره عن حلقه دائرية من الا كواخ المنظمة مسقوفه بالحصير مفتوحه من الجوانب وفى وسط هذه الا كواخ توجد صالة للرقص وفى بعض الأحيان تتكون القرية من كوخ واحد كبير ذو شكل دائرى يبلغ قطره ستون قدما وتخصص فيه اماكن للنار من أجل طهى الطعام وحول حلقةالرقص فى منتصف هذا الكوخ توجد اماكن نوم الاسر المختلفة وفى جميع الأحوال تبنىالا كواخالمتينةالصنع من أجل الاستقرار الدائم.

ويستخدم موضع القرية باستمرار فى الشهور الممطره من العام أما خـلال الفصل الجاف فعاده ما يتحرك المجتمع مرات عديده نحو المناطق ذات الموقـع المثالى للصيد أو التى توجد بها نباتات لكن المجتمع سرعان ما يعود إلى المعسكر الأصلى الدائم .

وتتكون المعسكرات المؤقته من أكواخ فردية على شكل دائره غير أنهـا تبنى بلا أحكام أو اهتمام .

ويخصص كوخ لسكنى غير المتزوجين من الشباب حيث توجد إلى جواره

سلسله من المواقد على جانب أرض الرقص التى توجد فى مركز القرية وذلك ليستخدمها هؤلاء الشباب فى تحضير الطعام للقرية ككل .

وأحيانا ما تهاجر العشيره أو المجموعة المحلية ـ بلغة الانثروبولوجين ـ سالكة طرقا تقليدية متخذه القرية الأصلية كنقطة مركزية دائمة ، والأرض التى يتجول فوقها الاندامان تعتبر اقليما خاصا بهم ومن ثم فان ما بها من مصادر طبيعية يعتبر ملكا خاصا بالقرية عامة وبالمجموعة ككل ولكل عضو حق فيه ويجب عليهم الدفاع عنها ضد أى معتد غريب .

أما الاستثناء الوحيد الذى يسمح للفرد فيه بالملكية الخاصة فهو مطالبه الفرد بأن تكون له ملكيه أحدى الأشجار فقد يعد رجل ما شجره تصلح فى نظره لتحويلها إلى قارب أو تصلح ثمارها كطعام عندئذ فانها تعتبر ملكا خاصا به وهذا المفهوم عن الملكية الفردية الخاصة للأشجار يسود بصرامه فى العالم البدائى بنفس الدرجة التى يسود بها مفهوم حقوق المجتمع فى بقية الأرض .

كذلك يعتبر ما تجمعه المرأه من محاصيل ملكية فردية ، لكن حيوانات الصيد ذات الحجم الكبير أو المحاصيل الوفيره بدرجة غير عادية من الخضروات فلا بد أن يقتسمها المجتمع معها أما كافة الأدوات البسيطه كالقوارب والحلى فتعتبر ملكية خاصة بها .

وتسود بين الاندامان ـ مثل غيرهم من أصحاب الحضارات البدائية ـ عادات تدل على الكرم مثل المنح بسخاء والاعتراض المباح للتملكات لدرجة سياده فكرة المساواه فيما يختص بالثروه ودائما ما يتبادل الاندامان هداياهم حتى فى ابسط المناسبات ويعتبر عدم اجابة من يطلب أى شىء انتهاكا صارخا لآداب

المعاشره ودائمـا ما يتوقع رد الهدية بهدية مساوية لها أو أكبر قيمة منها،وعادة ما تصاحب اللقاءات التى تتم بين أفراد القرى المختلفة تبادل نوعيات كبيرة من الهدايا وتتضمن فكرة المساواه فى القـــرية مفهوما اجتماعيا واقتصاديا فى نفس الوقت .

ويعامل الرجال بصوره مختلفة عن معاملة النساء كما أن الاكبر سنا هو الاكثر احتراما ولا توجد أسره تستأثر بوضع اقتصادى أو اجتماعى مميز عن غيرهامن الأسر ويمكن القول بوضوح أن القرارات التى تتعلق بالمجتمع إنمـا هى من صنع المجتمع ككل .

ولمـا كان كبار السن لايتمتعون بنفوذ اكبر من نفوذ غيرهم فانه لايوجد بين الاندامان سلطه عليا أو رئيس ، فليس هنـاك دستور حقيقى للقوانين أو للمعاقبة على الجرائم ، فالفعـل الذى يأذى الفرد كالايذاء البدنى والسرقة والزنا (الذى يعتبر نوعا من السرقة) فينظر اليه كموضوع يتطلب توقيـع الجزاء على من ارتكبه أما الأفعال التى تعتبر أفعالا غير اجتماعية كالكسل وعدم احترام الاكبر سنا أو التشاجر فلا تعتبر جرائم ، فالشخص الذى لايسلك سلوكا فاضلا يعانى من نقص نسبى فى التقدير . ولا توجد حكومة أو قانون ينظم العلاقات الخاصة بالمجموعة المحلية فيما بينها وبين غيرها من المجموعات المحلية الأخرى فكل جماعة تنظم شئونها الداخلية بصورة مستقلة وتتلخص علاقاتها فى الزيارات التى يقوم بها الافراد فى مناسبات واجتماعات عرضية من أجـل الرقص أو تناول الطعام وربما تعتبر مجموعة محلية إذاما تكونت من عدة مجموعات أصغر ، كما تعتبر وحده واحده بالمقارنة بغيرها ويكون السبب الاساسى فى ذلك هو ارتباطها فيما بينها بلهجة عامة أو اسم يحدد هويتها ولكن هذه الرابطة رابطة ضعيفه .

ولا تتعارض الجماعات فيما بينها من حيث تنظيم سلوكها الفردى كما أنه لا يوجد ما يمكن أن يطلق عليه حرية منظمة حقيقية بين الجماعات فاذا وقع ظلم أو اعتداء على أى انسان فلابد من أجراء مضاد يتخذ ضد المعتدى لكن لا ينتج عنه عداء أسرى وليس هناك دليل ولو بسيط على وجود عداء على مستوى القرية وأسس تنظيم العلاقة بين المجموعة المحلية هى القرابة والقرابة فقط وكما فى مجتمعات الصيد والجمع الاخرى يعتبر استخدام الاندامان لمجموعه كاملة من مصطلحات القرابة عند مخاطبة اقربائهم أمرا غير عادى فالاندامان يستخدمون الاسماء الشخصية على نطاق واسع على الرغم من اضافتهم القاب تدل على الاحترام .

وهذه الالقاب الخاصة بالاحترام لا تتضمن أية قرابه أوصله محدده بين الشخصين المتحدثين ويستخدم الصغار فى مخاطبة من هم أكبر منهم سنا الفاظا تنطابق تقريبا مع لفظى « سيد » و « سيدة » المستخدمة فى مجتمعاتنا وهاتان الكلمتان تعنيان أيضا « أب » و « أم » ولكن فى حالة الأب والأم السالفين فان اللفظين يشيران فقط إلى وضع إجتماعى عام وليس إلى أبوه أو أمومة حقيقية أما الذين تجمع رابطة الزواج فيما بينهم فيستخدمون لفظا يدل على قدر أكبر من الاحترام وهو مام Mam ويستخدم فى مخاطبة الأكبر سنا .

وهناك ظاهرة أكثر وضوحا بين الاندمان عن غيرهم من البدائيين وهى أن اصطلاحات القرابة التى نعتبرها دليلا على قرابة فعلية ماهى فى حقيقة إلا الفاظ تدل على احترام فقط وهى تشبه الفاظ القرابة إلى حد كبير وهكذا فان القاب الاحترام ترتكز على تشابه مع الاوضاع الإجتماعيه التى تسود بين الأسرة وهذه المصطلحات فى صورتها الأبسط تمتد لتشمل كل الاشخاص الذى يرتبط بهم المرء

سواء أكانوا أقرباءه أم من غير أقربائه وهناك فروق طفيفة بين أطفال المعسكر على الرغم من أنهم يعاملون معاملة متساوية فليس من الضروري أن تكون المرأة التي ترضع طفلا أو ترعاه أو حتى تدلله هي أمه الحقيقية ولكن باستطاعة أية امرأة في القرية مداعبة ورعاية أي طفل فيها .

ولا يفطم الطفل حتى سن الثالثة أو الرابعة وإذا حدث الفطام يصبح الطفل ابنا للقرية ككل وخلال فترة الرضاعة يكون الطفل بين والديه أما بعد ذلك فكما يقول هرمان « من النادر وجود طفل فوق السادسة أو السابعة من عمره مقيما مع والديه الحقيقيين ، وهذا يرجع إلى أنه يعتبر من مكملات الصداقة بين الأسر وعلاقاتها بالنسبة للرجل المتزوج أن يسأل ضيفه بعد قيامه بزيارته أن يأذن له باصطحاب أحد أطفاله ليتبناه الضيف وغالبا ما يستجاب لهذا الطلب ومن لحظة السماح يعتبر منزل الضيف هو منزل ابن صديقه أو ابنته ومن ناحية أخرى يقوم والد الطفل بتبني أحد أطفال أسرة صديقه ومع ذلك فانهم لا يقومون بزيارات متصلة لأطفالهم الحقيقيين ولكن بين الحين والآخر يطالبونه للبقاء لديهم لأيام معدودة وللرجل مطلق الحرية في تبني أي عدد من الأطفال لكن يجب عليه معاملتهم بالحسنى كما لو كانوا ابنائه الحقيقيين ومن ناحية أخرى عليهم أن يردوا له جميله بالطاعة والحب الذي يبدوه لابائهم الفعليين .

وأحيانا ما يطلب أحد أصدقاء الرجل الذي يتبنى أطفالا غير أبنائه أن يطلب منه تبني نفس الطفل الذي يتبناه على اعتبار أنه والده — وعندئذ يستجيب الرجل لذلك دون الرجوع إلى أبويه الحقيقيين والذين نادرا ما يعلمون بالتغير الذي حدث وعندئذ يقوم الأب المتبني الأول بابلاغ الوالدين الحقيقيين حتى يتمكنا من زيارة ابنائهم في موقعهم الجديد .

وبعد سن البلوغ يترك الفتى كوخ والديه أو والديه بالتبني ليبدأ حياته فى كوخ غير المتزوجين من الشباب حيث يبقى بينهم إلى أن يتزوج ولا يحدث ذلك بالنسبة للفتيات .

ويمكن رؤية الاطفال وقد تركوا معا (أحيانا مع غيرهم من أطفال قرى أخرى) ليلعبوا فى مجموعات ذات سن متقارب وعندما يكبر جيل الاطفال هذا ليصير أباءا أو أمهات يكون رفاقهم فى اللعب فى الصغر بمثابة أخوة وأخوات مما يقوى العلاقات الإجتماعية ويعكس نظام مصطلحات القرابة أو النسب هذا الوضع تماما كما يعكس نظام مصطلحات القرابة فى المجتمعات الاخرى وضعا مختلفا عن حالة الاندامان .

والاندامان على ادراك تام بالفروق الدقيقة بين درجات القرابة وبالفاظ المستخدمة عند المخاطبة وتعكس مصطلحاتهم سيولة نظامهم الإجتماعى المحلى .

ويميز أفراد الأسرة بين الأقارب التى ترتبط بهم بصلة النسب البعيد وبين من ترتبط بهم بصلة الزواج وعلى المرء أن يكون أكثر احتراما فى معاملته للذين ارتبط بهم بصلة الزواج من معاملته لأسرته كما أن علاقته بوالد زوجته وأمها يجب أن تكون علاقة بعيدة عن التعقيد فلا يخاطبها بنفس القاب الاحترام التى يخاطب بها من هم فى سنها بل يستخدم المصطلحات المستخدمة فى مخاطبة الجيل السابق لهم وكلما كان السن أكبر كلما كان الاحترام أكبر . وهكذا يعامل والد زوجته ووالدتها كما لو كان أكبر من سنها الحقيقى .

وعلاقة الاحترام هذه قد تكون غريبة فى مجتمعاتنا الحديثة غير أنها عادية تماما فى المجتمعات البدائية وتستخدم أساليب إتيكيت خاص فى معاملة أفراد معينيين فليس من المفروض أن تكون لرجل متزوج علاقة مباشرة بزوجة رجل

يصغره سنا . إذا كان لا بد من حدوث اتصال بينهما فلا بد أن يتم عن طريق شخص ثالث ، أما إذا لمسها فانه يعتبر قــد انتهك آداب المعاشرة انتهاكا خطيرا .

ويفسر الاندامان ذلك بأن الرجال لديهم من الخجل والحياء ما لا يسمح لهم بفعل ذلك أما بالنسبة لزوجة من يكبره سنا فانه يكون مألوفاً لديها أن يعاملها كأخت له . وهناك إتيكيت خاص يسود بين الأسر الصغيرة (المكونة من زوج وزوجه فقط) فهما تتبادلان الهدايا ويسود الخجل علاقاتهما الأسرية .

ويسود العلاقة بين أى رجلين احترام متبادل فاذا أشتركا فى وليمة سلاحف أو تناول لحم الخنزير فانهما يتبادلان الهدايا من كافة الانواع كذلك تفعل الأسر المرتبطة بعلاقة مصاهرة

ومن الامــور العادية فى المجتمعات البدائيه أن تكون المصاهرة الأسرية الناتجة عن الزواج ذات أهمية كبيرة وذلك لأن الزواج هو الوسيلة الرئيسية التى تنظم التعاون بين الاقارب ومع ذلك فان ظاهرة الزواج بين ســكان جزر الاندامان - مثلها فى ذلك مثل الملامح الأخرى للنظام الإجتماعى تبدو وكأنها ظاهرة غير محددة .

فالزواج محرم بين الأقرباء المعاشرين لكن هذا المبدأ غير مطبق باحكام ومن الواضح أن الرجل لا يستطيع الزواج باخته أو أخته فى الرضاعة ولا بخالاته أو بنات أخيه أو بنات أخته أما الدليل على استطاعة الرجل الزواج ببنت عمه أو بنت خاله فغير واضح تماما ، ومع ذلك فانه من الافضل للرجل عدم الزواج بأى من أقربائه من الدرجة الاولى وإذا تبنى رجل ما طفلا كبير السن فانه يعتبر من أقربائه الحقيقين ومن ثم لا يمكن له الزواج من الأسرة التى تربى بين ابنائها

أما الطفل الذى يتبناه الرجل وهو فى سن صغير فيحق له عندما يكبر أن يتزوج أحدى بنات الأسر التى تربى فيها .

وأكبر نسبة من الزواج تتم بين أفراد من مجموعات محلية مختلفة إذ أن الاتجاه نحو الزواج من خارج المجموعة لكن هذا الاتجاه لا يشكل قاعدة عامة كما أن تطبيقها يتم بغير نظام بسبب تبنى أطفال القرى الأخرى .

ويكون الزواج مستقلا بمعنى أن الزوجين بعد اتمام الزواج يستقلا بأسرتها بعيدا عن أسرتيهما وعلى اعتبار أنه ارتباط ومصاهرة فان الرجال والنساء الاكبر سنا هم الذين يقومون بتنظيم عملية الزواج وبامكانهم أن يخطبوا لاطفالهم الصغار .

ومما يدل على اعتبار الاندامان عملية الزواج أكثر من ارتباط أسرى وأكثر من اتصال بين فردين هى الظاهرة التى يطلق عليها الانثروبولوجيون Liverate وهى تزويج الاخ المتوفى بالاخ الاصغر وما يعتبر اتماما لهذه الظاهرة ممارسة الزواج باختين أو أكثر Sororate لأنه من المعهود ان يتزوج الارمل باصغر أخوات زوجته المتوفا وهذه العادة توفر أمانا إجتماعيا لكل من الأرمل والارملة كما تحافظ على شخصية وطبيعة المصاهرة والترابط بين كل اسرتين .

وكما هو الحال فى العديد من المجتمعات البدائية الأخرى فان الرجل يستطيع الزواج من فتاة أصغر منه سنا ومن ثم فكثيرا ما تبقى الزوجة على قيد الحياة فى حين يموت زوجها ومن ثم فان ظاهرة الـ Liverate أكثر وضوحا من ظاهرة الـ Sororate

والزواج بين الاندامان زواج أحادى بالتأكيد أى عدم تعدد الازواج أو الزوجات والزنا مرفوض من الرجل ومن المرأة وإذا حدث فانه يستوجب أشد

العقاب ولا يعتبر الزواج تاما وكاملا بانتهاء احتفالات العرس لكن الذى يتمم الزواج هو ولادة أول طفل على الرغم من ممارسة الفتيان والفتيات للعمليه الجنسية بحرية .

وقبل وضع أول مولود ولمدة شهر بعد ذلك يتبع كل من الزوج والزوجة نظاما غذائياً معيناً به كثير من المحرمات « التابو Taboo » .

وقبل نزول الوليد من بطن أمه يمنح اسمه الذى سـوف يطلق عليه بعد نزوله ، وخلال مدة عدم تناول الأطعمة المحرمة يجب على الوالدين عدم مخاطبة بعضها باسم الوليد أو أن يقدم أى منهما الآخر إلى الاخرين باسم المولود .

ومثال ذلك أننا نسمى أحد الأطفال وهو فى بطن أمه « جون » ومنذ لحظة تسميته ولمدة بعض أسابيع بعد الولادة يخاطب والده بأبو جون ووالدته بأم جون .

ويكون المرء ماهراً مهارة سحرية إذا لم ينسى وينادى الأب أو الأم بإسمه الحقيق أو اسمها الحقيق وإلا يخرج هذا الاسم من بين شفتيه وهذا الحرص إنما يرجع إلى خوفهم على الطفل وهذه الظاهرة التى تسمى Tekronomo تسود بين العديد من القبائل البدائية .

وعند الوضع تعتنى أكبر أم فى القرية بالأم التى فى حالة الوضع التى تجلس فى كوخها على سجادة من الأوراق حديثة القطف متكأة على كرسى خشبى ذو أكواع مثبتة تستند عليها ذراعيها وتقوم إحدى النساء المساعدة للولادة بمساعدة الأم على الوضع بالضغط الشديد على الجزء العلوى من بطن الأم .

وبعد الولادة يقطع الحبل السرى ويحرق « الخلاص » فى الدغل القريب ثم

يعطى الطفل بعد ذلك حماما عقب نزع ما عليه من شعر بإحدى الصدفات .

ويعتقد الاندامان أنه إذا مات طفل فى بداية حياته فإن الطفل الذى يليه سوف يكون تجسيداً له ومن ثم يعطى نفس الإسم وهذا الاعتقاد فى التناسخ يكون فقط فى حالة الأطفال الموتى كما يعتقد الاندامان أن أرواح الأطفال الذين لم يولدوا بعد تسكن إحدى الأشجار فإذا مات طفل قبل فصامه تعود روحه مرة أخرى إلى الشجرة التى أتت منها ومن ثم لا تقطع هذه الشجرة أو تمس بأذى .

والطفولة هى إحدى الحلقات الثلاث من عمر الإنسان . وهى تستمر حتى فترة المراهقة . أما المرحلة التالية فتمد من فترة المراهقة حتى الزواج والمرحلة الثالثة منذ أن يتزوج الفتى حتى يموت .

وتتميز بدايات هذه المراحل الثلاث ـ كما هو الحال لدى العديد من القبائل البدائية الأخرى بعد احتفالات معقدة ، يطلق عليها الانثروبولوجيون احتفالات الحياة أو حقوق المرور وتقام هذه الاحتفالات وما يصاحبها من طقوس عند الميلاد . والبلوغ (ويطلق عليها احتفالات البداية) وكذلك عند الزواج والوفاة.

وخلال فترة الطفولة يعرض الطفل إلى عمليات تشريط الجلد التى تستخدم فيها قطعة صغيرة من الكوارتز لعمل الحزوز الصغيرة وتتم عملية التشريط على مراحل حتى يصل الطفـــل إلى سن المراهقة وعندئذ يكون جسمه كله قد تغطى بالشقوق ويعلل الاندامان هذه العملية بأنها تزيد الطفل قوة كما تكسبه مظهراً حسناً .

بالنسبة للفتيات فإن فترة الطفولة تنتهى مع حدوث أول حيض وعند ذلك تنعزل الفتاة وحدها فى كوخ لمدة ثلاثة أيام ولا تخرج منه مطلقاً إلا مرة واحدة

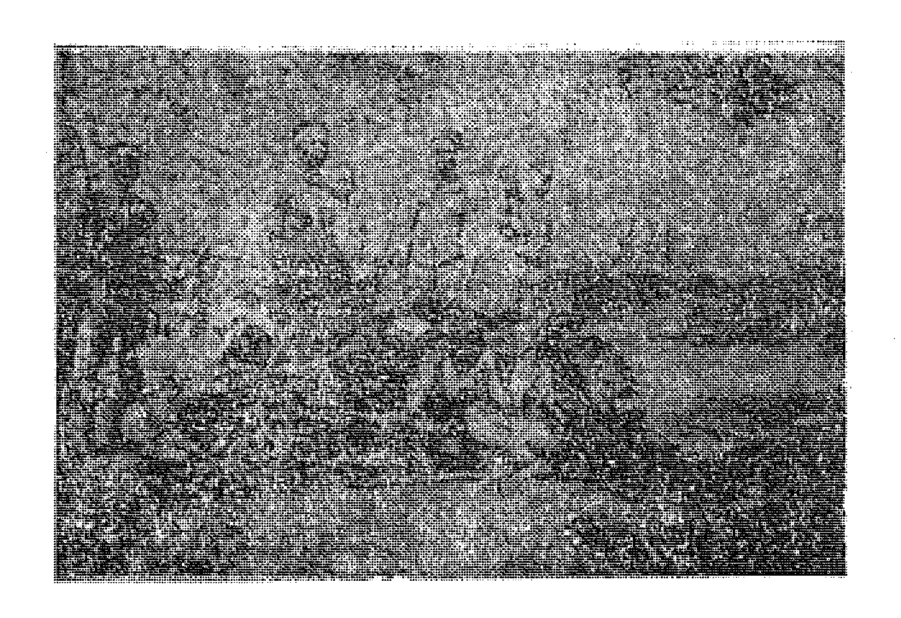
كل صباح للاستحمام فى البحر أو النهر وعلى الفتاة ان تتزين بباقات من أوراق الشجر كما يجب عليها أن تجلس طاوية ذراعيها وساقيها موضعتان تحتها ، ولا يسمح لها بالكلام أو النوم خلال الأربعة والعشرين ساعة الأولى وربما لا يسمح لها بالاقتراب من الطعام أو لمسه بأصابعها خلال الايام الثلاثة بأكملها ولمدة شهر كامل بعد هذه الايام الثلاثة يجب على الفتاة أن تستحم يومياً عند الفجر كذلك يستبعد إسمها الذى كانت تنادى به خلال فترة طفولتها وبعد فترة العزلة هذه يطلق على الفتاة إسم الزهرة أو الشجرة التى تكون فى فصل تفتحها أو أزهارها ثم تحتفظ به حتى يتم زواجها .

وعند ما يتقرر أن أحد الفتية قد بلغ سن الرشد يقام حفل راقص يستمر طوال الليل على شرف هذا الحدث الذى بعده يكون هذا الفتى مستعداً لتشقيق ظهره تشريطاً يتمم عملية تشريط جسمه بأكمله ثم بعد ذلك بعدة أيام يتم تشقيق صدره ولا يستخدم إسم الفتى لمدة أسابيع عديدة ولكن بعد انتهاء عملية التشريط ينادى الفتى بإسمه الحقيق وبعد الاحتفال بسن البلوغ يخضع الفتى إلى نظام غذائى يستمر لبعض الوقت وغالباً ما يستمر لمدة عام كامل وخلال هذا العام يسمح له بفترات قصيرة من الراحة على ألا يتناول خلالها أى نوع من أنواع الاطعمة المعينة وعند نهاية كل فترة امتناع عن طعام معين يشترك الشباب فى احتفال كبير.وأكثر هذه الاحتفالات تعقيداً هى تلك التى تحدث عقب مدة الامتناع عن أكل لحم السلاحف أو أكل لحم الخنزير .

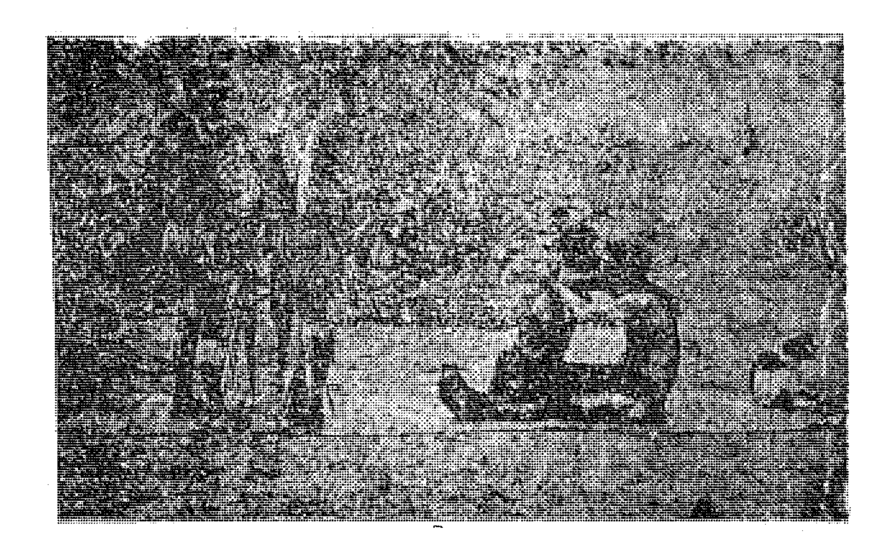
وهذه الاحتفالات أكثر تعقيداً من تلك التى تقام للاحتفال بوصول أول حيض للفتاة لكنها ترتكز على مفاهيم متشابهة مثل قوة الاحتمال والمحرمات الموحدة وبعد الإنتهاء من احتفال أكل لحم السلاحف يمنح الفتى إسماً جديداً .

وتتنوع الاحتفالات التى تقام بمناسبة الزواج ، ففى شمال جزر الاندامان حيث استقى راد كليف براون معظم معلوماته يعقد الاحتفال فى مساء يختاره والد العريس وتجلس الفتاة على حصير يحيط بها قريباتها وصديقاتها فى نهاية إحدى حلقات الرقص التى تضيئها المشاعل أما العريس وأسرته فيجلسون مع أصدقائه عند الناحية المقابلة من حلقة الرقص ثم يقف رجل كبير تبدو عليه مظاهر الاحترام ليشرح للفتاة وهو بعيد عنها ما يجب أن تفعله حتى تصبح زوجة صالحة ثم يتجه نحو العريس موجهاً له حديثاً مشابهاً ثم يأخذه بيده ويذهب به نحو عروسه وهنا يبدأ الأصدقاء والأقارب والأقارب فى البكاء بصوت عال بينما يجلس العريس وعروسه وكأنهما غير مدركين لما يحدث حولها إلى أن ينهض رجل آخر ـ غالباً ما يكون أقدم الرجال سناً ـ ثم يأخذ ذراعى العريس ويجعلها يلتفان حول رقبة عروسه فيما يشبه المعانقة ثم يجعل العروس تفعل نفس الشيء وبعد ذلك يجعل العريس فى وضع جلوس على ركبتى عروسه على اعتقاد أن ذلك يجعل كل منهما يحب الآخر ، ويجلس الرجل على ساق زوجته لعدة أسابيع وتتم عملية الجلوس بالتبادل وفى نهاية المدة يقوم أى صديقين أو قريبين ولو حتى من نفس الجنس بتنحيه كل من العريس والعروس عن بعضهما وذلك بالإنتحاب بشدة، ويبدو أن هذا العويل هو أفضل وسيلة للتعبير عن العاطفة إذ أنه يمكنهم استدرار دموعهم بسهولة وقد سال راد كليف براون بعض الوطنيين ذات مرة عن كيفية بكائهم بهذه السهولة وعرف الإجابة عند ما بكوا أمامة قبل أن ينتهى من القاء سؤاله . (شكل ٣، ٤)

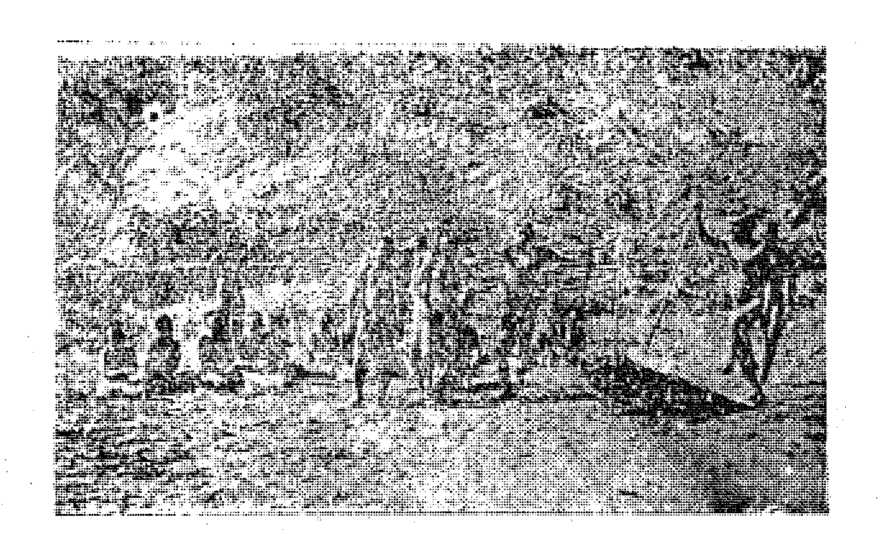
وبعد انتهاء احتفالات الزواج يقيم الاصدقاء حفلا راقصا شكل (٥) ثم يتسلل العروسان نحو كوخهما ومعهما هدايا الزواج ويتولى اصدقاؤهما تزويدهما بالطعام الوفير لعدة ايام متتالية ولا يخاطب احدهما الآخر باسمه الفعلى ولكن باستخدام



شكل (٣) الاحتفال بالزواج عند الاندامان



شكل (٤) سلوك اللقاء والمقابله لدى الاندامان



شكل (٢) الرقص لدى الاندامان

اسمه هو بطريق غير مباشر كان تقول الزوجه يازوج فلانه (تقصد نفسها) ويقول الزوج يازوجة فلان (ويقصد نفسه) وعندما يكون اول مولود على وشك المجيء يختار له اسم وينادى كل منها الاخر باسم الطفل الاتى .

وتعد الاحتفالات المصاحبه للوفاه وما يصاحبها من طقوس وعادات خاصه بالدفن من اطول الاحتفالات دواما واكثرها تعقيدا ، فبعد انتشار نبا الوفاه خلال القرية تأتى كل نسائها للجلوس حول جثه المتوفى وتظل النساء فى حالة بكاء وعويل حتى يصيبهن الانهيار ثم ينسحبن ليأتى الرجال الذين يبدأون فى البكاء فى حين يبدأ الشباب منهم فى دهن اجسادهم بطبقه من الصلصال كذلك تزين الجثه باربطه من الصلصال الابيض ، بينما اشرطه ذات لون احمر ثم يحلق شعر المتوفى وبعد ذلك تلف الجثه فى حصير وتربط جيدا باربطه من القصب وبعد ذلك يبدأ اقرباء الميت فى وداعه الاخير وذلك عن طريق نفخ زفيرهم فى وجه المتوفى ثم يقوم كل رجال القرية باصطحاب الجثه إلى البقعة التى ستحرق فيها وهى اما حفره عمقها ما بين ٣ ، ٤ اقدام او فوق منصه من الاشجار .

وتوجه رأس الميت نحو الشرق لتواجه الشمس ثم يقوم اقرباء المتوفى بوضع بعض الريش وأوراق شجره جوز الهند عند مدخل القريه ليعلم من يدخلها ان مدة الحداد لاتزال مستمره ثم يترك المعسكر مهجورا خلال هذه الفترة ، أما الأقارب المباشرين فيظلون فى حدادهم لعدة شهور واضعين عصابة من الصلصال فوق جباههم .

وفى هذه الفترة توجد محرمات عديدة يجب الإمتناع عنها فلا يوجد رقص أو تناول أطعمة محددة كما لا ينطق اسم المتوفى خلالى فترة الحداد ولا حتى اسم اقرباؤه .

وبمرور الوقت تنقضى فترة الحداد ، ويتحلل لحم الجثة وينفصل عـن العظام ومما يعتبر نهاية فترة الحداد ذهاب أقرباء الميت إلى الحضره أو المنصة لتى أحرقت جثته فوقها وإحضار عظامه من فوقها ثم غسلها جيدا ثم يحملونها معهم إلى القرية حيث يبكون عليها هم ونساء القرية وعند هذه اللحظة تنتهى فترة الحـداد تماما ويتحرر كل من قضى الحداد من الممنوعات التى كانت سائدة أبانها فى حفل راقص يعقد فى المساء وفى هذا الحفل تتم إزالة الصلصال الأبيض مـــن على جباهم ثم يزينون أنفسهم بالألوان الحمراء ويستمر الرقص طوال الليل كأى احتفال آخر .

وتحفظ عظام الميت لسنوات طويلة وتزين الجمجمه والفكين بنطاقات حمـراء وبيضاء متصلة فيما يشبه العقد .

وفى هذه المناسبات الرسمية يجب على زوج أو أقارب المتوفى المباشرين إرتداء هذه العظام بتعليقها حول رقابهم من الأمام أو من الخلف أما عظام الأطراف فعادة ما تحفظ فوق سطح الكوخ أما العظام الصغيرة فتنتظم فى شريط يرتديه أقارب الميت من الإناث من أجل الوقاية من الأمراض .

ويبدو أنه يسود بين الانداماان مشاعر مختلفة ازاء أرواح الموتى فأحيانا ما يكون هناك شعور بالحب والود نحو روح معينة وأحيانا ما يكون هـذا الشعور هـــو الخوف أو الرعب كما أنه هناك أوقات تستدعى فيها الأرواح للمساعدة ، وأحيانا ما تكون هذه الأرواح ميالة لايذاء سكان القرية وتستمد هذه الأرواح إرادتها وقوتها على عمل الشر أو الخير من قوة رجل الطب الشامان .

والشامان هو النمط الوحيد من التخصص الدينى بين الانداماان وهـو يتميز عن غيره من الرجال باستطاعته الاتصال بعالم الأرواح ومن ثم فهـو ذو قـوة غير طبيعية .

ويستطيع الرجل من الاندامان أن يصير شامانا إذا مات ثم يعود مرة أخرى إلى الحياة محتفظاً بخصائص الروح التى كان يتقمصها تقمصا مؤقتاً .

وفى اعتقاد الاندامان أيضا أن الإنسان إذا سار وحيدا فى الادغال يكون معرضا لإنه تختطفه الأرواح فاذا أظهر شجـــاته أمامها تركته سالما وبذلك يصبح شامانا .

أما فى الحالة الثالثة التى يصبح فيها الرجل شامانا هى أن يكون وشيك المـوت ثم يفيق ، وعموما فان الأحلام لدى الاندامان ما هى إلا مجموعة من الخبرات والاتصالات الخاصة بالأرواح كما يسود بين معظم البدائيين .

ويرجع اعتقاد الاندامان بخطورة النوم وعدم أهميته إلى أنهم يحرمون النوم على أفـــراد المجتمع عندما يمارسون احتفالات بدايات المراحـــل العمرية الثلاثة السابقة .

وترجع أهمية الشامان بين الاندامان إلى إعتقادهم فى مقدرته على إحـداث الأمراض وأبعادها أو التسبب فى حدوث العواصف ومن ثم يصير هـو القادر على الشفاء من الأمراض والمتحكم فى مظاهر الطقس والمستطيع إحداث الأمراض والطقس العاصف أيضا لابعاد أعداء القرية وكما فى مفهوم العالم البدائى تكـون مقدرة الشامان أما خيرة أو شريرة .

وفى اعتقاد الاندامان فان الأرواح تسكن فى الغابة أو البحر أو السماء وجميع الارواح هى أرواح موتى سابقين وبعضها أرواح أجداد أسطوريين كانوا أكثر شهرة وأقدم تاريخا من غيرهم ، وهـــذه الارواح الكبيرة كما يدعونها هى التى شكلتها أساطير وقصص الماضى القديم عندما خلقت مظاهر الطبيعة لأول مرة .

ويطلق على عديد من هذه الارواح أسماء طوطمية بمعنى أنها تحمل اسم نبات أو حيوان وفى حالات خاصة تكون هذه الارواح مسئولة عن خلق النبات والحيوان وأشهر أساطير الاندامان تتناول أصل مجتمع الاندامان لانهم لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم حتى وقت قريب ولا يوجد دين لدى الاندامان ولا آله معبود على الرغم من أن بعض الاساطير تؤكد وجود روح قديمة « بيليكو » أو « بولوجا » Biliko' • puluga يعتقد الاندامان أن لها أكبر قوه على الطقس عن غيرها من الارواح .

وكما يسود بين المجتمعات البدائية الاخرى فان مفهوم ما فوق الطبيعة يتخلل كافة النشاطات لدرجة أن يكون من الصعب التفرقة بين النشاط الدينى وغيره من الانشطة كالموسيقى أو الرقص أو حتى اللعب ، فالقصص التى تروى من أجل التسلية البهجة تكون فى نفس الوقت أساطير أرواح الاسلاف ، والمسرح الذى يرتبط بالغناء والرقص يمكن أن يتحول إلى وسيله ارتباط بين الافراد والقوى فوق الطبيعية .

وعموما فليس هناك دليل على أن نشاط معين هو نشاط دينى صرف .

وليس هناك أماكن خاصه للتعبد كالكنيسة مثلا ، كما لا يوجد رجال دين محددين كالقساوسة وحتى الشامان فان نشاطه يرتبط بالممارسة العملية وليس بالناحية العقائديه ، كما لا توجد لديهم أيام خاصة « كيوم الأحد مثلا » التى تميز الحياة الدينية عن الحياة الدنيوية .

والرقص هو الاسلوب السائد بين الاندامان للتسلية والاحتفال ، فالزواج يحتفل به باقامة الحفلات الراقصة ، حيث تكون فرصة يستطيع أى انسان أن يتمتع بها كما أن فترة الحداد على الميت يصاحبها حفل راقص يشارك فيه كل القائمين

بالحداد ، وحتى فى الحالات التى يسود فيها قتال فيقام حفل راقص قبل القتال كما يستعمل أسلوب الرقص ليلا بدون أى سبب ما عدا من أجل التسلية والمرح ،

والرقص التى تمارسه أى قبيله من قبائل الاندامان هـــو نفسه تقريبا الذى يمارس فى كل مناسبة وغالبا ما يقام الرقص فى منطقة مفتوحة فى منتصف القرية تقريبا حيث يوجد قالب خشبي يشبه الدرع لاحـداث أصوات تشبه أصوات الطبله والرجل الذى يدق عليها بقدمه هو نفس الرجل الذى يقوم بالغناء . وحول هذا الرجل تجلس مجموعة من النساء فى صف واحد فيما يشبه الكورس وأرجلهن عده أمامهن وفى غالبية حفـلات الرقص لاتشارك المـرأة فى الرقص باستثناء حفلات نهاية فترة الحداد . وتتألف الموسيقى من أغنية نثرية واحده يغنيها رجل هو فى نفس الوقت الذى يقرع لوحة الصوت ويغنى الكورس مع الرجل أما صف النساء يساعده فيحدث ضربات ايقاع بالتصفيق باستخدام ضربات اليد على التجويف الذى تسببه أفخاذهن المطويه ويبدأ الراقصون فى الرقص مع بداية غناء الكورس حيث يقفزون مع الايقاع على قدم واحده حتى ينهالهم التعب فيقفزون على الاخرى و ليس هناك أية محـــاولة من قبل الراقصين لعمل تنظيم معين أثناء الرقص باستثناء توحيد خطواتهم ، وأغنيتهم وطبله الصوت فقط هى وسيلة الموسيقى لدى الاندامان وغالبا ما يصاحبها الرقص وكلمات الاغنية ليست موضوعة مسبقا فكل مغنى عند غنائه يؤلف كلمات أغنيته وهناك اختلافات فى حدود ضيقة لان موسيقى الاندامان وأغنياتهم قديمة تقليدية مثل عاداتهم الاخرى ،

وينعكس ثبات حضارة الاندامان وقدمها فى فلسفتهم أو نظريتهم عن العالم فلا يبدون حب استطلاع أو حتى اهتمام بسيط بظواهر الطبيعة وما إلى ذلك

فمفهومهم عن مظاهر الطبيعة أو عن نظامهم الاجتماعى أنها قد انبعث ذات مره من أصل واحد كما أنها قد انتظمت فى مجموعة واحده تستمر فيها إلى الابد .

أما فكرة التغير فهى غائية كلية ويرى الانداءان نفسه جزءا من عالم منظم لكنه عالم لاينظمه قانون السبب والنتيجة فقوانين الطبيعة تشبه القوانين الاخلاقية فبعض الأفعال « صواب » وبعضها الاخر « خطأ » والافعال الخاطئة يتسبب عنها أذى أما الافعال الصحيحة فتنتج عنها أعمال ناجحة أو على الاقل غير مؤذيه .

والصواب أو الخطأ يعنيان الافعال التى تنظم أو لا تنتظم مع الطبيعة ومن هذا المنظور يرى الاندامان القواعد الاجتماعية وأساليب المعاشرة وظاهرات الطبيعة أيضا فالعاده الاجتماعية والقانون الطبيعى متشابهان تماما غير أنه من الصعب على الاندامان ايجاد وسائل ذهنية لعمل التعديلات التى خلقها التغير العظيم الذى سببه الرجل المعاصر وتكنولوجينه الحديثة .

ولقد سمع ماركوبولو عن جزر الاندامان لكن تعليقاته عليهم كانت تعليقات غامضة مما يدل على أنه قد اعتمد فى كتابته عنهم على الروايات الشائعة ، لكن المصدر الاصلى الذى أخذت عنه المعلومات التى استقاها ماركوبولو هو كتابات رحالين عربيين زارا المنطقة عام ٨٧١ ميلاديه وقد وصفا الوطنيين بأنهم خطرين جدا ومتوحشين وآكلى لحوم البشر وقد ترك الربان فردريك وصفا متشابها للاندامان فى رحلته التى قام بها عام ١٥٦٦ . فقد كتب فردريك أنه تمتد من جزر نيكوبار إلى جزر بيجو توجو سلسلة عدد من الجزر غير المعروفة تسكنها جماعات متوحشة يطلق عليها أندامان ويطلق على سكانها القساه أو المتوحشين لانهم يأكلون بعضهم أيضا وهذه الجزر فى حروب شديدة فيما بينها لأن لديهم

قوارب صغيرة تستخدم فى الاغارة على بعضهم البعض ثم أسر من يقع فى أيديهم من أعدائهم وأكل لحمه ، كما أن أى سفينة تفقد بين هذه الجزر لاينجوا من رجالها أحد حيث يذبحونهم ويأكلونهم .

لكن الاندامان ليسوا من آكلى لحوم البشر وربما الصق بهم الرحالة هذه الصفة حتى تثير رواياتهم من يقرؤها بادعائهم أنهم قابلوا بعض آكلى لحوم البشر

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ذهبت عدة رحلات إلى هذه الجزر ولكن كان معظمها رحلات عرضيه وأحيانا من أجل أسر بعض الوطنيين لبيعهم كرقيق .

وهو هدف لم يكن يؤدى إلى علاقة صداقة بين الرحالة والوطنيين .

وقد أقيمت أول مستوطنة دائمة فوق جزر الاندامان عام ١٧٨٩ عندما أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية تحت قيادة لورد كورنوول مجموعة من المستعمرين إلى الميناء الذى يعرف حاليا باسم بورت بليز ثم بعد ذلك نقلوا إلى ميناء كورنوول بسبب تدهور حالتهم الصحية فى الموضع الأول .

وفى عام ١٧٩٦ أخليت المستعمرة ومن يومها لم يطأ الجزر قدم أوروبى خلال الستين عاما التالية فيما عدا تحطم بعض السفن الأوروبية بين هذه الجزر وفى عام ١٨٥٨ أقيمت مستوطنة لعقاب المجرمين فى نفس الموقع الاول وقد استمرت بعد ذلك وقد قاوم الوطنيون هذه المستعمرة فى البداية وقاموا بعدة هجمات عليها وليس لدينا أية معلومات عن القسوة التى ربما تعرضوا لها .

وقد أقيمت مؤسسة تدعى بيوت الاندامان لامدادهم بالمساعدات الطبية والرواتب وأخيراً سادت العلاقات الودية بين الاندامان والاوربين باستثناء قبيلة فى مكان متطرف من الجزر .

وقدقامت الحكومة الهندية فى الوقت الحاضر ببعض الاعمال من أجل ادماج النجريتو فى الامة الهندية لكن الجـــزر بعيدة جدا عـــن المناطق السياسية والاقتصادية الحديثة لدرجة أنه من المحتمل أن ينقرض الانداماني قبل حدوث هذا الاندماج .

وقد كان لاحتكاك الوطنيين بالاوربيين تأثيرا مدمرا بسبب افتقاد الاندامان للمناعة ضد الامراض الاوربية فقد استمر الزهرى يفتك بهم حتى ١٨٧٠ وبعد أدت الحصبة والانفلونزا إلى خلو الجزر من سكانهـا مما أدى إلى تفـوق معدل المواليد على معدل الوفيات وهذا يدل على أن الاندامان فى طريقهم إلى الإنقراض.

جماعات الاسكيمو

The Canadian Eskimo

جماعات الإسكيمو

يكون الأسكيمو جماعة متميزة سلاليا ولغويا وحضاريا فى المنطقة القطبية التى تمتد من شرق جرينلند وعبر شمال كندا والاسكا إلى سيبريا وينتمى الأسكيمو من الناحية الجنسية إلى المجموعة المغولية حيث يرتبطون سلاليا بالهنود الأمريكين رغم أن بعض صفاتهم الخاصة جعلت بعض الانثروبولوجيين يفردون لها سلالة منفصلة عن الهنود الأمريكين . ويتميز الأسكيمو بصفة عامه بالقامة القصيرة إذ يتراوح متوسط طول الرجال بينهم ما بين خمسة وست بوصات فى حين يقل طول المرأة عن ذلك . وتتصف وجوههم بأنها عـــريضة مفلطحة مع بروز عظام الوجنات وذلك إلى جانب طية العين المغوليه والشعر الأسود الخشن ولون البشرة البنى الفاتح وغيرها من الصفات التى تلتصق بالمجموعة المغولية.

وتنتمى جميع لهجات الاسكيمو التى تنتشر عبر ٣٠٠٠ ميل إلى أرومة لغوية واحدة غير أن هذه اللهجات تختلف اختلافا طفيفا فيما بينها وعلى أى حال تكاد تكون لغة الاسكيمو منعزله تماما بحيث لم يحدث أى تسربات لغوية إليها .

ويبدو أن توافق الطابع الجنسى واللغوى والحضارى لجماعات الاسكيمو يشير إلى أنهم قد تحركوا إلى موطنهم الحالى فى فترة أحدث من تلك الفترة التى وصل فيها الهنود الأمريكيين إلى العالم الجديد . وحتى الآن لم يتمكن الاركـولوجيون من تحديد بدقة المكان الذى وفد معه الأسكيمو أوالوقت الذى جاءوا فيه . فأقدم المواقع الأثرية للاسكيمو فى رأس دبنيف **Cape Denbigh** بالاسكا تشير إلى أن عمر طلائع الاسكيمو يعود إلى ٤٠٠٠ عام ، بينما تواريخ تواجدهم فى المناطق الشرقية والوسطى فأحدث من ذلك حيث يبدو نمـــط مبكر لحضارة الاسكيمو يطلق عليه الاركولوجيون اسم دورست **Dorset** يعود إلى حوالى ٢٠٠٠ عام

وهو سابق لحضارة الاسكيمو الحالية والتى توجد فى هذه المنطقة. وهناك حضارة أحدث من ذلك توجد فى تول ويرجع تاريخها إلى ١٠٠٠م وتوجد على السواحل القطبية فى كندا . ويتبين الأدلة الأثرية أن هناك موجتين متتابعتين من الاسكيمو انتشرت صوب الشرق من الآسكا إلى جرينلند وأن هذه الموجات ربما حملت كثيرا من حضارة آسيا .

وجماعات الاسكيمو جماعات صائدة ولكن إذا ما قورنوا بالجماعات الصائدة الأخرى يظهر أن حضارتهم أكثر تطورا حيث تمكنوا تكنولوجيا من ملاءمة حياتهم فى بيئة يتصف مناخها بالقسوة ويعيشون بها فى كل مكان الإنسان البدائى .

وتأثير العروض القطبية يترك بصماته الواضحة على طبيعة البيئة الجغرافية إذ تقع معظم محلات الاسكيمو بين خطى عرض ٦٠° - ٧٠° شمالا حيث يوجد اختلافا جذريا بين فصلى الصيف والشتاء . ففى فصل الشتاء لايرى بعض الاسكيمو الشمس لعده أسابيع اللهم إلا على هيئة وميض بسيط من الضوء . بينما فى فصل الصيف فهؤلاء الذين يعيشون فى المنطقة الممتدة عن خط عرض ٦٦٫٥° شمالا يمكنهم رؤية الشمس طوال النهار والليل ، وبطبيعة الحال تختلف درجة الحرارة كثيرا على مدار السنة ففى فصل الشتاء الذى يستغرق حوالى ٩ شهور من السنة تنخفض درجة الحرارة دائما إلى ما دون الصفر كما تتراوح فى بعض الشهور ما بين ٣٠° ف و ٥٠° . ولاترفع درجة الحرارة فوق درجة التجمد إلى فى خلال شهرين أو ثلاثة فقط .

والتغير من الشتاء إلى الصيف الكامل يواكب دائما انصراف الانهار الجليدية وذوبان الثلوج فوق اليابسة . وما أن يحدث ذلك حتى يتغير المظهر الطبيعى فى المنطقة حيث تظهر النباتات القبطية الدائمة وذلك حتى قبل أن ينتهى الجليد من

الذوبان . كما تبدأ أسراب الطيور المهاجرة فى الظهور فجأة حيث يوجد فى المنطقة القطبية أكثر من مائة نوع من الطيور . كذلك يتنقل قطعان كبيرة من الكاريبو حيث تتبع تدريجيا ظهور النباتات فى الاتجاه صوب الشمال . كما أن حياة السكان تصبح أكثر قلقا وازعاجا إلى حدما حيث يصبح السفر صعبا بسبب وحولة الأرض وعدم إمكان المياه المذابة من الثلوج التسرب إلى أعماق تزيد على قدمين الأمر الذى يجعل من تلك المناطق التى تعرف باسم التندرا بيئة مستنقية ومن ثم تمرح حينذاك هنا الحشرات الضارة والبعوض وتسبب بلاء كبيرا للسكان.

ويحل الشتاء تدريجيا محل الصيف حيث تبدأ الحياة الطبيعية فى الموت السريع . فنى شهر سبتمبر قد يسقط بعض الثلج كما تبدأ بعض البحيرات الصغيرة . من التجمد غير أن جليد البحر يتكون مع شهر نوفمبر فى كل المناطق فيما عدا المناطق التى يوجد بها تيارات قوية . وعلى النقيض من الاعتقاد السائد لا تدفن أراضى الأسكيمو تماما تحت طائلة الثلوج وعلى الرغم من أنه يوجد اختلافات جذرية فى هذا الصدد إلا أن كل التساقط السنوى لايزيد على أربع بوصات حيث أن البرودة القاسية فى معظم السنة تحدد بصورة واضحة كمية الرطوبة الموجودة فى الجو ، كما أن الرياح القوية تعمل على ابقاء الأرض فى مناطق عـــديدة عارية من الثلوج .

وبطبيعة الحال البيئة ليست متشابهة تماما فى كل المنطقة التى يقطنها الأسكيمو ولهذا السبب فقد نمت بعض الحضارات المحلية اليها عكست هذه الاختلافات . وأن كان الاختلاف يتوقف أساسا على نوع الحيوان الذى يعتمد عليه الاقتصاد فمصدر الاسكيمو المميز هو عجل البحر التى تصطف وفى فصل الشتاء وإن كان بعض الجماعات الاقل تخصصا فى هذا والتى لاتعتمد كثيرا فى حياتها على الصيد

وتوجد أنقى أشكال الصيد القطبى الذى يطلق عليه حضارة القطب الراقية High arctic cultue بين أسكيمو القطب فى شمال جرينلندحيث تعتمدالحياة كلية على مصادر البحر (شكل٦). أما فى المناطق التى تقع أكثر نحو الجنوب فى جنوب



شكل (٦) اسكيمو يحفر قطعة من الصخر بواسطة مخراز النفخ

جرينلند ولبرادور وجزر أو ليشيان بالقرب من الاسكا فنجد أن الحضارة الشبه قطبية Subarctic culturs لها ارتباط أكبر بالمياه المفتوحة حيث يزداد الاعتماد أكثر على صيد الأسماك مستخدمين فى ذلك القوارب مع اختلاف طفيف للحياة الشتوية لاسيكمو القطب. وبالاضافة إلى ذلك توجد مجموعات صغيرة مثل جماعات أسكيمو الكاريبو Caribou Eskimo التى هجرت تماما البحر فى سبيل الاعتماد فى حياتها على تتبع الصيد البحرى وصيد الاسماك من الحفر الجليديه بنفس الطريقة التى يمارسها الهنود الأمريكين فى المناطق التى تقع إلى الجنوب

من مناطقهم . أما الحضارة الاقل تخصصا فى وسط وسواحل كندا فلها نمط آخر حيث يعتمد على الصيد فى الثلج أبان لشتاء وذلك إلى جانب الاعتماد لدرجة كبيرة على أنشطة الصيد البرى فى الفصول الإخرى . وهذا النمط هو أكثر أنماط الاسكيمو انتشارا بينا ما دون ذلك يمثل وجوها خاصا داخل جماعات الاسكيمو .

ويوجد لدى أسكيمو كندا الساحليون محالتين عمرانيتين أو أكثر حيث يعتمد موقع كل منها على النشاط الاقتصادى الرئيسى فى الموسم . وأطول مدة إقامة تكون فى الموقع لشتوى . وفى أواخــــر الشتاء تتجمع الاسر فى خليج محمى أو منطقة قليلة الثلوج . حيث تصبح الشواطيء المفتوحة عبارة عن أكوام من الثلوج التى حملت إلى الشاطيء فى رحلة ألا عودة . فى هذه الفترة يصبح صيد حيتان الشتاء هو النشاط الاقتصادى السائد .

وطريقة صيد الحيوان البحرى التقليدية المعروفة هناك والتى تسمى باسم صيد ماوبوك Maupok والتى تعنى انتظار الصائد إلى جانب فتحة تنفس الفريسة هى الطريقة السائدة حيث تأتى عجول البحر بانتظام إلى هذه الثقوب والتى كونتها منذ بدأت الجليد يتكون . وعلى الرغم من أن هذه الثقوب قــــد تغطى بطبقة من الثلوج إلا أن كلاب الاسكيمو الجائعة تستطيع أن تشم رائحة الحيوان البحرى من مسافة بعيدة وحينما يجد الصائد مثل هذا الثقب يقف إلى جانبه كالتمثال إلى أن يأتى الحيوان للتنفس فحينئذ يرشقه فى أنفه بالحربة . وفى بعض الاحيان لكى يجعل عمله أسهل إذ كانت الفتحة مغطاة بالثلوج فانه يترك قطعة من العظم التى تتحرك إلى أعلى حينما يمسها أنف الحيوان . ومن ثم فعليه أن يسرع لاقتناصه إذ أن فرصة صيد الحيوان قد لاتأتى إلا بعد بضعة ساعات أخرى وذلك لإن الحيوانات البحرية لها عدة ثقوب للتنفس تزورها تباعا وقد تعود إلى ثقب بعينه

بعد فترة طويلة . فقد ذكر أحد الباحثين أن شخصا قضى يومين ونصف إلى جانب ثقب للتنفس وذلك دون جدوى .

وبعد صيد الحيوان البحرى لايزال أمام الصائد عمل كبير على أن يؤديه فقد يكون رأس الحربة غير مثبة جيدا فى الفريسة ومن ثم فعلى الصائد أن يثبتها فى الحيوان كما عليه أن يوسع الثقب لاستخراج الفريسة وتقدم الثدييات البحرية إلى الاسكيمو بالاضافة إلى الطعام الشحوم التى تحرق بدون دخان وتعطى حرارة تبعث الدفء والضوء خلال شهور . ولولا هذه الشحوم لكانت حياة الاسكيمو صعبة للغاية حيث لاتوجد أخشاب تحرق فى المناطق القطبية ، كما أن دهون الحيوانات الأخرى ليست مثل دهون الثدييات البحريه . ولا يستخدم جلد عجل البحر Seal دائما فى صناعة الملابس إذ أن فروة حيوان الكاريبو تعطى أكثر دفئا كما أنها أخف وأسلس فى الصنع . وتأكل كل أجزاء جسم عجل البحر بدون طهى ولا يعرف كيف أن الاسكيمو لايدركوا مدى أهمية هذه اللحوم النيئة للصحة وإن كان من المؤكد أنهم يعانوا العديد من النقص الغذائى إذا لم يتناولوا هذه اللحوم غير المطهية حيث لايوجد خضروات طازجة أو فاكهة وذلك لمدة تتراوح مابين تسعة وعشرة شهور فى السنة .

وحينما يصبح النهار أطول تبدأ ثلوج البحر فى التشقق والإنكسار مكونة قنوات تجرى فيها تيارات قوية ومن ثم تبدأ الأسر التى كانت تعيش فى المحلة الشتوية تتحرك وتنتشر لتدخل فى معسكرات لصيد الربيع حيث تبدأ الثدييات البحرية مع صغارها فى الظهور على الثلوج وتقدم صيدا سهلا للصائدين المهرة الذين يمكنهم الزحف ورائهم والامساك بهم . ومع تحسن الطقس بزيادة الدفء يجوب الصيادون أطراف المياه المفتوحة وذلك للصيد حيث يصطادوا فى بعض

الأحيان الحيتان . كذلك يصبح الصيد البرى فى هذه الفترة هاما ولا سيما الثور الموسكى الذى انقرض للافراض فى صيده . ومن عادة هذه الحيوانات تكوين دائرة للحماية حيث يقف الذكور فى المقدمة والإناث والصغار فى الداخل . ولذا فيسهل على الصيادين قتل أعداد كبيرة منهم بسهولة . وتجمع كميات كبيرة من اللحوم والشحوم فى هذا الفصل الوفير وتخزن فى أكوام مرتفعة تغطى بالحجارة وذلك لحفظها من التهام الحيوانات .

وفى فصل الصيف أو كما يطلق عليه فصل السعادة تجذب نباتات التندرا أعداداً كبيرة من قطعان الكاريبو صوب الشمال ومن ثم تقام معسكرات الصيف على رؤوس الاودية الداخلية .

وهنا تبدأ العناصر المتناثرة فى التجمع لتشترك فى الصيد الجماعى . ويستخدم بعض الصيادين القوس والسهام ولكن الطريقة الناجحة هو مطاردة القطعان إلى خور مغلق أو مستنقع أو بحـــيرة حيث يسهل صيد الحيوانات هناك . كذلك يمكن اصطياد بعض الحيوانات الصغيرة فى الصيف كالذئاب والثعالب والأرانب وذلك عن طريق الفخاخ . أما البط والاوز والطيور الأخرى الكبيرة فتصطاد عن طريق الفخ أو باسقاطها بالسهام والنبال . أما الطيور الصغيرة فتقوم النساء والأطفال بصيدها عن طريق الشباك . وتخزن الطيور الزائدة فى حفر أرضية حيث تتجمد .

والأسماك وفيرة فى فصل الصيف على طول سواحل كندا ولا سيما سمك السالمون والذى يبدأ هجرة الفصلية مع بداية الصيف إلى أعالى الأنهار . فى هذه الفترة تتحرك جماعات السالمون فى أعداد هائلة كثيفة لدرجة أنه يمكن اصطياد كمية كبيرة منه فى الرمية الواحدة . ويستخدم السنار المعقوف والمستقيم ذوى السنون

العاجية فى الصيد فى المياه العميقة ، كما تستخدم الشباك والسدود فى بعض المناطق الأقل عمقاً .

وتجمع فى هذا الفصل بعض الجذور والنباتات غير أن عمر هذا الفصل قصير والنباتات النافعة نادرة ومن ثم لا تلعب دوراً هاما فى الحياة الغذائية للاسكيمو .

ويقل نشاط الصيد فى الفترة الممتدة من أواخر الصيف وحتى الشتاء إذ يترك الكاريبو الأقاليم الساحلية كما أن الثلوج لم تأخذ بعد صفتها الدائمة التى تتواجد عليها فى الشتاء . ويوجد دائما وفـــرة فى الطعام المخزون الأمر الذى يوضح . كيفية عدم الإستمرار فى مواقع المعسكرات والحلات العمرانية التى ظهرت فى الفصل السابق . وتستطيع الاسر المختلفة أن تعود إلى نفس المكان مرة أخرى حين يأتى موسم الاصطياد . وتشغل بعض الجماعات الكندية منازل حجرية دائمة فى وقت الصيد مما يساعد على استخدامها لعدة أجيال بل قد تستخدم بصفة دائمة إذ كان من السهل الوصول منها إلى مناطق صيد الشتاء وبعضها يبقى مسكونا حتى بداية الربيع .

ويشتهر الاسكيمو بادواتهم المميزة وطرقهم المتعدده فى الصيد والنقل وصنع الملابس وبناء المساكن . فبعض طرق ملائمتهم للحياه القطبية لم تكن وليده تقدم العلوم الصناعية فى العالم الحديث . فالرحلات الاستكشافية الكبرى التى اتجهت إلى المناطق القطبية والشبه قطبيه والمجهزة بأحدث تكنولوجيا العـــلوم لجأت لإستخدام بعض معدات الاسكيمو مثل الزحافات وكلاب الاسكيمو المدربة وقارب الكاياك والملابس الجلدية ولا سيما أردية القدم أو أحذية الجليد .

وقد لجأ الاسكيمو إلى ملائمة حياتهم بهذه الصورة فى بيئه ينقصها موادها الرئيسية ولا سيما الأخشاب التى تخدم أغراض تكنولوجية عديده فى بقية

أنحاء العالم . فالأحجار والعظام والعاج وجلود الحيوانات وكذلك الثلوج والجليد قد تحل محل الاخشاب . فقد تستخدم العظام والعاج والقرون فى عمل الزحافات إذ تصنع الزحافة التقليدية لاسكيمو الوسط عن طريق تجميع عظام فك الحوت وحقيقة أنهم يصنعون الزحافة من قطع متعدده وليس قطعةواحدة حيث لهاميزه عملية هامة إذ أن الزحافة المصنوعة من قطعة واحده قد تكون أقل ثباتا أثناء انزلاقها على الجليد من تلك المصنوعة من قطع متعدده .

ويعد كلب الزحافةمن أشهر عناصر حضارة الاسكيمو إذ ان هذا الكلب الضخم القوى القلب هو الحيوان الوحيد الذى يربى فى جميع بقاع الاسكيمو حيث يستخدم عدد من الكلاب التى يقودهاكلب متقدم ببضعة أقدام عن الأخرى فى جر الزحافة وتكون كلاب كل زحافة مجموعة متآلفة يقودها أقوى المجموعة ويشجعها حيث يعرف كل كلب موقعه فى عجلة الجر عن طريق التعود . ويصل عدد كل مجموعة خمسة أو ستة كلاب ولكن فى أغلب الاحيان يقل العدد عن ذلك إذ ان الكلاب العاملة تستهلك كميات كبيرة من الاسماك والثدييات الامر الذى يجعل اقتنائها باعداد كبيره امرا مكلف ولاسيما ابان فصل الشتاء الطويل .

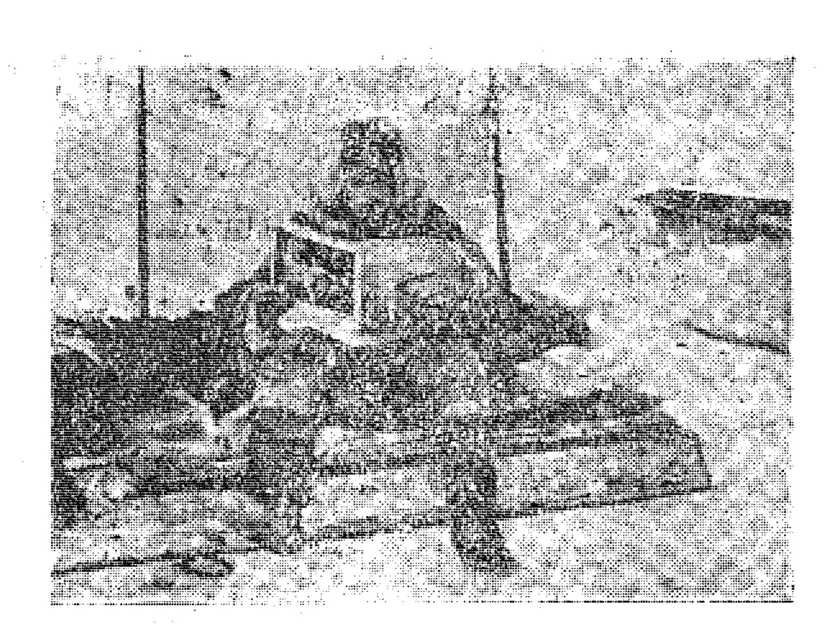
ويعتبر قارب الكاياك وسيلة هامة للصيد لاسكيمو الساحل فى فصل الصيف . وهذا القارب الذى لايزيد حجمه عن قوارب « الكانو الصغير » يعتبر من أفضل القوارب البحرية الصغيرة التى اخترعت فقد صنع إطاره أوهيكله من عظام الحيتان ويبطن كله بالجلود ولم يترك فتحة سوى تلك التى يجلس فيهـــا النوتى . وما أن يجلس بها وهو مرتدى جاكت من الجلد ويثبت فى القارب حتى يصبح جزءا منه.

أما عن الأومياك Umiak قارب المرأة فهو أكبر حجما من الكاياك كما أن سطحه مفتوحه وذلك عن النقيض من قارب الرجال ويستخدم عادة كوسيلة فى

الانتقال أكثر من استخدامه فى الصيد . وتستخدم قوارب الكاياك والاوميالك أيضا بعض القبائل فى شمال شرق سيبريا أذ وصل إلى هناك عن طريق جماعات الاب القديمة فى النرويج . ويستطيع الباحث أن يجزم أن هذا القارب من اختراع الاسكيمو وينطبق ذلك على بعض أدوات الاسكيمو الأخرى .

وعلى الرغم من أن منزل الاسكيمو بسيط إلا أن فحصه يشير إلى دقة تركيبه فمنزل الثلج المؤقت الذى يطلق عليه اسم أجلو Igloo معروف جيدا لكثير من الدارسين غير أنه ليس من السهل تشييده كما يتصور البعض فكتل الثلوج الضخمة تقطع من جروف ثلجية متماسكة بواسطة سكاكين طويلة عظمية ثم ترص على شكل قبة . ويستطيع الاسكيمو قطع الكتل الثلجية بسرعة فائقة وبأحجام دقيقة تلائم الأماكن المطلوب وضعها فيه بدقه . وإذا كان استخدام المنزل لفترة طويلة فانه يبنى بقطر يصل إلى ١٢ قدما وارتفاع فى الوسط يصل إلى تسعة أو عشرة أقدام. شكل(٦) وقد تبنى أماكن جانبية للطهى والتخزين كما يمد رصيف كبير من الثلوج للنوم ويغطى بالجلود . وتصنع النوافذ من جلود أمعاء عجل البحر وتبدو على هيئة ثقوب . وقد يستخدم فى بعض الأحيان غطاء من الثلج كنافذة وذلك حينما يبنى المنزل لفترة مؤقتة . ومدخل المنزل عبارة عن نفق صغير يمكن الدخول اليه عن طريق الزحف وذلك لكى يمنع البرودة . وهذا النفق طويل فى العادة لنفس السبب لسابق وترتفع أرضية الحجرة الرئيسية غالبا قدم أو اثنين عن مستوى الممر وذلك أيضاً من أجل الابتعاد عن تيارات الهواء الباردة .

وتغطى فى بعض الأحيان جدران الحائط والأسقف بجلود عجل البحر وذلك عن طريق تثبيتها بأحبال تخترق الحوائط . وفى هذه الحالة تخلق طبقة عازلة من الهواء حيث يستطيع الأهالى أن يرفعوا درجة حرارة المنزل عن طريق المواقد لدرجة معتدلة دون أن تؤدى إلى إذابة الحوائط الداخلية كثيراً .



شكل (٦) أحد الاسكيمو يجلس فى خيمته

والمنازل الدائمة التى تشيد على الساحل لها ممر مماثل المنازل السابقة ولكنها تختلف عنها فى أنها تنحت فى الأرض لعمق قدم أكثر ، وأن حوائطها تبنى من الحجارة التى ترتفع عن سطح الأرض ما بين خمسة وستة أقدام ، كما تستخدم عظام الحوت ولاسيما الضلوع كدعائم للمنزل ويراعى وضع العظام المقوسة فى واجهة المنزل وذلك لسهولة عمل النوافذ كما يغطى السقف بالجلود مع العلم بان الثلوج الساقطة فى فصل الصيف تكون طبقة عازلة فوق المنزل ، أما الأرض والحوائط والأسقف وكذلك رصيف المعيشة أو مكان العيش فتغطى جميعها بجلود عجل البحر . أو عظام الحيوانات الأخرى فتستخدم كمشاجب فى الحائط أو تستخدم فى أغراض أخرى كعمل السنانير والفخوخ .

والمنازل ذات تهوية كافية غير أنه لايوجد بها تيار حيث يدخل الهواء البارد من الممر ويدفء عن طريق المصابيح ومن ثم يخرج رويدا رويدا من الفتحة

الصغيرة الموجودة فى السقف ، أما فى المساكن الاصغر فتستخدم المصابيح فى أغراض أكثر من كونها مدافىء . وفى معظم الأحيان ترتفع درجة الحرارة فى المنازل لدرجة أن السكان يتعرون حتى الوسط . ويوجد فى معظم القرى الثابتة كوخ كبير يستخدم لمقابلات الجماعة واحتفالاتهم واقامات الطقوس المختلفة .

وفى فصل الصيف تستخدم خيام مصنوعة من جلود الكاريبو وعجل البحر حيث يصنع إطار لها على شكل نصف مخروط من عظام الحيتان مع عمود يمتد أمام الخيمة . أما من ناحية تنظيم الداخل فيشبه ذلك التنظيم الموجود فى المساكن الشتوية لهم .

وملابس الاسكيمو ملائمة تماما للاحوال القطبية فهى محاكة بإتقان ومصنوعة بدرجة أنه من الصعب إدخال أى تحسينات عليها . فكل الملابس مصنوعة من جلود الحيوانات فيما عدا رداء المطر الواقى المصنوع من الجوت Gut . ويعد الجلد أولا عن طريق تخليصه من الدهون الموجودة به من الداخل بواسطة سكين ثم يشد بعد ذلك على عظمتين ليجف وبعد ذلك تقمن النساء بمضغ الأجزاء الداخلية لتخليصها من الدهون المتبقية ولتليينها . ويجفف بعد ذلك للمرة الثانية حيث تستخدم مماشط وسكاكين من العظام لتليينه أكثر . والجلود المصنوعة بهذه الطريقة يمكنها المحافظة على درجة الحرارة ..

ويرتدى كل من الرجال والنساء قمصان داخلية مصنوعة من جلود الكاريبو والطيور أو الفراء ويوضع فوقها قميص خارجى مبطن بالفراء ومصنوع أيضا من جلد الكاريبو أو جلود الدببه ويمتد حتى الركبة أما النساء فلا يصل البنطلون إلى الركبة ويرتدى كل من الرجال والنساء أحذية صيفية مصنوعة من جلود عجل البحر بينما تصنع أحذية الشتاء من جلد الكاريبو . ويصل حذاء السيدات حتى نهاية

بنطلونين القصيرة بينما يصل حذاء الرجال حتى الركبة وهذه الأحذية لاتغطى المفاصل ومن ثم فتوضع لها ما يشبه الرقع وذلك لحمايتها .

وتتسم صناعة الأسكيمو بالتنوع الكبير فى أسلحة الصيد فهناك أنــــواع عديدة من المقاشط والسكاكين والمخارز وأنواع أخرى من الأسلحة المدببة التى صنعت عن طريق شطف الحجارة وحكها . وفى بعض الأماكن القليلة المفرقة عرف الاسكيمو كيف يطرقون النحاس لتشكل بعض السكاكين كما استخدم الحديد فى صناعة بعض المقاشط والسكاكين فى شمال غرب جرينلند . وأسلحة الصيد التقليدية هى القوس والسهام وتصنع القوس فى العادة من ثلاث قطع من العظام التى تربط سويا بواسطة حبال مطاطه . ويعتبر الرمح بأنواعه المختلفة أهم أنواع أسلحة الأسكيمو الوطنية ، ويتكون الدمح فى العادة من أجزاء متعددة فالرمح الذى يستخدم فى صيد عجل البحر يتكون من أربع أو خمس عقل تثبت رأس حربه فى طرف العقلة الأمامية . وقد تصنع رؤوس الحراب من العاج وإن كان معظمها يصنع فى الوقت الحاضر من المعدن . وتثبت رؤوس الحراب الطويلة فى عصى الحربة على طريق ثقوب طوليه وعن طريق عقد حولها .

وقد يصنع عديد من الأوانى المنزلية من العظام والعاج . فمن طريق المثقب المنحنى تمكن الاسكيمو من قطع وتشكيل أدوات دقيقة كالابر والأمشاط والمخارز والمعالق والتى قد تزين بنقوش ، كما أن تزين الأسلحة بواسطة التماثيل أمر سائد بين الاسكيمو . وقد تنحت بعض أوانى الطهى ووعاء لمضة الإنارة مــــن بعض الأحجار . أما الأدوات الأخرى مثل الاكواب والشنط والجرادل والاطباق فقد تصنع من جلود عجل البحر المحاكة . أما عملية الطهى فهى عملية بسيطة من القلى ولذا فقد اخترع الاسكيمو نوعا من الانية الفخاريه لهذا الغرض .

ويؤكل معظم طعام الاسكيمو نيأ ومن ثم ففنون الطهى غير متقدمة لديهم إذ ينظر إلى الطعام ببساطة على أنه مجرد تموين الجسم بالوقود . ويستطيع رجل الاسكيمو أن يأكل كمية كبيرة من اللحوم فى الوجبة الوحدة حيث يضع فى فمه قطعة طويلة من اللحم ويقوم بتقطيعها بالسكين بالقرب من شفتيه . وقد تهدد المجاعة الاسكيمو باستمرار فى بعض أوقات السنة حتى أن جلود الاحذية قد تمضغ فى بعض الاحيان من أجل زيوتها وذلك فى حالة غيبة الطعام . أما بعض الطيور واللحوم فتأكل فى أغلب الاحيان بعد فسادها ، حتى الديدان التى تمرض فى اللحوم الفاسدة لاتستبعد منها عند أكلها . أما أمعاء الطيور والاسماك فقد تدخن كما أن الاسماك الصغيرة قد تجلب حية . ولايمكن لعائلة الاسكيمو أن تتعرض لمجاعة كثيرا مادامت يوجد لدى للعائلات الاخرى الموجودة فى المعسكر طعاما . فأى شخص جائع أو غريب يمكنه أن يتقدم ليأكل من اللحوم التى لدى شخص آخر . وحتى فى أوقات وفوة الطعام يوزع الصائد الماهر فريسته على الرغم من أنه قد يحتفظ لنفسه ببعض الاجزاء المرغوب فيها . والمسائلة ليست مسائله كرم بقدر ماهى حقيقته تتصل بالحياة والموت إذ أن الصائد الذى ينجح مرة فى اصطياد فريسته قد يفشل مرة أخـــــرى ومن ثم فالمشاركة هى الوسيلة الوحيدة للتوزيع حيث أنه لايوجد سوق أو أى نوع من التجارة ومن ثم فبواسطة هذه الطريقة يتصرف الاسكيمو فى انتاج الطعام الفردى .

وكل مواطن أو فرد له حريه استغلال انتاج الارض والبحر وحتى المنازل الثابتة أو الدائمة فلا ينظر اليها على أنها ممتلكات خاصة فإذا كان المسكن متوفرا حتى ولو لفصل واحد فأى عائله أخرى يمكن أن تستعمله . أما ملابس الفـــــرد الخاصة وأسلحته وأى شىء آخر يقوم لصناعته لاستخدامه الشخصى فكما هـــــو الحال فى المجتمعات الاخرى تعتبر ملكا له ويتصرف فيها كما يشاء . ولذا فقد

يعير الاسكيمو أسلحته وبعض أدواته إلى شخص آخر إذا ما طلب ذلك .

ولكل من الرجل والمرأة مجال نشاطه الخاص . فالرجال صائدون أو صانعوا أدوات صيد بينما تقمن النساء بجميع الطيور من مخالبها وكذلك جمع بعض النباتات التى يستصاع أكلها والمحارات والاطعمة البحريه وذلك إبان فصل الصيف . وتعد من أصعب الاعمال وأكثرها مهارة صناعة المرأة للملابس وذلك بعد إعداد الجلود اللازمة لذلك . والنساء كما هو الحال فى المجتمعات عليهن تدبير أمور المنزل ورعايه الاطفال والطهى والاصلاح .

وتعتبر العائلة الوحدة الانتاجية فى المجتمع ، فهى الصناعة وهى المستهلكة وذلك فيما عدا المشاركة بين العائلات . وتوزع الثروة على كل سكان المحلة العمرانية فيما عدا بعض الاختلافات الفرعية وذلك بالنسبة لصاحب الشيء ومن ثم فليس هناك فقرا أو غنى فى المجتمع . ولايوجد تخصص فى المجتمع إلا فى وظيفة الشامان Shanan أو المطبب الذى يعرف باسم أنجاكوك Angakak الذى يعطى الهدايا فى سبيل خدماته من أجل شفاء المرضى . وهو رغم ذلك يقوم بالصيد من أجل العيش ومن ثم فتخصصه جزئى ووقتى .

وقد يكون للرجل المطبب أو الشامان تأثير شخصى قوى فى المجتمع، غير أن ليس له وظيفة أو نفوذ . وكما هو الحال فى المجتمعات البدائية الأخرى ينقصها تماما التنظيم الدينى والحكومى، كما ينقصها ايضا التقسيم الإجتماعى والتنظيم الحربى وغيرها من الصفات التى تميز المجتمع المتحضر . فوحده العائلات المنفرده فى المحله العمرانية تعتمد أساسا على صلة الدم والتعاون الإقتصادى غير أن هذا التنظيم ضعيف وذلك بسبب التغير الدورى فى مكان السكن والاختلافات الفصليه فى حجم وعضويه الجماعة . فلا توجد الروابط القبلية أو أى نوع آخر من التنظيم

الوحدوى بين المقيمين في محلة عمرانية واحدة . ونظام رابطه العم الذى يوجد لدى الاسكيمو يشبه ذلك الموجودة لدينا فاقارب الام يطلق عليهم نفس الالفاظ التى تطلق على أقارب الام في مجتمعنا كذلك بالنسبة لأقارب الاب فينادوا بالعم والعمة وغير ذلك من رتب القرابة . نفس التميز يظهر فى الجنس وفى الجيل وبين الاصلاب وغير الاصلاب والاتجاه الاخير اتجاه غير عادى بالنسبة للمجتمعات البدائية إذ لايظهر إلا فى الحيــاة المتمدينة فمصطلح أب أو أم لايشمل سوى الوالدين فقط ولايطلق على العم أو الخالة كذلك مصطلحى أخ واخت لايستعمل بالنسبة لابناء العمومه . وهـــذا النظام يعكس بصفة عامة الحياة الإجتماعية والاقتصادية للاسكيمو . فـكما هو الحال فى مجتمعنا نجد أن الأسرة النووية التى تتكون من الاب والام والاطفال ليس لها نظام إذ يرتبط جميع أفراد الاسرة مع بعضهم على مدار السنه .

وتقدر عائله الاسكيمو الاطفال إذ يتساوى لديهم الذكور بالاناث غير أن صعوبة الحيــاة وقسوتها تدفعهم إلى التخلص من الاطفال المرضى والمشوهين كذلك حين حدوث المجاعات لابد ان يضحى بالطفل وفى هذه الحاله تكون الاسبقية للبنات. ويرضع الاطفال فى العادة لمدة عامين ما دام لم يأتى الطفل جديد فى هذه الفترة وأن كان يعطى للأطفال فى هـذا السن من آن لآخر بعض اللحوم النيئه التى تقوم الام بمضغها قبل اعطائها لطفلها. (شكل ٧)

وينهر الاطفال إذ ما ارتكبوا خطاءا إذ لايوجد فى الواقع أى نوع من العقاب عند الاسكيمو، ويلعب الوالدان دورا كبيرا فى مساعدة الاطفال فى اللعب وتعليمهم وانتقال الاطفال إلى عمل البالغين يحدث تدريجيا وذلك بالنسبة للذكور والاناث على السواء ، وسن البلوغ يتراوح ما بين ١٣ و١٥ عاما . ولايصاحب



شكل (٧) سيده من لاسكيمو تحمل طفلها

بلوغ الذكور والاناث أى طقوس ملحوظة ، وبعد البلوغ هنــاك اتصالات جنسيه بين الشباب والشبات إذ لا بد أن يبقى الفرد فترة طويله اعزب لان تكوين الأسرة يتطلب الاكتفاء الذاتى .

وتوجد حرية كبيرة فى اختيار الزواج وان كان هناك بعض التقاليد المعترف بها فى هذا الصدد إذ لايجوز الزواج بين الآباء والابناء أو الاحفاد أو الاخوه غير أن زواج ابناء العمومه أمر شائع . والزواج يكون فى العادة محلى حيث يختار الزوج زوجته من القريه التى يعش بها وأن كان ذلك لايمنع من أن الاختيار قد يحدث من خارج المحلة العمرانية التى يعيش بها . ويبدو انه ليس هناك قواعد معينه لاقامة الحياة الزوجية فى الحالة الاخيرة فيمكن للزوجين ان يقميا فى محلة الزوج أو الزوجة على السوء .

ويلاحظ بصفة عامة أن سن زواج المرأة أقل من سن زواج الرجل فى العادة ببضعه سنوات ويحدث الزواج عادة بين ١٤و١٥ سنه . ولاتقام احتفالات للعرس ولايقدم العريس مهرا لعرسه أو أى هديه من الهدايا . فالعريس يحمل عروسة من أسرتها و كأنه يأخذها عنـــوه ومن ثم فلابد وأن تبدى العروسه مقاومة ظاهرية عند حملها . وقد يحدث تعدد الأزواج أو الزوجات فى بعض الاحيان ولكن التقسيم الاقتصادى للعمل فى المجتمع فى مثل هذه الحاله يكون أكثر ايجابيه ومن ثم فهذا النوع من الزواج هو انسب انواع الزواج عندالاسكميو .

والطلاق مسائله شائعه لدى الاسكميو ولاسيما فى حالة عدم انجاب اطفال والبغاء أمر معترف به بين الاسكميو والحرية فى هذا ممنوحه كاملا للرجل فالرجال لهم الحق بمباشرة أى امراة دون الخوف من النقد ولكن قد تضرب الزوجة بقسوة من زوجها إذا ما اختلطت برجل آخر دون إذن ويتبادل الازواج زوجاتهم فى العادة لفترات قصيرة وليس هناك حاجه فى أن يأخذ الازواج رأى زوجاتهم فى هذا الصدد . وكرم الضيافه صوب الغريب أمر معترف به بين الاسكميو إذ يحتم كرم الضيافه أن يعطى زوجته إلى الضيف اثناء وجوده وليس هناك عدم الاعتراف بشرعية الاطفال وان كان الاطفال الذين يأتون سفاحا يقتلون فى بعض الاحيان وذلك لضرورة اقتصادية حيث تفتقر أم الطفل لرجل يصيدطعامها .

سلوك اجتماعى آخر جدير بالملاحظة بالنسبة للاسكميو وهى قتل المسنين أو الاشخاص العاجزين . وهذه العادة على أى حـــال ليس خطيرة لانها تحدث فى أوقات المجاعه وذلك لاسباب واضحة جدا .

فحياة المجموعة ككل أو على الأقل حياة الأسرة تمكن أن تهدد نتيجة لزيادة أى أعباء عليها ويدرك الكبار ذلك تماما ، ولهذا فقد يقتل الابن والده أو والدته تبعاً لأمرهما. وفى بعض الحالات الأخرى ككبار السن والمرضى ربما يتركوا للموت وهذا أيضا بناء على طلبهم . وكثيرا ما تأخذ روح التضحية الذاتية من أجل الأسرة أو القرية شكلا جماعياً . وعلى الرغم من ان الاسكيمو يتسمون بالاحساس الدقيق إلا أن عليهم أن يواجهوا عملية القتل القاسية كما يواجهوا أى حقيقة أخرى تقابلهم فى حياتهم .

وقد يعجب دارسو مجتمعات الاسكيمو من صعوبة الحيـــاة التى يعيشها الاسكيمو لدرجة أن بعضهم قد يصاب بالانهيار الكامل فيما يعرف باسم « الهستريا القطبية arctic hycs terie » حيث يفقد الشخص قدرته على السيطره على نفسه تماما ، ويصيح ويعض على شفتيه ويلقى بنفسه على الأرض . وهذا السلوك أمر عادى وقد يصاب به الاسكيمو حين يصاب بصدمة . ولكن رغم ذلك كله فيتصف الاسكيمو بالبشاشة والتفائل الأمـــر الذى يبعث على سرور أى غريب يعيش بينهم .

وفى حالة الوفاة يسرع الاسكيمو فى التخلص من جثة المتوفى وشأنهم فى ذلك شأن معظم الشعوب وذلك خوفا من الأشباح . ويكفن المتوفى بأفضـــل ثيابه ويوضع فى كيس من جلد عجل البحر ثم يدفن تحت كومة من الاحجار مصحوبا بكل ممتلكاته الخاصة . وقد يخشى الاسكيمو ظهور شبح المتوفى فى غضون الخمسة الايام التالية للوفاة ومن ثم فقد يبتعدوا فى هذه الفترة عن كل انشطتهم . وبعد ذلك يقال أن الأشباح قد تختفى فى العالم الآخـــر . أما اسم المتوفى فقد يعطى لمولود جديد من أحفاده ومن ثم فيظل الشخص المتوفى ذكرى فى جماعته . ولا يعتمد الاسكيمو كثيرا فى الحياة الآخرة .

وينظر الاسكيمو للمرض على أنه نتيجة لقوى طبيعية خارقة ومن بين المعتقدات السائدة لديهم أن الارواح قد تسلب من جسد الشخص المريض ، كما قد يسبب المرض فى بعض الاحيان رجل مطبب شرير أو بالروح التى تسيطر عليه والتى غرسها فى جسد المريض . ويظهر الاتجاه الاخير بوضوح فى حالة شكوى الشخص من ألم فى بعض أجزاء جسده . وفى كلى الحالتين يستدعى الشامان أو الرجل المطبب لتشخيص الحالة ومحاولة طرد الروح الشريرة المسببه للالم ، ويعتقد الاسكيمو اعتقادا راسخا فى مقدرة الشامان فى هذا الصدد . وجماعة الشامانين إناس يعتقد ان لهم مواهب خاصة تجعلهم مقربين من عالم الارواح . فمن أهم مواهب الشامان فى اعتقاد الاسكيمو هو مقدرته على معرفة الأشياء من الأرواح وتحضيرها فيمكنه مثلا أن يذهب إلى قاع البحر للاستعانة بالهة البحر المعروفة باسم Sodna وذلك من أجل أن يأتى المزيد من الثدييات البحرية إلى تخوم محلتهم العمرانية أو من أجل أبعاد عاصفه هوجاء لكى يتمكن الاهالى من الصيد، كما أنه قادر على أشياء أخرى مثل معرفة سبب المرض أو الدعاء لوفره من الصيد أو لتحسين الطقس وغير ذلك من الأمور المعضلة يد سهول الحياة فى مجتمع يتسم بالفقر البيئى .

ولكى يصبح الشخص شامانا لا بد وان تدخل روح مساعده فى جسده خلال احتفال تشهدة كل القرية ، ويتضمن هذا الاحتفال ضرب الرجل وترديد بعض الأغانى والرقص بعنف أحيانا إلى أن يسقط الرجل فى حلبة الرقص حينما تدخل الروح فى جسده فينطلق لسانه متحدثا بصوت أجش مختلف عن صوته ومعبرا عن الروح . ويحدث كل ذلك فى مكان شبه مظلم حيث لا تحب الارواح الضوء وعلى الرغم من ممارسة الشامانين لأعمال السحر إلا أن الاسكيمو يعتقدون اعتقادا راسخا فيهم كما يعتقد الشامانون فى أنفسهم .

وتتسم نظرة الاسكيمو إلى العالم الطبيعى بانها نظرة بدائية للغاية فكل مظاهر الكون حتى الاحجار تمتلكها الارواح . وللحيوانات روح مثل الإنسان لذلك فالحيوان المذبوح يتخلف عنه شبح الذى يجب أن يعامل مثل شبح الإنسان ولعل من الأمور المتصلة بهذا الرأى الاعتقاد فى فاعلية الاحجبه وهى الأشياء التى يحتفظ بها الناس ضد السحر والشعوذه . وهناك عدد كبير من هذه الاحجنه بين مجموعات الاسكيمو تتعلق بمعتقدات بعينها . ويختلف الأفراد داخل المجموعة الواحده فيما بينهم وذلك بالنسبة لهذا المعتقد غير انهم جميعا يحملون عددا كبيرا من الاحجبة .

ونجد فى عالم الارواح هذا أن بعض المعتقدات أهم من البعض الآخر لان لها سيطرة على الأشياء التى تهم الناس فمثلا تعتبر سدنا « الهة البحر » أكثرها أهمية لا بمعنى أنها الالهة التى ترأس جميع الألهة الأخرى ولكنها فقط تتحكم فى البحر الذى يحتوى على جميع الموارد التى تهم الاسكيمو ولذا كان اهتمام الاسكيمو بها . ومن أكثر القصص شيوعا عن سدنا تلك القصة التى تحتوى على الاحداث التالية «كانت سدنا مجرد فتاة عادية تزوجت من أحد طيور البحر ورحلت معه فغضب والدها غضبا شديدا وخرج ليعيدها إلى بيته وحدث اثناء رحلة العودة أن انتقم الطائر منه بأن أثار عاصفه عرضت سفينته للخطر فاضطر الوالد إلى أن يلقى بأبنته من فوق ظهر السفينة حتى يوقف الطائر هبوب العاصفة . وأمسكت سدنا بجانب السفينة وقام والدها بقطع أطراف أصابعها فسقطت هذه الأجزاء من أصابعها فى البحر وأصبحت حيتانا، وعادت سدنا تمسك بالسفينة مرة أخرى ولكن والدها قطع جزءاً آخر من أصابعها لتصبح فيما بعد عجولا للبحر . أما الأجزاء المتبقيه من أصابعها فقد صارت بعد بترها الفقمة . وأخيراً

هبطت سدنا إلى قـــاع البحر حيث اتخدته مسكناً وأصبح لهاسلطة الحكم على الحيوانات البحرية وهى تشعر بغضب خاص نحو بنى الإنسان عندمايسيئون التصرف ويكون عقابها لهم بمنع حيوانات البحر منهم .

وفى بعض أجزاء منطقة الاسكيمو ولا سيما فى الاسكا يسيطر رجل القمر « moon man » على حيوانات الصيد ويقوم الرجل المطبب بإرسال روحه طائرة إلى القمر يستجدى ظهور حيوانات الصيد من أجل شعبه وتتمسك الشمس طبقاً كما تتجسد جميع الظواهر الطبيعية والشمس تعتبر فى بعض الاماكن فى مثل أهمية سدنا .

وللاسكيمو عدد كبير من القصص والخرافات التى انحدرت الينا عبر مئات السنين دون تغيير ، كما يتضح ذلك من أن بعض الخرافات مطابقة تماما للخرافات الاخرى عبر ٣٠٠ ميل على الساحل . وتعتبر بعض القصص مثل قصة سدنا امورا حقيقية من وجهة النظر التاريخية . فالقصص التى تصف أصل الناس وتاريخهم ينظر اليها على أنها الحقيقة . أما القصص الشعبية فهى تقص للترفيه ويسمح للقصاص أن يضيف اليها من الامور ما ليس صحيحا . والبعض يقص على انه أغانى دينيه وعلى العموم فإن القصص تروى للترفيه .

وبعض القصص قصيرة جدا ولعل من الافضل تسميتها بالقصائد وذلك لان شكلها ونبرات كلماتها تبدو وكأنها خرافية ، كما أن الغناء من أساليب الترفيه المحبوبة وهو عادة ما يؤديه فرد امام مجموعة من الناس ينشدون أو يترنمون بقصة قد ابتكرها بنفسه. وهو اداء ينقصه التنغيم ولكنه إيقاع فى المقام الاول ويصاحبه آلة موسيقية وهى المعروفة باسم التامبورين **Tamdourine** وهى الآلة الوحيده التى يعرفها الاسكيمو . ويتحرك المغنيون فى إطار تقليدى

ويتكون فنه من مهارته فى رواية قصه فى حدود هذا الإطار . وكثيراً ما تقام المسابقات الغنائية التى يحدد فيها المستمعون المغنى الفائز، وفى بعض الجهات يكون حسم النزاع بين شخصين عن طريق التنافس الغنائى.ويقوم المستمعون بعد ذلك بدور المحلفين .

وقد تعرضت حضارة الإسكيمو فى المناطق الكندية والمناطق الوسطى لفترة من الفقر الشديد منذ مرحلة جماعات جزر تول Thule وقد لعبت مراكب صيد الحيتان التابعه لكثير من الشعوب الأوربية دوراً كبيراً فى إلحاق الفقر بالإسكيمو ولكن سبق ذلك الفقر لكن المستمر الذى أحدثه الإرتفاع البطىء فى الأرض الذى غير عمق الممرات المائية بدرجة أدت إلى عدم اقتراب الحيتان من مناطق استيطان الإسكيمو .

ومنذ اتصال الإسكيمو بالرجل الأبيض فقد تعرضوا لكثير من المتاعب التى يعرفها البدائيون فمثلا تعرضوا الأمراض الأوربين مثل البرد العادى والسل والأنفلونزا والحصبة والجدرى وغيرها من الامراض التى أبتلى بها الشعب . وكان أول من تعرض لهذه الأمور وبشكل واضح إسكيموا ألاسكا ذلك لان التطور الإقتصادى وتغلغل الرجل الأبيض منذ الفترة التى اندفع فيها للبحث عن الذهب مبتعداً عن المناطق الكندية أدى إلى تأثر جميع الإسكيمو بهذه الامراض فحيثما وجد الإسكيمو ولو بأعداد قليلة حيث تمارس بيع الفراء أو القيام بالأعمال اليومية فقد أظهروا اهتماماً متزايداً للطباق والسكر والدقيق والشاى والبن وأصبحت أطعمتهم الوطنية التى يعدونها بالطريقة الخاصة بهم أكثر اتزاناً من حيث قيمتها الغذائية، ولكن استخدام السكر والدقيق قد أخل بنظام تغذيتهم وأصبح الجميع يشكون من اضطرابات فى التغذية مثل سقوط الاسنان والإضطرابات

الجلدة والمعدية والمعوية. وأصبحت البندقية الحديثة أمراً عادياً وإن كان ماترتب على استخدامها وصل إلى درجة الخطورة فقد أوشكت قطعان الكاريبو والثيران الموسكية على الإنقراض فلم تعد مصدراً يعتمد عليه كغذاء صيفي . وفي بعض مناطق الإسكيمو أصبح التاجر هو الحاكم المستبد المستغل وإن كان أحياناً حاكماً خيراً . ويحصل الإسكيمو على النقد عن طريق بيع الغذاء والإتجار به . وقد يحصل أحيانا على بندقية أو عدد من الطلقات النارية أو أقمشة للخيمة أو خرز من من الصلب أو السكاكين والبلاط وذلك ثمنا لفرائهم . ولكي يحصل الإسكيمو على الحيوانات ذات الفراء معظم الوقت كان عليهم أن يستغنى عن عمليات الصيد من أجل الطعام وبذلك أصبح اقتصادهم اقتصاداً نقدياً حتى يستطيع أن يشترى ما يحتاج إليه من طعام . ويتميز الاسكيمو بصفة الصداقة الحقة فهم شعب منفتح كثير الثقة بالآخرين . وفي ألاسكا بالرغم من الاستغلال الذى يتعرضون له عاما بعد عام فإنهم عن طريق الهيئات الحكومية والمدارس يمكن أن يكونوا على اتصال بالعالم دون أن يؤدى ذلك إلى القضاء عليهم . وفي المناطق القطبية الوسطى لم يتعرض الكثير منهم إلى تأثير المدينة الحديثة تأثراً كاملا ولكن أغلب الظن أن ذلك سوف يحدث في القريب العاجل ، وكما سبق لنا الاشارة ليس في وسعك إلا أن تحب الاسكيمو .. ولكن هذا لا يرفع أيدى الرجل الأبيض عن حدود بلادهم وعن استغلالهم استغلالا بالجملة ويقدر تعداد سكان الاسكيمو بحوالى ٣٩ ألف نسمة يعيش ١٠ آلاف منهم في كندا ، ومن المحتمل أن عددهم كان ضعف ذلك من قبل . ففي جرينلند اختلط الاسكيمو بالرجل الابيض وهي دانماركى في أغلب الأحيان ، أما في ألاسكا فإن اختلاط الاسكيمو كان بالرجل

الأبيض والهنود. أما فى المنطقة القطبية الوسطى فما زال الاسكيمو محتفظا بنقاوته معظم الوقت ولكن التأثر الحضارى والاختلاط السلالى عملية مستمرة واذا ما استمر توسع الاقتصاد الكندى فإننا نتوقع أن يتزايد غزو الرجل الابيض لمناطق الاسكيمو .

مراجع الباب الاول

1 — Bird, J., antiquity and Migration of the early inhabitants of Patagonia, Geogeaphical Review, Vol 28, No. 2, 1938

2 — Bridges, E.L., Uttermost part of the earth, N.Y, 1949.

3 — Cooper, J.M, Temporal sequence and the marginal Cultures anthropalogical peries, Catholic Uinuersity of america, No 16, 1941.

4 — Darwin, C., Charles Darwin and the Voyage of Beagle, N.Y., 1946.

5 — Lothrop, S.K, The indians of Tierra del Fuego, Museum of the americcn Andian, Neye Foundation, Vol. 10, N.Y, 1928.

6 Service, E.R., Aprofile of primitive culture, N.Y, 1958.

7 — Man, E.H, on the aberiginal inhabitants of the Andaman islands, london, 1935.

8 — Mouat, F.J., adventures and researches amoug the Andaman islanders, Londar, 1863.

9 — Radcliffe-Broun, A.R., The Andman islanders, Glencoe, III 1948.

10 — Birket-Smith, K., The Eskinos N Y. 1936

11 — Mowat, F., people of the Deer, Bostrn, 1952.

12 — Weyer, E M., The Eskimos, New Haven, 1932.

الباب الثاني

القبائل البدائية

- الجيفارو
- التانجوس
- الشين
- النوير
- تاهيتي بولينزيا

قبائل الجيفارو

JIVARO

قبيلة الجيفارو فى امريكا الجنوبية

يمثل حوض الامازون واحدا من أكثر السهول الرسوبية اتساعات فى العالم ، كما أنه يمثل أكبر منطقة من غابات الأمطار الاستوائية فى العالم ، إذ يشتمل على مساحة تقرب من مساحة أوربا كلها . فالمسافة من الأراضى المرتفعة فى شرق البرازيل وعبر المنخفضات ، حتى سفوح جبال الآنديز فى طرف القارة الغربى تبلغ أكثر من مائتى ألف ميل . كما أن غابة الأمازون هى واحدة من أكثر مناطق العالم المستوطنة تخلخلا . وعلى هذا يمكن أن نعتبرها أراضى صحراوية وإن كانت تبدو ، كما حدث لعدد من الرحالة الذين زاروها ، أنها أراضى شديدة الخصوبة. ويبدو أن النبات الذى اندثر قد كون طبقا لينة من التربة ، فالمطر وفير وتدل الأشجار التى تنمو هناك بكثافة على أن الأرض بهـــا امكانية كبيرة للزراعة . ورغم حقيقة أن غموض الغابة قد أثار قدراً كبيرا من الاهتمام ، فان هناك عدداً كبيراً من الأساطير والمعلومات الخاطئة عنها أكثر من أى منطقة أخرى من العالم .

أول هذه المعلوت الخاطئة هو أن التربة غنية وخصبة فان التربة ليست غنية بموادها العضوية ، فهى شديدة الفقر لكثير من الزراعات . وإن كانت الأشجار تنمو بكثافة ، فانها تنمو بسبب المياه الجوفية أكثر منها بسبب نوعية التربة . والتربه الاستوائية شديدة الفقر فى الأملاح المعدنية فالاملاح المعدنية والمواد العضوية تتآكل بسرعه بفعل تكاثف المناخ الاستوائى وترشيح مياه الامطـــار والميزة الوحيدة للغابة المطيرة هى لين تربتها ، فالناس البدائيون الذين لا يملكون إلا عصيهم المدببة وهى نوع من العصى المعقوفه كأداة للزراعة يستطيعون أن يحرثوا هذه الأرض اللينة بها بينما تظل السهول . الخصبة المليئة بالاعشاب أبيه على جهودهم.

وثانى المفاهيم الخاطئة عن الأمازون هو ، أن درجة الحرارة فيها مرتفعة بشكل لايطاق . فان موجة من موجات الحرارة التى تهب على ولاية من الولايات الشمالية للولايات المتحدة تصل فى حرارتها درجة أكثر ارتفاعا بالفعل عما نجده فى الامازون . فنادراً ما تصل درجة الحرارة فى الغابة إلى ٩٠ ° درجة ، رغم أن خط الاستواء يمر بمنتصف المنطقة تماما . وأما أكثر الاثار المحوظة لخط العرض (بالنسبة لأحد الأمريكيين الشماليين) هو الملل . فالفرق بين درجة الحرارة ما بين الفجر والظهيرة فى أى يوم لايزيد عن ٢٥° ، وإن كان هذا الفرق أكبر منه بين فصل وآخر . ولعل مايفزع له الغريب فى الأمازون أكثر هو الارتفاع الزائد فى درجة الرطوبة وكمية المطر الغزير ، فالحرارة يمكن تحملها ، ولكن المطر الغزير . لايدعو للسعادة كما يقول الأمريكيون الشماليون . وأما فى منطقة خط الاستواء فالمطر يأتى فجأة فى دفعة سريعة قويه يتبعها صفاء سريع بنفس الدرجة . ولكن هذا لايحدث الا نهارا ، وأما الليالى فصافيه راقة عادة .

وهناك مفهومان خاطئان شائعان عن « الغابة » . أحدهما أن هناك وفرة فى الحيوانات الكبيرة حيث « يطيب الصيد » . ولكن غابة الأمـــازون فقيرة فى الحيوانات البريه الكبيرة عموما . ونحن ندرك أن هناك حيوانات تعيش فى قطعان كما أن هناك القرود وأنواعا كثيرة مـــن الطيور والحشرات ، ولكن كل ذلك يعش فى قمم الأشجار كلية تقريبا .

ومصدر الطعام لهذه الحيوانات البرية هو الأنهار التى تعج بالإسماك والسلاحف كما نجد فى الانهار الكبيرة ثدييات المياه العذبة . ولهذا يتركز معظم سكان الأمازونيين الدائمين حول هذه الأنهار .

وهناك مفهوم خاطىء آخر وهو أن المنطقة غابة مـــن الأشجار والكروم والنباتات والشجيرات لا يمكن دخولها. وفى الواقع فان النبات ينمو بكثافة فى أعلى قمة للغابة والتى تكثف فيها فروع الأشجار بكثافة شديدة وأما أسفل هذا حيث يعيش الانسان فان صمتاً كصمت القبور يلف المكان . ويؤدى غياب ضوء الشمس إلى عدم نمو النبات فى باطن الغابة بكثافة ثم نجد الأحراش على طول الأنهار وفى المناطق المكشوفة نوعا حيث يصل ضوء الشمس ويساعد النبات على النمو .

ويؤدى عدم وجود أعشاب وشجيرات إلى ندرة الحيوانات التى تتغذى على الأعشاب وإلى ندرة الحيوانات المتوحشة التى تعيش على تلك الحيوانات .

وقبائل الغابة الاستوائية تملك عـــددا متنوعا مذهلا من اللغات البسيطة ، ولكنها متماثلة ثقافيا وبدنيا . فهم يتفقون مع السمات الجنسية العامـــة للهنود الأمريكيين ، ولكنهم أقصر قليلا من هنود أمريكا الشمالية أو الجنوبية ، إذ أن متوسط طول الذكور هو خمس أقدام وأربع بوصات .

وهنود الأمازون يعتمدون بصفة أساسية على المحاصيل الزراعية بينما يعتمد هنود السهول على اللحم ، الأمر الذى يقوى الفارق فى الشكل . ولا يقل التماثل الثقافى على حوض الامازون عن التماثل البيئى عليه . فالفارق البيئى الوحيد هو وضع القبائل بالنسبة لاماكن الصيد الغنية . وكلما ضاق نهر الأمازون وروافده عند حدود الحوض المرتفعة ، فان الثقافة المميزة للبلاد المنخفضة تتلاشى أكثر فأكثر .

ويسمى المتحدر الشرقى لجبال الأنديز ، فى المنطقة التى تقع فى اكوادور بيرو باسم « مونتانا » . وهى منطقة استوائية شبيهه لمنطقة الامازون تماما ، ولكن فيها أصغر وأكثر سرعة ، مما يجعل الإبحار فيها أصعب حيث تعرى التربة وتفصل الأرض عن بعضها . وهذه المنطقة يصعب الوصول إلينا ، ولذلك فان القبائل

التى تعيش فيها لم يزعجها الاوربيون كما أزعجوا تلك القبائل التى تعيش فى مناطق يمكن الوصول إليها أكثر .

وقبائل « الجيفارو » نموذج لقبائل مونتانا ، ولاتختلف عن قبائل الأمازون عامة الافى سمات قليلة ثانوية . وهى جماعة معروفة جيدا ، لأن عادتهم الشهيرة فى تقليص الرؤوس البشرية وحفظها قد أثارت خيال الأوربيين كما أظهرت كما هائلا من الكتابات العلميه والصحفية عنهم . ولكن تقليص الرؤوس ليست عادة خاصة بهم وحدهم على كل حال وإنما لأنهم شعب احتفظ بحكم انغلاقه على نفسه بعادة قديمة كانت شائعة يوما ما فى الغرب الشمالى لأمريكا الجنوبية . وطـــريقة إعداد الرؤوس التذكارية ليست سرا مبهما كما هو شائع فهى معرفة منذ قرون طويلة ولايحاول الجيفارو اخفاءها .

وتكون وقبائل الجيفارو وحدة ثقافية ولغوية تشتمل على ٢٠ ألف شخص. وليست هناك وحدة سياسية شاملة ولكن هناك إحساس مشترك أن ألشوارا » (كما يسمون أنفسهم) يتميزون عن الشعوب الأخــــرى . ولغتهم لاتشبه أى لغة أخــــرى .

وهناك أربعة أقسام رئيسية للجيفارو وذلك طبقا لتوزيعهم الجغرافى ، ولكن حتى فى داخل هذه الأقسام هناك جماعات صغيرة مستقلة تنتقل فى مجال يتركز حول جدول ماء يعتبرونه ملكهم . وهذه الجماعات لاتكف عن شحن الحرب إما على بعضها أو على أى غريب يهددهم. ولم تستطع امبراطوريه الانكا صاحبة الأرض الأصلية أن تقهرهم أبدا كما لم يتمكن البيض طوال أربعمائة عام من ذلك « فالجيفارو لايبدو عليهم الاستسلام أو التواضع، فعلى عكس الهندى المتحضر هق يعشقون الحرية ولا يستطيعون أن يطبقوا أى نوع من الاذلال » .

وغذاء الجيفاوو الرئيسى هو محاصيل الحدائق التى يزرعها النساء . ولكن صيد السمك وصيد الحيوانات البرية يوفر لهم غذاء شهياً على كل حال ، ويقضى الرجال وقتاً كبيراً في الصيد . والقرود والطيور هى صيدهم الرئيسى ، إذ تكثر هذه بوفرة ويحبون القرود لطعمها الشهى . والبقريات أيضاً تمثل طعاما مرغوبا ولكن صيدها خطر لأنها مفترسة كما أنها تسير فى قطعان وتهاجم جماعة .

والطريقة المتبعة فى الصيد الجماعى ، فهم يستثيرون الحيوانات كى تهاجم ، ويختفى الرجال فى فروع الأشجار الكبيرة حيث يطلقوا النار أو يطعنوا برماحهم الحيوانات لتى تفر فزعة .

وأسلحة الجيفارو فى الصيد هى بندقية النفخ ، والرمح ، وفى العصور الحديثة عرفوا البنادق الرخيصة كذلك . ولكن بندقية النفخ هى أكثر الأسلحة قيمة ، وبصفة خاصة لصيد القرود والطيور فى أعماق الغابة . وهذا السلاح البديع يتكون من أنبوبة مفرغة طولها يتراوح من عشرة إلى خمسة عشر قدما . يمكن أن يدفع منها سهم مسموم بواسطة نفس قوى فينطلق حتى خمسة وأربعين ياردة والجيفارو هم من أبرع صيادى بنادق النفخ فى أمريكا الجنوبية كما أن صيتهم ذائع فى صنع هذا السلاح .

والمشكلة الأساسية فى صنع بندقية نفخ هى فى صنع ماسورة مستقيمه وناعمة الملمس تماما . وهم يحلون هذه المشكلة بطريقة زكية فالصانع يقطع جزءا من شجرة الشونت ، وهو نوع من الخشب معروف بصلابته واستقامته ، حسب المقاس المطلوب . ثم تقطع شرحتان من هذا الخشب ، كل منها تبلغ بوصتين فى العرض ، وتعالجان بالفارة جيدا حتى تستقيما . ويترك أحد جانبى كل شرحة مسطحا والآخر مستديرا حتى يكون الجانبان المسطحان طرفا مستديرا حين

يوضعان معاً ، ويستدق طرفها فى بوصة مربع البوصة من ناحية وثلاثة أرباع البوصة من الناحية الأخرى . ثم يعالج عود آخر من الشونتا بالفارة ويصبح ناعم الملمس بمقاس ربع البوصة ، وهو طول الماسورة التى ستوضع للبندقية . ثم يكشط الجانبان المسطحان لشقتى بندقية النفخ حتى يكونان منهما أقصر بقليل من الماسورة . وأخيرا توضع الماسورة بين الشقتين وتربط . ويصب الرمل الناعم والماء بين الماسورة والشقتين وتحرك الماسورة الأمام والخلف حتى ينعم المنيان بالقدر الذى يجعل الشقتين يقفلان على الماسورة . حنيئذ يمكن أن يخرج الماسورة وتلصق الشقتان معا وتعمقان بعصاره الشجر المذابة . ثم يثبت مخ من العظم فى نهاية الطرف الأطول .

ويصنع سهم بندقية النفخ من الضلع الأوسط لسعف النحل ، وهو فى طول الذراع وسمك عود الكبريت . ويغطى طرفه المدبب بالسم ويربط فى طرفه الغليظ قطعة من القماش المأخوذ من شجرة القطن الحريرى . وتختلف قسوة السهم حسب حجم الحيوان وموضع الجرح . فالقرود تعيش نصف ساعة بعد الاصابة ولكن الطيور الكبيرة لاتستطيع . والسهم صغير وخفيف حتى أن بندقية النفخ ستكون بلا جدوى بدون سم زعاف .

وبندقية النفخ لاتستخدم فى الحروب . فالهنود يعتقدون أنها تجلب الحظ السيء إذا استخدمت ضد الإنسان ، ولكن يمكن أن يكون السبب هو أن السهم لن يكون مؤثرا بالنسبة لحجم الانسان كما أن الانسان سينزع السهم من جسم سريعا لأنه يدرك خطره أو الاسلحة التقليدية فى الحرب هى الرمح والدرع والاسلحة النارية فى العصور الحديثة . كما يبدو أن الجيفاروقد استخدموا فى وقت من الاوقات القوس والنبل ورامى الرمح ، ولكنهم حين عرفوا بندقية النفخ فى القرن السابع عشر فانهم هجروا السلاحين الاخرين .

وإذا كان الهنود يعيشون على جدول ماء كبير فانهم يستخدمون حيلا كثيره لصيد السمك. فحين يكون الماء منخفضا فانهم يقيمون سداد يتركون فيه عصاره سامة من شجيرة خاصة بذلك . وحين تسرى عصاره السم فى الماء فان السمك يهرع إلى سطح الماء فزعا فيجمعه القرويون المنتظرون. كما يصيدون السمك أحيانا بشباك ومصائد بدائية، أو بواسطة الرمح .فى الانهار الواسعة يمكن أن يصيدوا خروف البحر والدلفين بالرمح . كما أن الزواحف الضخمة مثـــل الكيموس والسلاحف والاصلة العاصرة والاناكندة تكثر فى بعض المناطق وتوفر للهنود غذاء حين لايجدون ما هو أشهى منها . كما أنهم يستسيغون كثيرا من الحشرات والديدان والضفادع والعقارب والثعابين . وأما عسل النحل فهو سيد الطعام عندهم ، مثل كثير من الفواكه البرية .وحين يصيدوا الطيور آكلة الحب أوالفاكهة فانهم يلتهمون ما فى بطونه فورا .

ولكن غذاءهم اليومى الذى يعيش عليه الجيفارو هو ما تنتجه الحدائق على كل حال . وأهم ما يأكله الجيفارو، مثلهم مثل بقية سكان الامازون ، هوجذور المنيهوت الغنية بالنشا وهى تشبه الجزر الابيض فى الشكل والمضمون . والجيفارو يصنعونه دقيقا كما يفعل بقية الامازونيين ولكن لان المنيهوت عندهم غير سام كما هوالحال عند بقية الامازونيين فانهم لايحتاجون إلا تطيير السم منه. والمنيهوت يستخدم عامة من أجل شراب يسمى « ينجانش » ويعده النساء والفتيات بمضغ ملء أفواههن ووضعه فى برميل كبير ليتخمر تخمرا بسيطا .

ويزرع الجيفارو الذرة والبطاطا والقرع والكمثرى . وهم يبذرون الموز أوآذان الجدى والببايا ولكنهم لايرعونها كثيرا . وهم يقطفون الموز وآذان الجدى غير ناضجة ويعدونها الأكل إما بسلقها أو بشيها . والقطن والدخان هما

أهم مايزرعونه لغير الا كل . وهم يدفنون الدخـــان فى شكل سيجار ، ولكنه يحول إلى عصير كذلك يدفع إلى الانف بواسطة أداة معـــدة لذلك . وزراعة الحدائق وتنقيتها وحصد محصولها كل ذلك من عمل النساء وحدهن ، ولايستخدمن فى زراعتها أكثر من عصا حفر بسيطة .

وأما اعداد حديقة وموقع للبيت داخل الغابة فانه عمل من أعمال الرجال وهو يهتم بطريقة القطع والحرق السائدة فى المناطق الاستوائية . وتحتاج الاشجار الضخمة التى عادة من تكون من خشب صلب ، إلى جهد شاق فى قطعها . يبدأ الرجل أولا بإزالة النباتات المحيطة بالشجرة ثم يحز الاشجار الصغيرة حتى تضعف وتسقط فور سقوط الشجرة الكبيرة فوقها . ثم يأخذ عدد كبير من الرجال فى محاولة قطع الاشجار العملاقة وقبل معرفة الفؤوس الصلب لم تكن الاشجار الضخمة تقطع فعـــلا دائما فكانوا يظلون يضربونها بالفؤوس الحجرية البدائية وأحيانا ما يستغرق قطع واحده من هذه الاشجار العملاقة لصلبة أسابيع طويلة حتى تستطيع مجموعة من الرجال اسقاطها .

وما أن تجتث الأشجار وتقطع حتى تسحب مـــع كل الشجيرات الاخرى الصغيرة الموجودة بالمنطقة حيث تجمع مع بعضها على هيئة حزم . وما أن تقطع الأشجار حتى يفر الهنود بحياتهم وذلك خوفا من النمـــل والعقارب والثعابين والزواحف التى تملأ المنطقة .

وقد تترك الأشجار والحشائش لعدة أشهر فى الفصل الجاف حيث تحرق بعد ذلك ليقوم الهندى بزراعة محصوله وبناء بيته فى نفس المنطقة .

وقد يمتلك بعض الجيفارو منطقتين أو ثلاث مناطق يقومون بزراعتها فى وقت واحد غير أن حاصلتها تظهر فى أوقات مختلفة من السنة . وفى هـذه الحالة

يرتبط إقامتهم فى أحد القطع بمقدار كمية إنتاجها . وقد تستمر زراعة القطعة الكبيرة خمس أو ست سنوات قبل أن تفقد خصوبتها ويتحتم على صاحبها أن ينتقل إلى قطعة جديدة ليطهرها ويزرعها .

وفى العادة يقام منزل واحد كبير فى الأرض المطهرة أو المقطعة حيث يأخذ الشكل البيضاوى بإرتفاع بين ٤٠ و ٨٠ قدم . وحيث يستخدم الزحف والأخشاب فى البناء . ويعيش فى المنزل الواحد عدد من الأسر التى تربط القرابة بينهم وفى نهاية المنزل أوفى أحد أطرافه يوجد مايشبه المصطبه أوالرصيف المصنوع من البامبو يستخدم كسرير ينام عليه الرجال . أما النساء فترقدن فى الطرف الآخر من المنزل حيث توجد أسرة مشابهة للرجال غير انها منفصلة عن بعضها بواسطة البامبو وذلك لكى تعطى خصوصية اكثر لهم . وينام الأطفال فى الجزء الخاص بالنساء بينما يذهب الأولاد إذا مابلغت أعمارهم سبع سنوات إلى مضاجع الآباء.

ويتم طهو الطعام بواسطة النساء فى مكان خصص لذلك بالقرب من مكان إقامة النساء فى الكوخ . وطبق الطعام المعتاد لدى الجيفارو يتكون من الفلفل الى المطهى . وتستخدم الأفران الخشبية فى شوى الذره كى تقوم النساء فى بعض الاحياء بصناعة أنواع مختلفة من الفخار .

ويقضى الرجال وقت فراغهم فى غزل خيوط القطن ونسج الملابس وهما من أعمال النساء فى كثير من قبائل الهنود الامريكين . والانوال صغيرة رأسية تقريبا وينتج بها قطع دائرية من القماش . وقد يصبغ القماش باللون البنى بواسطة أصباغ من الخضر . ويرتدى الرجال قمصان طويلة حتى الركبة بينما ترتدى النساء قطعة مربعة كبيرة من القماش والتى تلف بها جسدها بطريقة من شأنها أن الطرفين العلوين من القماش يشبكا سويا على الكتف الأيمن فى حين يترك الكتف الأيسر عاريا .

ويهتم الجيفارو بمظهرهم الشخصى ويلجأ الرجال للتزين مثل النساء حيث تترك الشعور طويلة ولا تقص إلا فوق الحواجب . وتترك النساء شعورهن فى العادة دون عمل ضفائر بينما يقوم الرجال بجمع شعورهم خلف الرأس .

ويرتدى كل من الرجال والنساء حلقات من البامبو فى اذانهم كما تضع الفتيات فى الشفة السفلى ما يشبه الحلق . وتصنع العقود والاساور والأحزمة من الأصداف والاسنان والبذور وعظام الطيور ويرتديها كل من الجنسين . وقد يرتدى الرجال فى بعض الأحيان نوعا من التيجان المصنوعة من الريش . كذلك قد يرتدى الرجال أحزمة صنعت من شعر أحد أبطال الجيفارو الذين قتلوا فى المعارك . والغرض من ذلك هو تقمص المحارب لبعض صفات ومؤهلات البطل المنتصر ويدهن الرجال والنساء وجوههم وبعض أجزاء من اذرعهم حتى اكتافهم بلون أحمر زيتى صنع من حبوب بعض النباتات مثل Achiote . أما عصير نبات الجنبها فيستخدم لطلاء اللون الأسود والذى يستخدم فى العادة فوق اللون الأحمر فى سلسله من الرسوم .

ويعتبر الجيفارو من أكثر القبائل التى تقطن حوض الأمزون غير أنهم ينتشرون على مساحه كبيرة من الأرض بحيث تكون المجموعات المحلية مجموعات مكتفة ذاتيا تماما . وكل مجموعة أى الجيفارو مستقله على الرغم من أن تحالف قد يحدث بين عدد من الجيفارو الموجودين فى المنطقة . وتتكون مثل هذه الأحلاف لأغراض الحرب . وأقرب الأشخاص فى المجتمع لرئيس القبيله هو قائد الحرب الذى يطلق عليه اسم كوراكا Curaka والذى له سلطة القيادة إبان الحروب والأزمات وليس له من سلطة غير مقدرته الشخصية على قيادة بقية زملائه . كما يوجد هناك اتجاه بين عدد من الجماعات إلى التجمع تحت رابطة الدم وذلك

لأن حكم مجتمع يعتمد على التزاوج المحلى يتطلب ألا يسمح للرجل بالزواج من زوجه خارج قريته . ومن ثم فيوجد داخل القبيله مجموعات طبيعية غير ان التعاون بينها محدود للغاية وقاصر على مقاومة استغلال أو تسلط مجموعة أخرى تعيش خارج حدودهم .

ويعتبر الجيفارو منذ فترة طويله بانهم من أكثر قبائل أمريكا الجنوبية ميلا للقتال . فالشكل العام للحرب يمثل سلسله لا تنتهى من الانتقام وأخذ الثأر بين المجموعات غير المتقاربة للقبائل الجيفارو . أما العمل العدائى ضد جماعات غير الجيفارو فنادر ويعتمد على غزوات الغرباء النادرة أو المتناثرة والتى تتفق على دخولهم إلى حدود أراضيهم . فى هذه الحالة يتحد الجيفارو مع بعضهم وتوضع الخطط وتكون حربا يسفك فيها الكثير من الدماء .

وأكبر طموح لرجل الجيفارو أن ينصب محارب حيث يكتسب هذا المركز عن طريق جمع أكبر عدد من الرؤوس التى يقتلها .

وكقاعدة عامة ، تنحصر غارة الجيفارو فى الأمور الخطيرة . فبعد أن تقرر الجماعه سن الغارة وتقيم احتفالات راقصة طوال الليل لأعداد المحاربين ترسل مبعوثا إلى معسكر العدو لتحذرهم وتنذرهم بقدوم الغارة حتى يكونوا مستعدين . ويرسل هذا التحذير رغم أن كل الخطط التى توضع فى هذا الشأن يراعى فيها أن يأخذ فيها العدو على غره .

وفى حالة الحرب ضد البعض أو جماعات لا تنتمى إلى قبائل الجيفارو لا يراعى اراسل مثل هذا التحذير وتبذل كل محاولة لتقهقر وابادة المعتدين . وفى الغارات الدموية الناجحة يقتل الرجال والمسنين أما النساء الصغيرات

والأطفال فيأخذوا فى العادة كأسرى . ثم يلدمجوا بعد ذلك فى المجموعة الغازية ليصبحوا زوجات أو يتبنوا كأبناء وبنات . وقلما يحاول الأسير الفرار .

والغرض الأساسى من الغارة هو جمع رؤوس المحاربين الأعداء فبمجرد أن تنتهى المعركة يعكف كل محارب على قطع رؤوس هؤلاء الذين قتلهم . وأخيراً بعد أن ترحل الجماعة المحاربة إلى مكان أمين يقيمون مخيما ومن ثم يبدأون فى سلخ فروة الرأس . والتى تسمى باسم Tsantas . ويأخذ جلد الرأس بعد ذلك لغليها عدة ساعات إلى أن تنكمش ويصبح حجمها حوالى $\frac{1}{4}$ حجمها الأصلى. يوضع بعد ذلك أحجار ساخنة أو رمال داخل الرأس لإكمال عمليات التقلص والتجفيف . وأخيراً تدخن الرأس لمدة ثمان ساعات وذلك لكى تحفظ كما يلمع جلد الوجه . وحينما يصل المحارب إلى قومه حاملا معه التسانتساس Tsantsas وهى علامة النصر الكبير تقام حلقة رقص حول تلك الرؤوس وعلى النقيض من عادات عديد من قبائل الأمزون المحاربة لا يضحى بالأسرى ولا يأكلوا .

وتبذل كل الجماعات مجهودات كبيرة فى التعاون للحماية ضد الغزوات أو الهجوم المفاجىء حيث تقرع الطبول فى دقات معينة لجمع الجيران كما أن الإقتراب من القرية يكون مصحوبا بوضع المتاريس والفخاخ . ويحاط المنزل الرئيسى دائماً بسور متعرج من الألواح الخشبية كما تحفر انفاق للهرب تبدأ من المنزل وتقود إلى ضفة النهر إذا كان قريباً . ولا بد للزائر الغريب أن يمضى بضعة ساعات قبل أن يقترب من قبائل الجيفارو حيث تطلق المجموعة المقتربة عدد من الطلقات النارية والصيحات لا تعطى إنذارا بوجودهم وبعد ذلك تستعد المجموعة المضيفة للاستقبال والترحيب بالزوار . وإذا لم ترعى أصول الاعلام من قبل المجموعة المقتربة فربما يتعرض الزوار للهجوم من قبل بعض الأفراد .

وقد ترتب على استمرار الحروب سيادة المرأة فى مجتمع الجيفارو ومن ثم سيادة نظام تعدد الزوجات . فالشاب عادة ما يتزوج الزوجة الأولى من أبناء عمومته من القرى الصديقة المجاورة غير أن الزوجات الأخريات يحصل عليهم عن طريق الأسر أو الإغارة وأحيانا تشترى فتاة غير بالغة من أبيها أو من أخيها وفى العادة لا يرغب الرجل المرأة التى لا تبادله العاطفة ولذا فالمعرفة بين الرجل والمرأة ضرورية قبل أن يحدث الزواج . ولكن الزوجة تزور عائلتها باستمرار ، كما أن الرجل وحماه وحماته وكذلك الزوجة ووالدى زوجها فجميعهم يحترموا قواعد الآداب والعادات التى تنتشر فى العالم البدائى .

سبب آخر لتعدد الزوجات وهو ممارسة العادة اليهودية المتضمنة أن يتزوج الأخ زوجة أخيه المتوفى ، كما عليه أيضاً رعاية أطفاله . وليس هناك إجبار على الزوجة أن تتزوج شقيق زوجها ولكن فى العادة تتزوجه .

ويجب ألا يأخذ نظام تعدد الزوجات على أن المرأة تعيسة فى المجتمع الجيفارى حيث نجد أن هناك رابطة عاطفية قوية تربط بين الأزواج والزوجات حتى بالنسبة للفتيات غير الناضجات والمشترات لأزواجهم والغيرة بين زوجات الرجل نادرة وتتكون الأسرة التقليدية للجيفارو من رجل كبير وزوجة تقربه فى سنه وأخرى يتراوح عمرها بين ١٦ و ٢٠ سنة وثالثة طفلة غير ناضجة ويربط هذه النسوة رابطة حب قوية حيث يتحمل كل منهم الواجبات الزوجية بالتساوى . وطبيعة العاطفة للنسوة الثلاثة مختلفة باختلاف أعمارهن ولذا فالخلاف بينهم ليس بذى قيمة .

وعلى الرغم من أن أى مجموعة من الأقارب تكون شديدة الريبة والشك وقوية البأس ضد الأغراب إلا أن الصداقة والعاطفة تسود بين أفرادها . وهنا

يركز الإهتمام على كرم الجيفـــارو وحسن ضيافتهم وسلوكهم الطيب . وقبائل الجيفارو مثلهم مثل معظم هنود أمريكا مغرمين بالغناء وبالآلات الموسيقية . ومن ثم فيصاحب الرقص والحفلات عادة مجموعة غنائية كما يستدعى غالباً المغنيين المشهورين للأداء المنفرد فى هذه الحفلات. ويوجد عديد من الأغانى فمنها للحب ومنها للحرب أو العويل وما إلى ذلك ويلعب الرجال على مزامير مختلفة صنعت من البامبو وذلك فى المنـــاسبات الحزينة أو المفرحة . أما الطبول فتصنع من جلود ثعابين ضخمة وهى تستخدم فى العادة للإشارات وليس كأدوات موسيقية. كذلك يستعمل النفير الطويل فى الإشارات ولكن يستعمل أيضـــاً فى حفلات الرقص ، كما تستخدم طبول دائرية صغيرة يصل طولها عشر بوصات فى مناسبات الرقص . وأغرب الآلات الموسيقية المستخدمة عند الجيفارو كمان بدائية صغيرة تعرف بإسم كوركور querquer يصنع صندوق الصوت فيها من أخشاب الأرز ولها وتران يتردد منهما الأنغام . ويتم العزف عليهـــا بواسطة قوس صغير به شريط من الروطان . ولا يعزف بهذه الآلة إلا حينما يكون العازف منفرداً فى بيته أو حين يستدعى فى المناسبات الحزينة . والموسيقى الصادرة من هذه الآلة تتسم بالحزن الشديد كذلك يبكى العازف أثناء عزفه .

والجيفارو مولع بالاطفـــال ومن ثم ينظر الزواج على أنه وسيلة لإنجاب الأطفـال ولذا فالمرأة العاقر تهجر لهذا السبب . وحينما تحمل المرأة ولا سيما إذا كانت للمرة الأولى فإن زوجها وجميع الاقارب يتوددون إليها ويعاملونها بلطف ، وإذا ماجاء وقت المخاض تعطى مشروبا يحتوى على مسحوق من العشب وذلك تخفيفاً من لآلم الوضـع . وتتم الولادة والام جالسة أو نصف واقفـة . وبعد الولادة تأخذ الام والطفل للاستحمام فى النهر ومن ثم تبدأ الام فى أن تستأنف واجباتها الخفيفة .

وإلى أن يتمكن الطفل من السير يبعده الاب عن اللحم الحيواني وبعض النباتات وذلك خوفاً على روح الطفل . ولا يأتى الاب إلى سرير الطفل فى أى وقت على الرغم من أن هذه العادة والتى تعرف باسم كوفادى cowvade سائدة فى القبائل المجاورة كما أنها توجد فى مناطق متعددة من العالم ومن بينها منطقة الباسك بأسبانيا .

ويعطى كل الكبار فى هذا المجتمع جل اهتمامهم للأطفال الذين لهم حرية كبيرة ولا يعاقبوا إلا نادرا ، ومن ثم فهم مثل بقية أطفال العالم البدائى ينشئون على احترام وإجلال الكبار . وحينما ينموا الاطفال تعتنى الفتيات معظم وقتهن مع النســـاء لتتعلمن كل الأمور التى سوف تعهد إليهن عند النضج . أما الصبية فيرافقوا الرجال فى صيدهم وكذلك فى حروبهم إذا ما بلغوا من العمر السابعة أو الثامنة على الرغم من أنهم لا يشتركون فى الحرب إلا بعد بلوغهم مرحلة النضج . ولا يوجد فى هذا المجتمع طقوس تصاحب البلوغ . وإن كان يقـــام حفل صغير للفتاة بعد بعد بلوغها ينفخ فيه الدخان عند أنفها أما بلوغ الاطفال فيصاحب بإقامة وليمة ومن ثم فليس هناك طقوسة سرية .

وعلى النقيض من جماعات بدائية كثيرة لايرجع الجيفارو كل أنواع المرض إلى سحر الشامان أو العدو على الرغم من أن بعض الشـامانيين يزعمون أن لديهم القوة التى تسبب المرض والموت . فالبرد والحمى والدسنتريا كلها أمراض ينظر إليها على أنها طبيعية . ويبدو أن الجيفارو يفهم معنى العدوى ذلك المعنى الذى أدركه من تجربته مع أمراض البيض ومن ثم فلديهم معزل يضعون منه الشخص الذى تظهر عليه الأمراض المعدية . وبعض الامراض تسببهـــا فى اعتقادهم أرواح شريرة تدخل الاجسام والشامان فى هذه الحالة قادر على شفاء المريض

عن طريق طقوس الهنود الأمريكيين. فبعد أن يمص الجزء المريض لفترة طويلة يندفع فجأة من المنزل كاتم أنفاسه لأنه امتص الروح فى معدته، وفى خارج المنزل يتقيء لتخرج الروح الشريرة من معدته وبشيء من العظمة يأمر الروح الشريرة أن تغادر المنطقة. ويعاون جميع أهل المنزل الشامان فى هذه اللحظة عن طريق الصياح لكى تهرب الروح.

وحينما يموت الجيفارو يوضع فى قارب صغير محفور أو فى كتلة خشبية مجوفة صنعت لهذا الغرض حيث يوضع مع المتوفى أسلحته المفضلة ويغطى الكفن بقطعة من لحاء الأشجار ثم يعلق فى طرفى عمود المنزل لتستمر مراسم الحداد ستة أيام. وإذا كان المتوفى هو قائد الحرب Caraka فى المنزل فان المبنى يهجر بعد أن توضع الأطعمة على أرضه. ومن ثم فإن الجيفارو يأتى كل شهر وذلك لفترة عامين من أجل تجديد الطعام. وإذا كان المتوفى شخص ليست له أهمية فقد يهجر البيت وبعد ستة أيام من الحداد يوضع الكفن فى مقبرة صغيرة بنيت قريبة من أجل ذلك الغرض. والنساء المتوفيات تعاملن فى المراسيم الجنائزية مثل معاملة الرجل العادى. ومن المعتقدات السائدة لدى الجيفارو أن الأطفال يتحولون إلى طيور صغيرة بعد موتهم ومن ثم فليس هناك ضرورة للمحافظة على الجثة. ومن مراسيم الحزن أن تمضى المرأة فى البكاء والعويل طوال الستة أيام أما الرجال فيغيبوا عن المنزل.

ويعتقد الجيفارو أن الميت سوف يعود إلى الحياة مرة أخرى فى شكل حيوان. أما قائد الحرب فسوف يولد من جديد على هيئة نمر الجاجوار وسوف يتجه للعيش فى الغابة بالقرب من العدو ليواصل محاربته كما كان يفعل فى حياته الدنيا وقال أن استمرار تقديم الغذاء لمدة عامين إلى جثة القائد الحربى

ضرورة لكى تستطيع روحه الممثلة فى حيوان الجاجوار أن تكبر وتتمكن من الدفاع عن نفسها . وبعد انقضاء تلك المدة تنزل الجثة وتدفن العظام .

وتحمل معتقدات الجيفارو بين ثناياها قليل من التعاليم المسيحية حيث خضع الجيفارو لتأثير الإرساليات المتناثرة داخل حدودهم منذ بضعة مئات من السنين، وكغيرهم من الجماعات البدائية أدخلوا فى معتقداتهم بعض الصناعة الأجنبية بسهولة إذ أن معتقداتهم ليست ثابتة أو متحجرة . فأسطورة الخلق لديهم تتمثل فى قصة الكوبارا Cupara وزوجته الذى خلق الشمس وزوجة الشمس والقمر خرج من الوحل وأن أبناء الشمس والقمر أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات بما فيها ذلك الدب الكسلان Sloth الذى أصبح الجد الأول للجيفارو ونبات المانيك أصل النيجيمانشى Nijimanche وهم خير أصدقاء للجيفارو . وترتبط بهذه الشخصيات كثيرا من القصص التى تحكى مغامرات عديدة والتى تكون بصورة أو اخرى عناصر حضارة الجيفارو . ومن خير الأمثلة لهذه القصص التى تنتشر انتشاراً واسعاً بين هنود أمريكا قصة الإله التوأم Twin Gods . ففى اعتقاد الجيفارو أن الجاجوار قتل زوجته غير أن والدة الجاجور قد ربت سرا ابنائه التوءم واللذان أصبحا فيما بعد نجمان . وبعد أن كبرا عادا إلى الأرض لينتقما لأمهم بقتل الجاجوار ثم صعدا ثانيا إلى السماء بواسطة سلسلة من الاسهم . هناك أسطورة أخرى خاصة بالطوفان ولا نعرف على وجه الدقة عما إذا كانت هذه الاسطورة من تأثير الإرساليات المسيحية أم لا.

وتعتمد ديانة الجيفارو على فكرة وجود قوة خارقة تعرف باسم تساروتاما Tsarutama . ومثل هذا الاعتقاد ينتشر انتشارا واسعا فى العالم البدائى ويتفق مع معتقدات البولونزين فى المانا Mana . فالاشياء المادية والاشخاص والارواح كلها مسيرة بدرجات متفاوتة من قوة التساروتاما ، وحيث أن هذه القوة غير غير شخصية فهى تستعمل للخير والشر على السواء . أما آلة المطر الذى يعيش فى

قمم الجبال المرتفعة فلدية قوة خارقة مثل قوة الإله أناكوندا Anaconda الذى يعيش فى مسـاقط النهر. كذلك يمثل القمر والشمس والارض وبعض النباتات قوى خارقة فى مجتمع الجيفـارو . ويدخل أيضا ضمن قوة التساروتاما أنواع بعض الحبوب والأحجار وأسنان الجاجوار وجاجم قتلى الحرب والتسانتساس Tsantsas .

ولا يوجد فى مجتمع الجيفـارو آلة تصنع القوعد المادية والروحية لهم فلا يوجد رجال للدين أو أى شخصية دينية متخصصة فيما عدى الشامان الذى تنحصر مهمته الرئيسية فى شفائه السحرى للمرضى . وتتركز قوته فى معرفة الأرواح لحـالما يتوصل لمعرفة الروح التى تسبب آلام فى جسم المريض فهو يعرف الطريقة التى يأمرها ليطردها من جسم المريض . وبمـا أن الشامان لديه القدرة على التحكم فى الأرواح إذ فبـإمكانه أن يرسل المرض إلى الناس كما بإمكانه أن يمنع عنهم . ولهذا يتمتع الشامان بمركز مرموق فى مجتمعه لأن شخصيته مهيبة .

والرجل الشاب الذى يرغب أن يكون شـامانا عليه أن يذهب إلى شامانا أكبر يكن له الإحترام ويسأله عن التعليمات الواجب اتباعها . فإذا ماوافق الشامان على ذلك فإنه يدربه على ذلك لمدة شهر وتتكون معظم التدريبات فى فى الصوم وتناول أنواع متعددة من المكيفات بما فيها ذلك الدخان الذى ينفخ فى الأنف . وفى المراحل النهائية من التدريب يشعر المبتدئ أن الأرواح قد استولت على جسده وذلك من أثر المكيفـات . وبعد ذلك تعطى له التعليمات الخاصة بالطرق العملية للتحكم فى أمراض الارواح المختلفة .ومن بين هذه الطرق ترتيل بعض الاغانى الخاصة المصاحبة لطبلة الشامان .

وإذا أراد الشامان أن يرسل روح المرض إلى جسد شخص ما لكى يمرضه

فإنه يذهب بمفردة إلى النهر ليستدعى الروح كما أن دخان التبغ لا بد وأن يطلق فى اتجاه مكان إقامة الروح مع ترتيل أغانى معينة لكى تجلب الروح . وقد تذهب الروح كالقذيفة إلى جسد الضحية وما أن تصل هذه الروح إلى جسد الضحية حتى لايصبح للشامان أى قوة لشفائه ومن ثم فعلى شامان آخر أن يتولى هذا الأمر .

وللشامان واجبات أخرى إلى جانب ذلك إذ يعتبر حكيم قومه كما أنه يتمتع بنفوذ كبير . ونظراً لغيبه التنظيم السياسى بين الجيفارو لذلك يعتبر الشامان أهم شخصية لها نفوذ فى المجتمع فى كثير من الاحيان فهو قائد الحرب إلى جانب شامان . كذلك ببعض معلوماته الخاصة بالقوى الطبيعية الخارقة قد توضع فى خدمة المجتمع بطرق عديدة إلى جانب الشفاء . فهو يستطيع أن يعد جرعة الحب للرجل الشاب التى من شأنها أن تساعده على اختيار الزوجة التى يريدها . كذلك من بين أعماله الاخرى العمل على التحكم فى الأمطار والفيضانات ومطاردة أرواح الأعداء وما من شأنه أن يصبغ القوة على مجتمعه .

ومما هو جدير بالذكر أن أول ذكر ورد لقبائل الجيفارو فى التاريخ الحديث يرجع إلى منتصف القرن ١٥ حينما بذلت محاولة عديدة من جماعات الإنكا - وذلك تبعا لتقويمهم - لتوسيع أمبراطوريتهم على حساب أراضى الجيفارو . وقد فشلت هذه المحاولات ربما بسبب عدم تأقلمهم لطبيعة مناخ وأراضى الجيفارو ذلك بالإضافة إلى مهارة الجيفارو فى القتال . وبعد مضى قرن من الزمان حينما تمكن الأسبان من قهر أمبراطورية الانكا أرسلت بعثة تحت قيادة بينافينتى Benavente إلى مناطق الجيفارو ووصف مناطق استقرارهم بأنها أسوء أراضى شاهدوها على الإطلاق فى حياته فلم يرى مثلها فى أسبانيا أو أى جزء آخر من أراضى الهنود التى رحل إليها، كما ذكر أن الجيفارو عاريون ويعتمدون على أنفسهم

اعتماداً كلياً وفى وصف بينافتى لسكان هذه المنطقة أطلق عليهم اسم جيفارو حيث ظل هذا الإسم لاحقاً بهم حتى وقتنا الحاضر .

وقد بذل الأسبان محاولات عديدة للاستيلاء على موطن الجيفارو وتمخضت هذه المحاولات على اكتشاف مناجم الذهب فى عديد من المجارى العليا للأنهار . ولم يهاجم الجيفارو الأسبان القادمين فى بادىء الأمر ولكن حينما بدأ الأسبان يفدون بأعداد كبيرة إلى أرض الجيفارو وحينما بدأوا يمارسون ضغوط جيفارية ومادية منهم كاستخدامهم كرقيق قام بسلسلة من الثورات المحلية والغزوات التى بدأت فى عام ١٥٩٩ وهى نفس العام الذى قامت فيه ثورة هنود Araucanians فى شيلى . وقد كانت هذه الثورة نجاحاً كبيراً للجيفارو حيث قتل معظم الأسبان فى مناطق كثيرة ومن بقى منهم فر . حدث بعد ذلك أن أرسلت أسبانيا حملة حربية إلى منطقة الجيفارو غير أنها أبيدت ومن ثم توقف تغلغل الأسبان إلى هذه المناطق .

وقد بذل الجزويت عدة محاولات لإقامة مدن تبشيرية غير أن هذه المحاولات لم تكلل بالنجاح حتى النصف الثانى من القرن ١٨ . فقد تمكن أحد المبشرين ويدعى الأب أندرز كاماشو Andres Camacho من أن يرحل بمفردة إلى هناك من أجل اكتساب ثقة عديد من مجموعات الجيفارو وبالفعل تمكن من تحقيق بعض النجاح . غير أن جماعات الجزويت قد طردت من العالم الجديد فى عام ١٧٦٧ بواسطة الملك شارل ٣ ومن ثم أسدل الستار عن مجهودات البعثات التبشيرية فى هذه المنطقة . ذهبت بعض ذلك فى فترات متفرقة بعض أساقفة الدومينكان غير أن ماحققه هناك وانتشار أمراض الجدرى بين الجيفارو الذين ليس لديهم مقاومة لهذا المرض . كما أن حروب الإستقلال فى أمريكا اللاتينية والتى أقلقت

أكوادور وبيرو ولم يكن هناك مفر من إبعاد الإضطرابات عن أراضى المونتانا وذلك حتى منتصف القرن ١٩ حينما أسست إرساليات متعددة، ورغم ذلك لم تنجح أى إرسالية فى التأثير على عدد كبير من الهنود الأمريكيين .

وربما كان أعظم تأثير حضارى نتج عن احتكاك الرجل الأبيض بهنود المونتانا ومثلهم فى ذلك مثل بقية الهنود الموجودين فى حوض الأمازون هو معرفة المطاط واستغلاله . فإقليم المونتانا من الأقاليم التى كانت تتسم بوجود كميات كبيرة من المطاط الطبيعى وذلك حينما بدأ العالم يبحث عن المطاط الخام ومن ثم فمنذ عام ١٨٧٠ بدأ التاريخ الحقيقى لإزدهار حوض الأمزون حيث بدأت عديد من الدول ترسل إلى تلك المنطقة البعثات الكشفية. وقد تمكن الرجل الأبيض فى أجزاء عديدة من حوض الأمزون من أن يحتكوا بالسكان الأصليين فى غضون الفترة القصيرة للعصر الذهبى المطاط الطبيعى التى انتهت فى عام ١٩١٠ حينما بدأ ظهور مزارع المطاط الحديثة فى أندونيسيا تمكن الجيفارو من الاتجار مع الأوربيين والإحتكاك بهم فعرفوا البنادق والفؤوس والسكاكين . ومنذ عصر المطاط الطبيعى وجد الهنود طريقة الاتصال بالبضائع الأوربية من مراكز بعيدة ولكنهم ظلوا مطاردين لأى محاولة للسيطرة عليهم أو التغلغل فى حياتهم . حقيقة قد تمكن بعض الرجال والعلماء من الإتصال بقبائل الجيفارو حيث استقبلوا استقبالا كريماً من جانبهم غير أن نظام مجتمعهم قد بقى على ما هو عليه ليمثل مجموعة من أنقى القبائل الأصلية الموجودة فى العالم .

قبائل التانجوس

The Reindeer Tungus of Siberia

قبائل التانجوس

ما زالت تحتوى الأراضى المترامية الاطراف فى سيبريا على بقايا عدد من القبائل القديمة . فحتى القرن ١٦ كان يقطن معظم سيبريا عناصر بدائية ليست على صلة بالعالم الخارجى ، كما أن اتصالها بروسيا الاوربية كان محدوداً للغاية وقاصر فقط على بعض المغامرين والراغبين فى التجارة والذين ذهبوا إلى هناك فى بعض الاحيان وقد خضعت هذه المناطق لهجمات التتار والمغول والتى اتجهت صوب الغرب فى غضون القرن ١٣ وحيث فتحت لروسيا تدريجيا فيما بعد لتسقط تحت نفوذ روسيا فى عام ١٥٨٠ . ومنذ هذا التاريخ فقد شهدت سيبريا تغلغلا تدريجيا للروس ومستعمراتهم والتى واكبت أيضا امتصاص وإذابة بطيئه للسكان الاصليين .

وقد ظلت أواسط آسيا لعدة قرون أراضى البدو الرعاة الذين يتجولون فصليا بغية الحصول على مرعى لقطعان أغنامهم وأبقارهم وخيولهم . وربما انحدرت هذه الحيوانات المستأنسة من مراكز العصر الحجرى الحديث الكبرى التى وجدت فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط وفى الهند وأواسط الصين . ومع انتشار هذه الحضارة لم تدخل الزراعة الاقتصاد المستقر المتطور فى المناطق الصحراوية المجاورة لمراكز نشاطها كذلك إلى مناطق الاستبس والسلاسل الجبلية فى وسط آسيا واقتصر انتشارها على بعض المناطق المحدودة التى لاءمت فيها الظروف الجغرافية قيام هذه الحضارة .

وحيث أن هذه الحضارة اعتمدت على استئناس الحيوان فقد انتشرت صوب الشمال إلى الغابات الشبه قطبية المترامية الاطراف فى سيبريا غير أن قطعان الماشية والاغنام والخيول لم تتمكن من العيش فى هذه المناطق الباردة فتركت

فكانها لا ستئناس حيوان الرنه . وقد ظل الصيد رغم ذلك اساســا هاما فى اقتصاد القبائل التى ترعى الرنه .

وتضم المناطق القطبية فى امريكا الشمالية عروضا متشابهة لتلك التى توجد فى أسيا فالمناطق الجنوبية تتكون من نطاق غابى كبير يتدرج صوب الشمال إلى نطاق يحتوى على اشجار اصغر وشجيرات . وإلى الشمال من نطاق الغابات عند تلك السهول المعروفه باسم التندرا أو كما تسمى فى كندا باسم الاراضى الجدباء ، وإلى الشمال من تلك المنطقة يوجد المحيط المتجمد الشمالى ولكن رغم هذا التشابه الواضح بين العروض القطبيه فى كل من القارتين السابقتين إلا ان اقتصاد البحر واليابس فى كل من القارتين مختلف تماما .

ففى امريكا الشماليه يقطن حدود البحار القطبية جماعات الاسكيمو الذين لاءموا حياتهم لصيد الثدييات البحريه إذ ان التندرا جدباء تماما وان الموارد المحدود هى مصدر معيشه الأعداد القليلة من الاسكيمو ومجموعات الهنود الامريكين .

أما فى أسيا فعلى النقيض فتنحصر منطقة صيد الثدييات البحريه فى منطقه ساحليه واحده فالبحر على طول الساحل ضحل ، كما ان الاراضى منخفضه مستنقعيه بحيث لا يستطيع الانسان بدون استخدام سفن صيد الحيتان أن يصل إلى الثدييات الكبرى .

غير ان التندرا والغابات المتاخمه لها فى سيبريا تضم حضارة ارقى ومن ثم يقطن فى تلك المناطق مجموعات سكانيه أكثر من تلك التى تعيش فى نفس العروض بأمريكا الشمالية .

وينتشر الصيد البرى وصيد الاسماك إلى جانب تربية الرنه . ويمتد قوس كبير يضم رعاة الرنه أبتدأ من شمال اسكنديناوة وعبر التندرا ومن خلال حدود

الغابات الشمالية إلى شبه جزيرة شوكشى Chukchi إلى بحر بهرنج . ويضم نطاق رعاة الرنة فى الوقت الحاضر ألاسكا أيضاً حيث أحضرت الحكومة الأمريكية القطعان السيبرية وذلك لمساعدة الإسكيمو . وفى كل هذه المنطقة لايعتمد الاهالى على أى محصول زراعى كما أنهم لايمتلكون أى حيوان مستأنس سوى الكلب.

واستخدام حيوان الرنه بين رعاته يختلف اختلافاً كبيراً على الرغم من تشابه البيئة ويبدو أن اختلاف الاستخدام يرد فى المقام الأول إلى الأصول المختلفة لعادات الرعاة ، فبعض الجماعات الغربية مثل جماعات اللاب فى شبه جزيرة اسكنديناوة يعتمدون على الأيل deer فى الحصول على الالبان واللحوم والجلود كما يستخدمونه فى اجتذاب حيوانات المطية. ويحتمل أنهم عرفوا قلب الاستخدامات عن طريق جيرانهم الجنوبيين . أما على التخوم الشرقية من الإقليم حيث توجد جماعات الشوكشى Chukchi الكورياك Koryck بالقرب من بحر بهرنج نجدهم لم يستأنسوا قطعانهم استئناسا كاملا إذ يستخدمونها فقط فى جر زحافتهم بطريقة تشبه استخدام الكلب فى هذا الصدد . أما فى المناطق المحصورة بين الاطراف الشرقية والغربية فتوجد جماعات التانجوس أو رعاة رنة التانجوس الذين يمثل الياقوت Yakut أكبر جماعاتهم كما أن قبيلة سويوت Sonot الصغيرة تبدو وكأنها تمثل نموذجا للعادات والتقاليد الرعوية السائدة فى بيئة رعاة الخيل . ففى هذه المنطقة تحلب الرنة مثلما تحلب الخيول فى أواسط آسيا ، كما تستخدم أيضاً فى الحمل والامتطاء . وأسراج التانجوس تشبه أسراج خيول المغول كما أن كثيراً من تقاليد وطرق الامتطاء وإعداد المطية لديهم تشير إلى وفود هذه التقاليد من الجنوب صوب الشمال .

وتنتشر لغة جماعات التانجوس انتشاراً واسعا فى شمال شرق آسيا حيث

تنقسم إلى مجموعتين لغويتين شمالية وجنوبية . وهذا التقسيم يتفق بصفة عامة مع نمطين من الاقتصاد يسود بينهم . أما عن الجماعات الجنوبية أو التانجوس الجنوبيون فيقطنون أساساً في منشوريا ومنغوليا الخارجية Outer Mongolia حيث يمارسون بعض الزراعة إلى جانب تربية قطعان الماشية والخيول فجماعات المانشو Manchus الذين هزم أجدادهم الصين في عام ١٦٤٤ يعتبروا خير الامثلة لتانجوس الجنوب . أما تانجوس الشمال الذين يعتقد بأنهم دفعوا إلى سيبريا من موطنهم الاصلي في منشوريا تحت ضغط جماعات أقوى منهم في الماضي فهم رعاة رنة في الاصل وصيادين فيما عدا بعض الجماعات النهرية الصغيرة وكذلك بعض القبائل الساحلية مثل قبيلة الجولدى Goldi والجيليـاك Gilyak والذين يعتمدوا في حياتهم أساساً على صيد السمك . وينتمي كل الجماعات المتحدثة بلغة التانجوس إلى المجموعة المغولية، غير أن بعضهم يتصف بأن وجوههم أقل عرضاً وفلطحة من وجه المغول الحقيقيين الذين يقطنوا الجنوب .

وينتشر رعاة الرنة الذين يربوا عددهم على ٢٠ ألف نسمة على هيئة قبائل صغيرة مستقلة تعيش على مساحة واسعة من الأرض تمتد من شرق سيبريا ابتداء من نهر يانسي وحتى شبه جزيرة كمتشكا . هذه القبائل التي تعتمد اعتماداً كليا على الرنة تعيش في شمال بحيرة بيكال إلى الشمال من خط عرض ٥٥° ش . وهم لا يطلقون على أنفسهم أسم تانجوس كما أنه لا يوجد مثل هذا الاسم لدى أى مجموعة منهم فبعض القبائل المفردة تدعى لنفسها اسم ايفنكي Evenki وهو مصطلح لا يعرف معناه الاصلي على وجه الدقة غير أنه من دراسة مضامين استخداماته فربما يعنى شعب People . بعض الجماعات الأخرى من التانجوس الرعاة تعرف باسم الاوروكون Orochon أو مربى التانجوس . أما مصطلح تانجوس فقد أطلقه عليهم جماعات الياقوت وأخذه عنهم بعد ذلك المستوطنين

الروس . أما الآن فيستخدم هذا المصطلح استخداما علميافيطلق على كل المجموعة اللغوية المتحدثه بها .

فى فصل الشتاء تغطى معظم مناطق التانجـوس الشمالية بالغابات التى تسمى باسم التايجا وحيث يخترقها عـدد من الانشاءات النهرية التى تساعـد فى فصل الصيف عـلى خلق منطقة مستنقعية متسعة كذلك التى توجـد فى قيعان الاودية النهرية الكبيرة . والتربة فقيرة لا تصلح للزراعة كما أن فصل النمـو قصير جدا غير أن الأراضى الغابيةوالمستنقعيةتغطى بالطحالب والشجيرات والصفصاف القرمى وغيرها من الحشائش التى يأكلها حيوان الرنة . وفصل الشتاء طويل كما أنه بارد جدا حيث تنخفض درجة الحرارة إلى ٨٠°ف ، ويستمرالطقس المثلج المتجمد من أوائل أكتوبر وحتى شهرى مايو ويونيو . وتساقط الثلج خفيف كما أن غيبة الغطاءات الجليدية تساعد على تجمد التربة لاعماق كبيرة .

ويسود المستنقعات كل المنطقة الموجودة فى شمال شـــرق آسيا فيما عدا قمم التلال والجبال وذلك إبان فصل الصيف ، كما أن التجمد الذى يتسرب إلىالأرض إلى أعماق بعيدة لا يذوب إلا فى الأجـزاء العليا فقط وذلك فى فصل الصيف ، ومن ثم فالاوحال الناتجـة عن ذوبان التربة العليا والتى تصل إلى بضعة أقدام لا تجف خلال فصل الصيف القصير ، كما أن المياه الناتجة عن الذوبان لاتجـــد منفذا لإنصرافها إذ أن الطبقة السفلى من التربة ما تزال متجمد . ومع نهاية فصل الصيف تعطى الأراضى التى يمكنهـا أن تجف مظهراً لتربة صلبة ولكنها فى العادة لا تمثل إلا قشرة يمكن أن تنهار بسهوله .

وسهول التندرا المتجمدة والتى تمتد صوب الشمال إلى ما وراء نطاق أشجار المزان تمثل بيئة رعويه أفضل من الغابات فى فصل الصيف ومن ثم تتحرك بعض

الجماعات البيواخلال فصل الدفء . ولا توجد هناك حشائش بكثرة ولكن توجد بعض شجيرات الصفصاف والحشائش القصيرة. ولابد للحيوانات أن تأكل ما تستطيع أكله وتسمن فى هذا الموسم إذ عليها أن تقاوم الشتاءالقاسى حينما تضطر إلى الرعى فوق الجليد للحصول على القدر اليسر من الطعام والممثل فى طحالب الرنه والتى تعتبر الغذاء الرئيسى لفترة تتراوح ما بين ثمانية وتسعة شهور . وفى خلال فصل الشتاء على وجه الخصوص لا بد للقطعان من التحرك الدائم وذلك لأن تراكم الجليد قد يحول دون قدرة الحيوان على التنقيب . ونتيجة لذلك فعلى جماعات التانجوس أن تجوب فوق مساحة واسعة ومن ثم فكثافة السكان فى هذه المناطق قليلة جد حيث تصل الكثافة إلى شخص واحد لكل ١٠٠ ميل٢ .

أما فى فصل الصيف فيعانى حيوان الرنه كثيراً من الذباب والناموس بحيث إذا ما تركت الحيوانات بدون رعاية فإنها تهـــزل وتمرض . ولذا فيضطر التانجوس لمطاردة تلك الحشرات وذلك عن طريق اشعال النار وتكثيف الأدخنة حول المنطقة التى ترعى فيها الحيوانات أثناء النهار . ويحدث الرحيل عادة أثناء الليل فى فصل الصيف وذلك لتجنب الحيوانات الضاربة . أما فى الشتاء فتمثل الذئاب خطرا كبيرا على الرعى حيث يفقد القطيع فى العادة ما يقرب من نصف عدده بسبب الذئاب أثناء فصل الشتاء حيث يرتفع عـــدد الضحايا بين صغار الحيوانات وضعافها . وفى العادة يخرج القطيع للرعى أثناء النهار ويبقى إلى جانب المعسكر أثناء الليل وذلك حينما تبدأ الذئاب فى التجوال .

والرنه الذى يمتلكه جماعات التانجوس من سلالات مرعاه وليس مستأنس من أصول بريه فلون الرنه ربما يكون أسود أو أبيض أو الاطياف المختلفة من اللون البنى وذلك على النقيض من اللون البنى الرمادى الذى يميز الأنواع البرية

وقد يلحق فى بعض الاحيان ذكور الرنه البريه بالقطعان المستأنسة وذلك أثناء فصل التزاوج ولكن يعمد التانجوس لقتلهم وقتـــل سلالاتهم المختلفة وذلك لإعتقادهم بأن الاصول البرية لا يمكن استخدامها . والرنه المستأنس وضـــع محترم حيث يلتحقوا بمعسكرات التانجـــوس وذلك لحاجتهم إلى الملح وإلى مخلفات الإنسان .

ويكمن الخطر الأكبر للرنه فى الذئاب ومن ثم فلا تزن أحجام القطعان بسهوله . ومن هنا لا يلجأ التانجوس بذبح حيواناتهم من أجـــل الحصول على اللحوم ولا يحدث ذلك إلا فى المناسبات القليلة الهامة وفى حالة المجاعات . وحتى فى تلك الاحوال فلا يقتل إلا ضعاف الحيوانات . والانتـاج الرئيسى لحيوان الرنه الألبان التى تحلى ويصنع منها الكريم غـــير أن نسبة الدسم منخفضة فأنثى الرنه يمكنها أن تعطى فى أفضل حالتها حوالى رطل من اللبن يوميا وذلك بعد اطعام رضيعها . وتقوم النساء بحلب الألبـان ورعايتهـا غير أنهم لا يقمن برعيها إذ يترك القطيع ليرعى بنفسه وليجد المأكل والمشرب اللازم فى أى مكان ليعود بعد ذلك بنفسه لمكانه ولا تغادر انثى الرنه ورضيعها المعسكر ، كما تقطع قرون الذكور وذلك خوفا من أن تجرح راكبها أو تشبك فى الشجيرات أثناء رعيهـا ، ومن الطبيعى أن تتعرض للتلف بسهولة وذلك فى فصـل التزاوج . ويقدر التانجوس حيواناتهم كثيراً حتى فى حالة رعيهم لا يستخدموا عصى أو اسواط لقيادتهم . وينحصر الإستخدام الرئيسى للرنه فى النقـل والركوب أما استخدامه فى الحمـل فيأتى فى مرتبه بعد ذلك وفى بعض الأقاليم تربط الرنه احيانا فى زحافات للسفر فى مناطق التندرا إثناء الصـيف والشتاء فرنه التانجوس الكبير الحجم يمكن يستخدم مثل الحصان فى سيبريا حيث يستطيع ان يرحل لمسافة ٥٠ ميـلا يوميا ويحمل ١٧٥ رطلا بسهولة فوق اراضى وعره وصعبه

لا يمكن للحضأن ان يسير فيها . وإستخدام الرنه بهذه الصورة يمثل اساس اقتصادى هام للتانجوس إذ تمكنه من توسيع نطاق صيده .

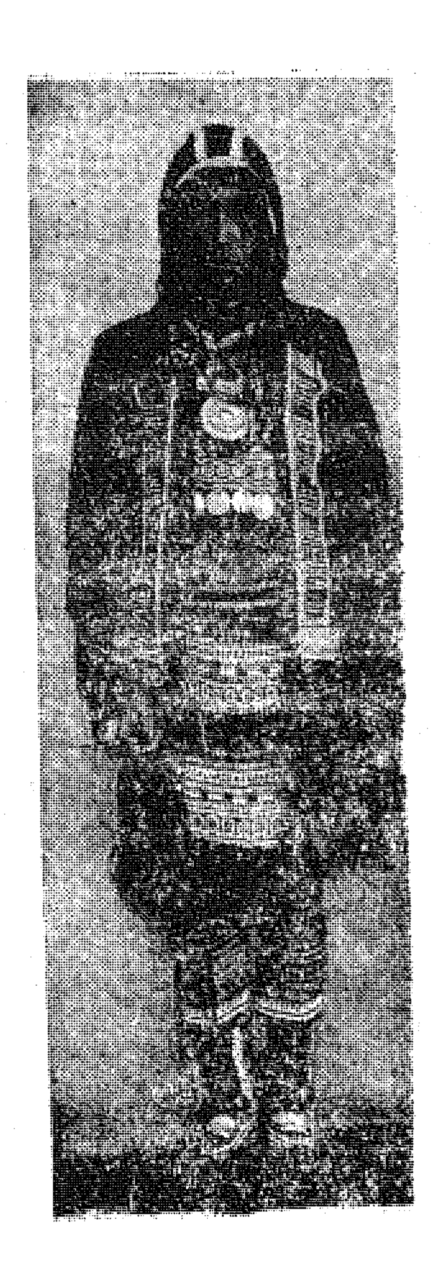
ويعتبر الصيد والقنص هو النشاط الإقتصادى اليومى لقبائل التانجوس . حيث يعمد الاهالى لاصطياد الثعالب والسمور Sable وبعض الحيوانات الكبيرة مثل الرنه البرى والايل والدب والذئاب ذلك إلى جانب الخنازير . ويستخدم التانجوس حاليا البنادق بدلا من القوس والسهم والرمح الذى كان يستخدم قبل ذلك . ولا يمارس صيد السمك بطبيعة الحال إلا فى الأوقات التى يتحرك فيها التانجوس صعوب المجارى المائية . وعلى الرغم من الأهمية الكبرى لحيوان الرنه فى الحياة العاطفية والدينية للتانجوس إلا أنهم جماعات صائدة أساسا ، فحيوان الرنة هو الحيوان الذى جعل التانجوس يعيشون فوق مستوى الكفاف كما انه هو الذى جعلهم أكثر حرصا كصيادين ،وبهذا المفهوم فلهم التفوق الحضارى على مجتمعات الصيد والقنص العادية الأخرى التى توجد فى أنحاء العالم . وتمدهم منتجات الصيد بحاجاتهم الأساسية من طعام وملبس ومأوى . كما أن صيد الحيوانات ذات الفراء ولاسيما السمور والسنجاب وذلك للمقايضة مع التجار الروس يمثل أهمية إقتصادية كبيرة لقبائل التانجوس منذ قرون عدة . فروج الحيوانات والبنادق والطلقات النارية والفؤوس الحديدية والسكاكين والأدوات المنزلية والشاى والتبغ كلها بضائع وسلع هامة بالنسبة للتانجوس يمكن مقايضتها نظير فراء الحيوانات ،

ويختلف ملبس التانجوس من مكان لآخر وذلك تبعا للتأثيرات الحضارية المختلفة المستمدة من جيرانهم فى جميع الجهات . وقطعة الملابس الوحيدة الباقية من الملبس التقليدى للتانجوس هو المعطف المزركش وهو مصنوع من جلود

الرنة ويفضل جلد أنثى الرنه حيث تحاك بطريقة تشبه طريقة حياكة المعطف الاوربى . ويرتدى التانجوس هذا المعطف شتاءاً وصيفاً . وربما نجد أن الفتحة الامامية بها ميزات معينة أثناء الامتطاء حيث يتعرض الصدر والمعدة إلى البرد ولذا فتوضع قطعة من الجلد لحماية هذه الأجزاء من الرياح . ويوجد هذاالطراز فى بعض جهات الصيد . (شكل ٩)

وربما كان الأصل الجنوبى لتانجوس الشمال وعدم ملاءمتهم الكاملة لظروف الحياة القطبية عاملا وراء مظهر آخر من ملابسهم . فالبنطلونات قصيرة . وهو نموذج معروف أيضا بالصين - كما أنه يوضع عليها قطع مقوية عند الركبة . أما الأحذية الجلدية ذات الرقبة والتى تعتبر نموذجا حضاريا مرتبطا بالمناطق القطبية فربما استعير بمظهره الكامل هذا من القبائل القطبية المجاورة وذلك لأن الخف Footgear الأصلى الذى لا يناسبهم مطلقا لم يستخدم . كذلك النظارات التى تحمى العين من ضوء الشمس أثناء الربيع وتخفض الرؤى لدرجة كبيرة فقد استعيرت هى الأخرى من السكان السابقين .

وتتكون نواة مجتمع التانجوس من خيمه صغيرة يعيش فيها الزوج وزوجته وأطفاله على الرغم من أن والدى الزوج قد يعيشا مع الأسرة فى أغلب الأحيان. وتكون الأسرة أساس الوحدة الإقتصادية والتقسيم الأولى للعمل فى المجتمع بين الرجل والمرأة أمر معترف به هنا حيث يرتكز نشاط الرجال على الصيد والدفاع ضد أخطار الحيوانات الضارية والاعداء ، كذلك صناعة معظم الادوات وتحميل الحيوانات وذبحهم وسلخهم ، وعملية التحطيب وغيرها من الامور التى تتم خارج المنزل . أما النساء فتقمن بصنع الثياب والخيام وحلب الحيوانات ورعايتهم فى المعسكر ذلك إلى جانب الاعمال المنزلية العادية التى ترتبط باعداد الطعام ورعاية



شكل (٩) التانجوس فى سيبريا

الاطفال . وجماعات التانجوس لاتتمسك بشدة بتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ومثلهم فى ذلك مثل كثير من المجتمعات حيث يساعد الرجل المرأة فى كثير من أعمالها كذلك تقدم الزوجة المساعدة للزوج فى عمله . أضف إلى ذلك فقد يقوم الرجل المسن الذى لا يقوى على الصيد بجميع الاعمال التى تقوم بها المرأة فى المنزل .

ولا بد أن يكون منزل التانجوس سهل الحمل والنقل كذلك لابد أن تكون أدوات المنزل خفيفة ومحدودة .

فخيمه الشتاء الجلديه صغيرة وتحتوى فى العادة على اماكن مبيت لشخصين أو ثلاثه إلى جانب بعض الاطفال . اما الماوى الصيفى فيشيد عادة من لحاء الاشجار وهو أكثر اتساع من الخيمة وذلك لان مكان الاستقرار فى فصل الصيف أكثر دوما منه فى الشتاء . ويأخذ المنزل الشكل المخروطى حيث يحمل على اعمده مائله تتجمع عند القمة فى الوسط حيث تترك مفتوحة كمنفذ للدخان . أما الاثاث فعباره عن الجلود التى تكون الاسرة . ويفضل التانجوس الاسترخاء على الارض بدلا من الجلوس وذلك لكى يتنشقوا هواء انقى .

ولابد وان تظل الخيمه مغلقة جيدا فى فصل الشتاء كما لابد وان تظل النار مشتعلة وذلك لشدة البروده اما فى الصيف فيتبع نفس النظام بالنسبة للمستقر الصيفى وذلك بسبب وجود الحشرات ومن ثم فالجو داخل المسكن دائما مدخن وادوات الطهى لاتزيد فى العادة عن كونها مجرد غلايه من المعدن . وعنصر الطعام الرئيسى فى جميع المواسم اللحوم المغليه ذلك إلى جانب الشاى والدخان اللذان يقدما فى العادة عند وفود الضيوف .

وتتسم طريقة أو اتيكيت المعيشه فى المسكن بأنها معقدة حيث يخصص المكان الذى يقع على يمين المدخل للزوج والزوجه بينما يخصص الجانب الايسر لأكبر الذكور بعد ذلك وفى العادة يكون الابن الأكبر . أما الجانب المقابل للمدخل فيخصص للأرواح أو للزوار الذكور المقتربين حيث يعامل الزوار معاملة تتسم بالحفاوة والكرم . والمحادثه امر عادى ولا سيما إذا كان الزائر أكبر من المضيف كما أن التعبيرات العاطفية للفرح والسرور والدهشة أمر غير مستحب وتقدم الهدايا بحريه وواجب على الضيف عدم رفض الهديه بل يقتضى الواجب عليه أن يردها .

وفى فصل الشتاء الذى يستغرق ⅔ العام ينتشر التانجوس على طول حدود القبيله ونادرا ماتجد جماعة تزيد على اسرتين أو ثلاث . ويتحرك معسكر التانجوس باستمرار مع بحث الرنه عن أراضى رعى جديدة ويغيب الرجال عادة عن المعسكر وذلك بسبب الصيد ورحلات القنص بينما تتعهد النساء القطعان وتحافظ على المعسكر حتى فى حالات الضرورة قد تقمن بنقل المعسكر إلى مُوقع جديد . وحين يتكون المعسكر من عدد من الاسر يقسم الصيد بينهم فيما عدا الجلود التى يبقى عليها من اجل أن يتبادلها الصائد شخصيا للحصول على الشاى والتبغ وبعض الكماليات .

وتعمد اسر التانجوس لاختيار مواضع معينه لمعسكراتهم كما ان لها طرقا منظمه للهجـــرة حيث تأتى جميعها فى فصل الصيف إلى معسكر أكثر دواما وأكبر وقد تترك الاسر المفردة وجماعات معسكر الشتاء مخازن الطعـــام والملابس والادوات الاخرى فى مواضعها المعتادة وذلك لكى تتخلص من مشكله النقل والمخازن عبارة عن اكواخ طوليه صغيره ترتفع فوق ارصفه وذلك لكى

تحميها من الحيوانات ويسمح لاى فرد أو أى اسرة من التانجوس التى تنتمى إلى القبيلة أو العشيره أن يأخذ من المخزن ما يشاء واذا ما اخـذ شخص شيئا ثمينا من المخزن ولم يتمكن من ارجاعه إلى مقامة قبل وصول العائله فانه يترك مكانها قطعة من الخشب يوضح عليها شخصية المستعير ومعنى ذلك أن الشيء سوف يرد فيما بعد .

ولا يتبادل التانجوس فى العادة التجارة مع غيره إذ يقتصر الامر فقط على تبادل الهدايا والاستعارة والكرم العادى أما الادوات والشاى والتبغ والمواد الاخرى تى تأتى من الخارج كلها بضائع يحضرها بعض تجار التانجوس فى نظير تبادلهم للفراء. وكان من نتيجه ذلك أن احترمت الملكيه الخاصه للسنجاب والستور . وفيما عدا ذلك لايوجد اعتراف بحقوق الملكيه الخاصة للمصادر الطبيعية فا لابد الاكبر إذ كان قادرا يرث فى العادة حقوق ومسئوليات كبير العائله غير انه لاتوجد ملكية خاصه بمعنى الكلمه يمكن ان تنتقل اليه . فقطيع الرنه ليس بذات قيمه لانه ملكا دائما للاسره . فحجم القطيع يتذبذب من سنه إلى أخرى بسبب فتك الثعالب والامراض بهم ومن ثم فيجتمع قادة الاسر فى كل صيف على هيئة مجلس العشيرة ليعيدوا توزيع رؤوس الرنه على الاسر وذلك لكى تتمكن كل اسرة من العيش فى خلال الشتاء القادم . وهذا يعنى ان ملكيه الرنه استثمار لكل العشيرة على الرغم من الاسر المنفرده . تتعهد الجزء الخاص بها من القطيع وبنفس المطق الاراض التى تتجـــول فيهاالاسر تدخل ضمن نفوذ العشائر المتزاوجه التى تشغلها فلا توجد امتيازات ثراء مهمه بين السكان .

وتتكون عشيرة التانجوس من اسر ابويه متقاربة ، وتسمى كل عشيرة باسم

يحمل احيانا اسم جد الرجل . وتختلف عشائر التانجوس فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الحجم إذ يتراوح عدد افرادها ما بين ١٢ فردا إلى عـــده مئات ، ورياسة العشيرة ليست وراثية، ففى فصل الصيف حين تجتمع كل الاسر فى المأوى الصيفى يتخذ القرار باجماع اراء رؤساء الاسر أو عن طريق مجلس العشيرة . وهناك ميلا بين عشيرة معينة لأن يتزوج أفرادها من عشيرة أخرى . ونظام الزواج يخضع لأصول قوية فإذا مازوجت عشيرة بناتها لعشيرة أخرى كان على العشيرة الاخيره ان تقوم بنفس العمل . وفى الواقع كما هو جارى بين التانجوس ان ينحصر الزواج بين كل اسرتين وذلك عن طريق زواج البنات ومن ثم فيسود زواج ابناء العمومه إذ يلجأ الرجل دائما لزواج ابنه خاله ، ويعتبر الزواج فى هذه الحالة مثاليا أما ابناء العمومه فيعتبروا من العشيرة ذاتها ولذا يحرم زواجهم من بعضهم .

ولقـــد اصبح التزاوج الداخلى بين افراد العشيرة فى وقت من الاوقات يكون اساسا من الاقارب عن طريق الانحدار الوراثى ، قبائل التانجوس مثلها فى ذلك مثل الجماعات الاخرى القبليه والعشائرية تكون وحدات عريقه متماسكه متميزة لتوضيح اختلافات دقيقة وحساسه عن العشائر الاخرى ولها وحدتها الاقليمية الامر الذى يدعونا إلى ان نصفهـــا بانها قبيلة حقيقية . ووحدات التانجوس القبليه لاتحافظ على استمراريه واضطرادسكانها لفترة طويله من الزمن إذ يبدو بوضوح من اسماء العشائر المتشابه ومن الشعائر المليـة التى تمارس فى مناطق متعددة أن بعض هذه الوحدات قد انفرط عقدها وانقسمت إلى مجموعات منفصلة وذلك على النقيض من مجموعات أخـــرى من العشائر قد تجمعت سويا وقطنت اقليما واحدا .

وتوضح انماط مصطلحات القرابه التى تستخدم بين قبائل التانجوس امرين هامين اولهما العضويه فى العشيره وثانيهما العمر النسبى للفرد . فالنظام المفضل فى الزواج ربما منذ الايام الاولى يتكون اساسا من اتحاد عشيرتين ومن وجهة النظر هذه يوجد نوعين من القرابه احدهما تختص بقرابة عشيرة الأب والاخرى بقرابه عشيرة الام . وكل واحده من هذه تقسم إلى قسمين نوعين أحدهما يضم كبار السن أو المتحدثين باسم مجموعة والاخرى صغار السن . ونتيجة التزواج بين هذين العنصرين نمط بدائى عام وبسيط يفصل بين تزواج ابناء الخال والخالة وابنـــاء العم والعمة وذلك لان زواج المجموعة الاولى مباح حيث تعيش عشائرهم بعيدة أما المجموعة الثانيه فينظر على انهم من عشيره واحده ولذا يحرم الزواج من ابن العمومه اللزم أو مايطلق عليه باللغه الانجليزيه **Parallal Cousins** وذلك على النقيض من مصطلح Cross Cousins بالنسبة ازواج ابناء الخالة والخال . وقد تستخدم هـــذه المصطلحات على نطاق واسع بالنسبة لاعضاء أخرين ينتمـوا إلى عشائر الاب والام . فمصطلح خال يطلق على كل اصدقاء الخال فى العشيرة وليس على المتحدث بأسمهم أو أكبرهم فحسب. أما المصطلحات الوحيده التى تشير عن استخدامها إلى اشخاص بعينهم فهى تلك التى تستخدم للدلاله على الاب أو الام أو الاجداد أو الابناء أو البنات والاحفاد . وقد يميز الاخوه والاخوات الكبار غير المتحدث عن الاخوه والاخوات الصغار . فيما عدا هذه المجموعة الصغيرة من المصطلحات العائليه فإن مصطلحات القرابه الاخرى تستخـــدم بحرية فى المخاطبه بين الافراد . وقد يستعمل فى مخاطبة شخص غير موجود اسمه الحقيقى أو اسمه الاول .

ولا يجوز ان يخاطب الشخص شخص أكبر منه باسمه إذ ان عمل ذلك يعد اهانه كبيرة ، كذلك لا يجـــوز للشخص ان يجلس فى حضرة شخص أكبر منه

إلا إذ دعاه لذلك ولايجوز له التحدث ايضا إلا إذا تكلم قبله ، اضف إلى ذلك فإن مظاهر التقدير له لابد وان تصحب بالانحناءات .

وتحديد وضع الشخص من الكبار أو الصغار لايحدد العمر النسبى بقدر مايحدده جيله . فقد يحدث ان يكون العم فى سن ابن شقيقه أو شقيقته أو يكون اصغر منه ولكن لكونه ينتمى إلى جيل الاب فإنه يعامل ابن أخيه وكأنه أكبر منه كثيرا فى عمرة الحقيقى . ولا توجد محرمات أو عادات يجب تجنبها بين طبقات القرابه المختلفة فى مجتمع التانجوس فيما عدا تلك المسافه الاجتماعيه التى تصاحب اختلاف الاجيال .

وتصر العشيرة على أن يطيع جميع افرادها النظم والقواعد التى تضعها فكل شيء للعشيرة حق للفرد فجميع اسرها تجوب حدود الصيد لتقتنص منها حيوان الرنة كما أنها تنظم الزواج وتحمى افردها من الأعداء وتدعم قواعد السلوك الإجتماعية . وتخول العشيرة فى معاقبة الأفراد العاقين ولها فى هذا الصدد ثلاث عقوبات فالشخص يمكن أن إذا ارتكب جريمة عدم طاعة الكبار أ أتباع تعاليم العشيرة كما يمكن أن يحكم عليه بالموت إذ أرتكب جريمة أكبر من ذلك كالقتل وأن كانت مثل هذه الجريمة نادرة . ثم هناك أيضا عقوبة الطرد من العشيرة وهى أقصى العقوبات لأن الطرد فى هذه الحالة يفقد انتمائه إلى المجموعة وهذا الأنتماء اقتصادى وإجتماعى فى نفس الوقت . أما أفرادالتانجوس الذين يعيشون فى الوقت الحاضر فى المحلات الروسية هم الأفراد الذين طردوا فيما سبق من عشائرهم . أما عقوبة تجريد الفرد من ملكيته فغير معروفة وذلك لأن الملكية لا تفهم فى هذا المجتمع بالمفهوم الفردى ومن ثم فليس لها قيمة . ومن ثم فالسرقة لنفس السبب ليست جريمة شائعة . وفى الواقع أن الجرائم من أى نوع فى مجتمع التانجوس نادرة حتى

الآن حيث لا تحدث الجرائم الخطيرة إلا فى اعقاب تناول كميات كبيرة من الكحـــول .

وجماعات التانجوس حريصة دائما على أن تزيد من حجم عشائرها وذلك لأن العشيره القوية تطفى الأمان والسكينة على افرادها . وحينما تصبح المرأة حاملا يظهر أعضاء العشيرة فرحة كبيرة لهذا الحدث ولا سيما وأنه لا يوجد تفضيل لأى من الجنسين على الآخر وذلك لأن الولد سوف يبقى ليعيش فى إطـــار أرض العشيرة ولكن البنت أيضا سوف تستخدم للمبادلة فى الزواج مع عشيرة آخرى

وعندما يحين موعد ميلاد الطفل تنصب خيمة صغيرة إلى جانب المنزل لتكون حجرة الولادة ، وفى داخلها يوضع عمودان فى وضع رأسى ويشدبا سويا بعمود آخر . وعند الوضع تضع الأم صدرها على العمود العرضى وتمسك بذراعيها فى العمودين الاخرين .

وقد يساعدها فى ذلك أمرأه عجوز غير أنه لم يكن فيما مضى مسموحا بأن يساعدها أحد . كذلك لايسمح حاليا أو قبل ذلك أن يحضر عملية الولادة أى رجل إذ يظل الزوج بعيدا عن مكان الوضع . ولايمارس التانجوس عملية الوئد حتى فى حالة ولادة التوءم رغم أن ولادة طفلين مره واحدة تعتبر أمر غير عادى وغير مصدق بالنسبة لهم لأن سوف تكون لها روحا واحده ومن ثم فموت أحدهما لابد وأن يكون مصحوب بموت الآخر . وبعد الميلاد تعيش الأم ورضيعها فى الخيمه الصغيرة لمدة شهر وذلك إذا ما حدث الميلاد فى فصل الصيف أما إذا كان فى فصل الشتاء فلا تبقى إلا عشرة أيام فقط . ولاتستطيع الأم أن تدخـل إلى مقر الاسرة إلا بعد أن تقام شعائر طهرها عن طريق الاستحمام وتعطير نفسها وممتلكاتها عن طريق الابخره .

وبعد الميلاد بفترة قصيرة يعطى الطفل اسما الذى بقوته السحريه سوف يؤثر فى نمو الطفل وشخصيته . ويظل الطفل فى خلال الأيام الأولى من ميلاده ملفوفا بالفراء ولكن يغسل بعد ذلك ويوضع فى حقيبه من الفراء ويعلق حيث يبقى على هذا الحال لمده عام. وتظل الأم ترضع وليدها لمدة ثلاثة أعوام وإذا لم تلد المرأة فى غضون هذه الفترة فقد تستمر فى ارضاع طفلها لمدة سته أعوام. ويعطى الطفل غذاء اضافيا معينا خلال عام، ويعرض الأطفال للعرى لفترات قصيره دائما ليقدروا على تحمل برد الشتاء القارس. والاستحمام نادر على أى حال كما يحرم غسل الرأس لمدة عامين أو ثلاثة ولهذا السبب نجد أن اطفال التانجوس معرضين للعدوى والمرض .

وقد يحرص الاباء والاقارب على تعليم ابنائهم قواعد الادب والمهارات المتطلبه فى المجتمع غير أن عملية التدريب لاتصاحبها العقوبات أو الزجر. فالاطفال محبوبين جدا من كبار المخيم ولذا فيسمح لهم بأن يفعلوا أى شىء من شأنه تسليتهم كالتدخين أو شرب الكحول أو ممارسة الأعمال البدنية الخطرة بين الحيوانات . ونسبة وفيات الأطفال مرتفعه جدا نتيجة لعدوى المرض أو تجمد الاطراف أو الحروق التى تحدث للاطفال من جراء اقترابهم للنار فى أثناء الزحف .

ويعنى بلوغ الفتاه قدرتها على الإنجاب ويعرف ذلك عن طريق التغيرات المورفولوجيه التى تطرأ عليها ويطلق على الفتاه اسم « سمينه Fat » حينما تبدأ الحيض الذى قد يحدث لاول مرة عندما تبلغ من العمر ١٤ عاما حيث ينظر اليها حينذاك على أنها خطره وغير نظيفه . كذلك يصل الولد إلى مرحلة الرجوله أو البلوغ تدريجيا ، ولايوجد طقوس خاصه تصاحب ذلك إذ انه يتحمل مسؤليه الرجال تدريجيا ابتداء من سن العاشرة إذ أن الإنتماء الحقيقى لكل من الصبى

والصبيه إلى مجتمع البالغين فى لعشيرة يتم عند زواجها . ويحدث الزواج عادة فى سن مبكر لدرجه أن الزوجين قد يكونا أحيانا غير ناضجين جنسيا إذ يفضل فى معظم الاحيان أن يكون الزوجين من سن واحـــد ومن أبناء الخال ، كذلك يفضل دائما أن تتبادل الاسرتين الازواج، والزواج المثالى أن يتزوج ابن الاسرة بنت أسرة أخرى وأن شقيق الاخيرة يتزوج شقيقة زوجها . وحين يكون الزواج على هذه الصورة لاتكون هنـاك أى حاجه لتبادل أشياء ذات قيمة بين الاسرتين ويحدث الزواج فى العادة نتيجة للاتفاق بين الاسرتين أولا ثم موافقة العشيرتين اللتين تنتميا لها الاسرتين ثانيا .

والزواج الذى يتم خارج نطـاق الاسرتين المتقاربه يكون مصحوبا دائما بتبادل ملكية بعض الاشياء وذلك بعد فترة من المباحثات والاتفاقات وتبادل الهدايا ، حيث يتمكن الزوج بمعونه اسرتهوعشيرته من جمـــع عدد كبير من حيوانات الرنه والتى تقدم كمقابل لاسرة الفتاه . وهذا المظهر يتفق على العادة التى تدعى خطأ باسم مهر والذى ينتشر بصورة كبيرة فى المجتمعات الرعويه وتعتبر حجم الهديه عامل تفاخر هام بين الاسرتين لدرجه أن عشيرة الزوج قـد تصل إلى حد الفقر فى سبيل تقديم هـديه ثمينه للعروس . غير أن نصف قيمة الهدية سوف يعود مرة ثانية إلى عشيرة العريس على شكل مهر يقدم مع الفتاة . وبطبيعة الحال مـع مرور الوقت تأخذ قيمة وحجم الهدايا فى القلة وذلك لميل العشيرتين المستمر للتزاوج بينها وتكرار تقديم الهدايا . وفى بعض الاحيان تكون أسرة الرجل وعشيرته فقيرة ومن ثم تـكون عاجزه عن التعاون فى زواج معين ومن ثم لايملك العريس مايستطيع أن يقدم به هدية فنى هذه الحالة يقيم منزل الزوجية مع أسرة زوجته وذلك لـكى تعاونه اقتصاديا . وقد توجد مثل هذه العادة أى عادة خدمة العرس بين بعض الشعوب الرعوية .

وتعقد احتفالات الزواج في وقت يحدد قبله بعام وقد يحضر الحفل عدد يزيد على ١٥٠ شخصا حيث تقيم العشيرتان مضاجعهم في مكانين منفصلين ثم يبدأ اليوم الأول باحتفال كبير ، وتصل الإحتفالات إلى ذروتها بعد أن يقدم العريس الهدايا للعروس ، وحينما يحمل المهر على حيوان الرنة بغض النظر عن المسافة التي يقطعها للوصول إلى مأوى العريسين ويكون هذا الموكب مصحوبا بملابس العرس . وتأخذ العروس بعد ذلك مكان الزوجة في بيت الزوجية وذلك في الجانب الأيمن من المدخل على حين يجلس أقاربها وأقارب الزوج في حلقة . ويدخل العريس بعد ذلك محفوفا بأقرانه وأصحابه ليطوف بالدائرة ويحي الضيوف والمهنئين . ويقوم كل ضيف بتقبيل العريس في فمه ويديه أما الخاطب الذي يقوم بدور الواسطة في الزواج بين العشيرتين فيقبل اليد ثلاث مرات، وإذا ما تمت هذه المراسيم يصير العروسين زوجين أما بقية اليوم والليل فيقضى في الأكل والمشرب .

وأفضل وسائل التسلية في حفل عرس التانجوس الرقص أو الغناء كما يطلقون عليه وذلك بسبب النغمات التي تردد أثنائه . حيث يكون الرجال والنساء حلقة دائرية كبيرة للرقص وأحياناً يكون كل منهم حلقة متصلة تتشابك فيها الأذرع سويا . ويبدأ الرقص بأن يتحرك الراقصون صوب اليسار بميل أجسادهم ثم تتحرك الدائرة مع عقارب الساعة وفي هذه الأثناء يرتل رئيس الحلبة أغاني من تأليفه يرقص عليها الأفراد دون وعي وقد يستمر هذا الرقص لعدة ساعات .

وحينما تدخل الفتاة الحياة الأسرية وتصبح زوجة فإن أعباء جديدة تلقى عليها لتكون أكثر من تلك الواجبات التي كانت تتحملها وهي بين أسرتها .

فمنذ ذلك اليوم تصبح هى نواة الأسرة والراعية الوحيدة لشئون الخيمة ومحتوياتها ، تحمل جرة المياه وحطب النيران ، وتعد الطهى وترعى الحيوانات ، وتدبغ الجلود وتخيط الملابس . أضف إلى هذه الواجبات تتحمل الزوجة أعباء أخرى خـــارج المنزل وذلك لأن الزوج يقضى معظم وقته فى الصيد . فتغير مواضع المنازل باستمرار بسبب الحاجة لحيوان الإبل عمل يقع دائما على كاهل المرأة . وقبل بداية لرحيل فعليها أن تجمع حيوانات الرتة التى ترعى كما عليها أن تسرحها وتضع عليها الأحمال ثم عليها بعد ذلك أن تقود طابور الرتة الذى يتعهده الأطفال والذين يسيرون فى ركابها ولذا فـــلا بد وأن يكون لها دراية كاملة بالأرض التى تسير فوقها فتعرف أماكن المياه والحطب والرعى ، كما عليها أن تعود إلى مكان لقاء زوجها فى الميعاد المحدد الذى اتفق عليه . وبصفة عامة نجد الزوجات معاونين لأزواجهم غير أنهن لايحتلن مرتبة أقل منهم. والإختلاف القائم بينهم هو نوع من الإختلاف الموجود بين المجتمعات الإنسانية والذى ينحصر فى طبيعة العمل إذ يقضى الرجال معظم أوقاتهم فى الخارج وعملهم ذات أهمية اقتصادية كبيرة للمجتمع بينما تبقى هى للأعمال الثانوية فى المنزل إلى جانب رعاية الأطفال وتبعا لذلك تقوم الزوجة بإعداد الطعام عند حضوره كما تقوم بخدمة الزوار الرجال وإن كانت لاتجرأ على الحديث معهم كما أنها لاتتناول الطعام هى وصغارها إلا بعد انتهائهم من الأكل . ويبدو فى بعض الأحيان أن العلاقة بين الزوج والزوجة غير عادية فلا يستطيع أحدهما على سبيل المثال أن ينادى الآخر باسمه ولكن يستخدم مصطلح زوج وزوجة إلى أن يولد طفل ومن ثم يشير كل منهم للآخر على كونه أب الطفل أو أم الطفل . ومثل هذا السلوك أمر شائع فى كثير من المجتمعات لبدائية التى توجد فى أنحاء العالم .

وتعدد الزوجات أمر نادر بين التانجوس ولكن يسمح به حينما لا تنجب

المرأة أو حينما تكون الزوجة أكبر من الزوج وتصل إلى السن الذى لا يسمح بالحمل وليس من المقبول أن يتزوج الرجل شقيقتيه ولكن فى نظام تعدد الزوجات باستخدام مصطلح أخت كبرى وأخت صغرى، كما أن الاطفال يطلقوا عليها سوياً لقب الام .

ويبدو أن التانجوس أكثر تعرضا للأمراض والضعف عن غيرهم من البدائية . ومن الامراض المنتشرة بينهم الجدرى والجديرى والذى يعتقد أنها من قبل الارواح غير أن التانجوس يلجأ إلى عزل المريض منعاً من انتشار المرض ، كما يمارس أيضاً عملية التنظيم .واعتقادهم فى السحر والشعوذة كوسيلة للشفاء محدودة إذ أن المعالجة الطبيعية هى الأساس .

والتانجوس كغيرهم من الجماعات التى تقطن المناطق القطبية فى أمريكا الشمالية بما فى ذلك الإسكيمو قد تأثروا بعد استقرارهم أو بما يسمى بهستريا المنطقة القطبية **Arctic hysteria** . ويذهب الباحثون لتعليل أسباب هذا المرض أن العادات غير كفيلة بأن تفى بحاجات الأفراد ومن ثم فالهستريا وسيلة لجذب الناس إليه وإثارة العاطفة نحوه ولذا فهى أمر شائع فى تلك المنطقة . ويعتقد أن الشخص المصاب بالهستريا مرتبط بعالم الأرواح ومن ثم فلا بد وأن يستدعى الشامان لطرد الأرواح الشريرة من أجسادهم . وتعتمد هذه النظرية على أن الأرواح تبحث عن سيد وتحاول أن تمتلكه من آن لآخر وما أن تجد وسيلة لها وهو الإنسان أو الشخص حتى تسيطر على روحه وتمنعها من الاتصال بإنسان آخر فتعزلها إلى أن يأتى شخص آخر ويسيطر عليها .

وهكذا فدور الشامان عند التانجوس يشبه دوره بين جماعات الإسكيمو وهنود أمريكا فى أن الشخص القادر على التحكم فى الروح لكى يبعدها عن

الشخص الضار كما أنه يكون من آن لآخر وسيط لها بمعنى أنه قادر أيضاً على استخدام الروح فى تجميع وإرشاد الأرواح التى قد تؤذى . وبين قبائل التانجوس يمكن للمرأة أن تكون شامانا مثل الرجل ، ومن الصدف أن تكون كلمة شامان من كلمات التانجوس وأنها نقلت من هناك إلى العالم الغربى بواسطة الروس الذين قابلوا التانجوس فى القرن السابع عشر الميلادى .

ويفترض فى الشامان أن لديه معلومات خاصة عن الأرواح ولذا فقد يقوم أحياناً بدور الجان وفى هذه الحالة لا بد من وجود شخص آخر يقوم بشرح أفعاله وكلماته التى تصدر عنه ورغم ذلك فدور الشامان الرئيسى هو السيطرة على الأوراح ومنعها من جلب سوء الحظ أو طرد الأرواح من الأجسام التى تعانى عدم اتزان عقلى .

ويلجأ الشامان لدى التانجوس لاستخدام أدوات خاصة تختلف فى تعقيدها من شامان لآخر ولكنها دائما تشتمل على العناصر الآتية مرآة صينية من النحاس ولبـــاس معاون وتومبرين أو طبلة يدق عليهـــا ليهيء نفسه لمقابلة الأرواح ومن أجل أن يوصى باقتراح أو رأى معين لذهن السامع . ويختلف مشهد الشامان ذاته فى تفاصيله من إقليم لاخر ، كما يختلف أيضا غرض الاحتفال ولكن المشهد الأساسى هو الدق المستمر للطبلة ليظهر أخيرا الشامان وهو متلبس بالروح . والغرض المتكرر هو أن ترحل روحه إلى العالم السفلى لكى يصاحب بعض الأعمال مع أرواح الأجداد وذلك من أجل خير معشيرة . وجزء مسبق من هذا المشهد يختص أولا بالبحث عن أسباب مرض الشخص أو المتاعب الأخرى أو التنبأ بالمستقبل . ولا يعنى ذلك أن الشامان رجل متحدث بحق أو طبيب ففي حالات المرض يرتكز دوره أساسا على التشخيص وفى حالة مايقرر

إذا ماكان الشخص مريضاً لكي يطرد الأرواح وفى هذه الحالة يكون علاج المرض نفسي أكثر منه اجتماعي .

أما الموت فيعتقد أن سببه هو رحيل الروح الدائم عن الجسد . ومن ثم فيعتقد التانجوس أن موت الأطفال أسهل من موت الكبار وذلك لأن الأرواح فى الصغار لم تستقر بعد . أما الكبار فيتوقعون الموت كشكل أو مظهر طبيعى فى الحياة ولكن الكبار الأشرار يموتون خلال الحوادث أو نتيجة لمرض أو بفعل الأرواح التى تطرد الروح من الجسد. وقد يكون فقدان الروح جزئى كما يحدث فى حالات الإغماء أو فقدان الوعى . فالشخص المريض الذى يحتضر أو يكون بين الحياة والموت وكذلك الشخص الحديث الوفاة يمكن للشامان فى هذه المحاولة وإذا ماقضى الشخص نحبه فإن انتباه الناس يتجه إلى مشكلة نقل الروح إلى العالم الاخر. ومن ثم يكفن التانجوس المتوفى بأفخر ثيابه وتغطى الجثة بملاءة وبعد ذلك يبدأ الأقارب المأتم الذى يستمر طوال يومين إذا كان الطقس بارداً وعلى أى حال لاتقل فترته الزمنية عن ٢٤ ساعة . وتوضع أنواع عديدة من الأطعمة والشراب بالقرب من رأس المتوفى كما يوضع التبغ والبيب أوأداة لتدخين بالقرب من صدره ، ومن آن لآخر يفد الأهالى لإلقاء بعض الأطعمة أو قطرات اللبن أو الشاى فى الهواء وذلك فى حالة ما إذا كانت الروح حاضرة . وليس هناك التزامات لإظهار الحزن والأسى على المتوفى فقد يجلس التانجوس حوله يتحدثون فى أمور عادية فى شئون الحياة اليومية . وأخيرا حينما يتأكدون أن الروح قد ذهبت ولن تعود ثانية تضع الجثة فى صندوق خشبى حيث يوارى التراب . ويضحى بحيوان الرنة فى هذه الحالة من أجل الروح كما توضع على الميت بعض ممتلكاته الخاصة التى يعتقد أنه سوف يكون بحاجة إليها . وإذاما أصاب رجال العشيرة سوء الطالع أو بعض المتاعب عقب دفن الجثة فإنه يعتقد أن روح المتوفى

غاضبة لأنها لم تكرم التكريم اللازم ولذا فيستدعى الشامان لطردها وإقناعها بمواصلة رحلتها إلى العالم الآخر . أما الأرواح التى لا تصل إلى العالم الآخر فيشعر التانجوس أنها مصدر خطر عليهم .

ويتصور التانجوس أن الظروف المعيشية فى العالم الآخر هى نفس الظروف على الأرض ومن ثم فالأرواح تحتاج إلى أشياء فهى تقاسى من البرد والجوع فى بعض الأحيان ، كما أنها معرضة للغضب والغيرة كما يحدث فى الحياة العادية لبنى البشر وإن كانت الأرواح تظهر فى بعض الأحيان ميلا للطفولة أكثر وهنا يأتى دور الشامان لإرشادها . وهكذا تنحر الحيوانات كلما أمكن وتقام الصلوات من أجل أجداد العشيرة لكى تبعد عنهم سوء الحظ بعودة الروح . ويتكون عالم التانجوس من ثلاثة عوالم الأول العالم السفلى أو عالم الأرواح أو عالم الأجداد Lower World of Ancestor Spirits ثم العالم الأوسط Midle world الذى يعيشون فيه ثم العالم الأعلى Upper Orsky World حيث يوجد الشمس والقمر والنجوم وحيث توجد أرواح السماء . ويسود بين التانجوس أيضا ومثلهم فى ذلك مثل سكان منشوريا الاعتقاد فى روح السماء . غير أن جماعات التانجوس ليس لديهم معتقدات معينة تختص بإله السماء أو المخلوقات أو نظرة واضحة لعملية الخلق إذ يبدو فى نظرهم أن كل شىء ظهر بصورته الحالية . فأرواح أجداد العشيرة هى الشىء الأساسى الذى يجذب أنظارهم وإن كان من الصعب وسوء التقدير أن نقول أن فى ذلك اتجاه « لعبادة الإجداد » إذ لا يعدوا هؤلاء الأجداد إلا أشخاصاً انتهى دورهم بعد الموت .

وربما تعطى الهستريا القطبية التى تسود بين التانجوس طابعا خاطئا للحياة اليومية لهم . غير أن السلوك الإجتماعى العادى لكثير من الزوار والباحثين الذين وفدوا إلى منطقتهم يوضح أنهم أناس على درجة كبيرة من البشاشة .

والإنفتاح . فيذكر الإنثروبولوجى بيرثلود لاوفير Berthold Laufer وذلك فى مجال المقارنة مع غيرهم من سكان سيبريا « أنه شعر كأنه فى بيئة بين جماعات التانجوس ذوى العقـــول المتفتحة والسلوك المستقيم والنفسية المتطورة وأنه وجدهم كما ذكر الباحث فون ميدندرف A. Von Middendorff نموذجا لإرستقراطى سيبريا » .

وقد خضعت القبائل البدائية السيبرية للروس لعدة قرون غير أن نتائج هذا الغزو على الحضارة البدائية لم يغير فى معالمها أو يبدل أوضاعها إذ أن التغير كان بطيئا غير مباشراً . وربما كانت الأوبئة والأمراض الأوربية هى الطلائع الأولى لنتائج هذا الإحتكاك والإتصال . وإلى جانب ذلك كانت هنـاك بعض النتائج الموجبة بالنسبة لحضارة تلك القبائل حيث أدخل إليها البنادق والأدوات الحديدية التى حصلوا عليها نتيجة المبادلة وذلك إلى جانب معرفة التبغ والشاى والسكر والملح. ومما هو جدير بالذكر أن مربى الرنة السيبرية لم يتأثر بسرعة بتلك الحضارة الوافدة كما تأثر جماعات اليـاقوت الزراعية أو الجماعات الصـائدة الشبه مستقربية مثل مثل جماعات الكورياك والشوكشى والجولدى Coldi إلى الشرق والشمال منهم .

وقد اعتمدت علاقات التانجوس مع الروس أساسا على التجارة المتفرقة حيث كان تبادل جلود الرنة وفراء السنجاب والثعالب والدببة هى مواد التجارة والنبال الرئيسيه على البضائع الأوربية . وكما سبق أن بينا فإن معظم السلع التى وصلت عن طريق التبادل قد ساعدت التانجوس فى حياتهم أو على الأقل لم يتمخض عنها أى أضرار ، ولكن أحد السلع المتبادلة التى لا يحبها معظم البدائيين فى كافة أنحاء العالم هى الكحول وهى فى هذه الحالة الفردكا الروسية فقد أحدثت الصعوبات والمشاكل العادية ولكن فى المناطق الشمالية المتجمدة يوجد خطر

آخر من استخدام الكحول . ففي جليد الشتاء يصبح الإسترخاء أو الكسل سبباً في تجمد الأيدى والأقدام وربما ينتج عنه الموت . والتانجوس الذين يمكنهم ببساطة عدم التحكم في النفس قد قاسوا الكثير بسبب إهمالهم في استخدام الكحول . وفي بعض الأحيان استدان صيادو الفراء استدانة كبيرة نتيجة لإدمانهم الشراب واضطروا أن يعيشوا تحت رحمة التجار الذين لا يرحمون .

وقبل الثورة الروسية اعتنق مجموعات كثيرة من التانجوس المسيحية الأرثوذكسية اليونانية ولكن يبدو أن هذا الإعتناق كان إسمياً أكثر منه فعلياً واستمر الشامان في أداء أعمالهم القديمة كما يفعلون اليوم . ومنذ أيام الثورة توقفت أعمال الإرساليات الدينية ونحن لا نعرف إلا القليل جداً عما حدث في تلك الفترة . وليس من المعقول أن التحول الفكرى إلى الماركسية سوف يكون له وزناً بين الصيادين البادئين . وقد تركزت الصناعة في سيبريا في أماكن محدودة للفحم والحديد بعيداً عن منطقة التانجوس. ومن المحتمل جداً أن التغير الاقتصادى في سيبريا يحدث بسرعة كبيرة الآن عن تلك السرعة التي كان يحدث بها أيام القياصرة عندما كان اهتمام روسيا الأمبراطورية بالعلاقات الاقتصادية المرتبطة بأوربا أكثر من تنمية موارد شبه قارة سيبريا .

وكما يتضح من دراسة أجزاء أخرى من العالم فإن مجتمعات الصيد في المناطق النامية تكون أكثر عرضة للتغير المفاجىء الشامل من المجتمعات الزراعية المستقرة، ونحن نتوقع أن يحدث للتانجوس نفس الشيء عندما يرون أن حيوانات الفراء قد انقرضت وإن فرص العمل في المناجم وقطع الاخشاب قد زادت . ويجدر بنا أن نلاحظ أن الروس في سيبريا لا يجبرون البدائيين على الحياة في مخصصات وليست لديهم تمييزات عنصرية ولكنهم على النقيض من ذلك يحاولون جذب الوطنيين للاشتراك بسرعة في الحياة الإقتصادية للدولة.

قبائل الشين

The Cheyenne of the North American Plains

قبائل الشين
فى شمال أمريكا الشمالية

لم تحظى أى جماعة بدائية بجذب انتباه الأمريكيين والأوربين مثلما حظت بالنسبة للمحاربين الملونين الموجودين فى السهول الغربية بأمريكا الشمالية . فحين يسمع المواطن الامريكى العادى عن الهنود يذهب خياله إلى تلك الجماعات التى تتجول بحرية صائدة الجاموس البرى وهى ترتدى قبعات الحرب المصنوعة من الريش وتتزين ملابسهم الجلدية بطلاء الحرب وهم يرقصون رقصة الشمس ويستخدمون الاشارات اللغوية ويعيشون فى قرى دائرية وغيرها من الصور التى تتوارد تبعا على مخيلاتهم . وفى واقع الأمر يعتبر فرسان السهول من أكثر الجماعات تطورا بين هنود أمريكا . فقطعان الجاموس البطىء الحركة التى تنتشر فى منطقة السهول العظمى تعتبر نموذجا فريدا كمورد للغذاء فى العالم الجديد غير أنه عندما تطلب قبائل هندية معينة الخيول الأسبانية وتبدأ فى استخدمها لصيد الجاموس تشهد المنطقة نقله حضارية واضحة ، أضف إلى ذلك فى كمية وحجم الحروب بين قبائل تلك السهول أكبر وأكثر بصورة غير عادية بالنسبة للجماعات الهندية الأخرى وذلك بسبب ظروفها الخاصة .

والحضارة التى توجد فى هذه السهول على الرغم من شهرتها إلا أنها ليست بحضاره أصيلة كما أنها لم تعمر طويلا . فالحصان وهو الوسيلة الكلية التى طرأت على حياة المنطقة انتشر تدريجيا صوب الشمال عن طريق التجار واللصوص الذين أحضروه من الحلات العمرانية الاسبانية التى وجدت فى نيومكسيكو وذلك بعد عام ١٦٠٠ . وما أن عرف الهندى الامريكى طريقة امتطاء الحصان حتى أمكنه أن يطارد عدد أكبر عن ذى قبل من الجاموس ليقتله . ونظرا لمزيا الانتاج

الوفير الذى صاحب طريقة الحياة الجديدة بواسطة الخيول فقد أقبلت قبائل ذات حضارات مختلفة ولغات متعددة إلى مناطق السهول وذلك من كل صوب وحدب . ومن ثم لحضارة السهول Plans culture الجديدة كانت محصلة للتطلبات الوظيفية لصيد الجاموس بالخيول ولتجمع عادات وتقاليد مختلفة الأصول . ولكن هذه الحياة الخيالة لم تستمر إلا لبضعة أجيال قليلة حيث استمر ازدهارها فى كل منطقة السهول حتى عام ١٨٠٠ م وابتداء من عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٨٧٠ فقد شهدت المنطقة حروب إبادة ضروس بين الرجل الابيض والهنود الامريكين وذلك إبان فترة الزحف الأوربى صوب الغرب للحصول على مزيد من الاراضى الزراعية . وقد ترتب على ذلك أن أبيدت معظم قطعان الجاموس فيما عدا تلك المناطق القليلة والتى تعرف باسم المخصصات Reservation والتى يعيش فيها الهنود الباقين .

وقبل أن يستعمر الأوربين العالم الجديد وقبل أن يتمكن الحصان من احداث انقلاب فى نمط الحياة فى منطقة السهول كان قنص الجاموس بطريقة الارتجال غير مثمرة وغير كافية لإقامة أود عدد كبير من السكان فمعظم حضارة الهنود الامريكيين التى كانت تنتشر فى شرق الولايات المتحدة كانت تعتمد على الزراعة زراعة الذرة ، والفول والقرع . وقد انتشرت طريقة الحياة هذه من مناطق الغابات الشرقية إلى مناطق السهول حيث وجدت فى كل بقعة يمكن أن تقوم بها الزراعه على طول الانهار . ولاسيما فى ولايتى داكوتا ونبرسكا بل امتدت أكثر نحو الغرب إلى ولاية مونتانا . وانحصر نمط الزراعة هنا فى زراعة الحدائق وليس زراعة الحقول إذ أن الهنود لم يكن لديهم أدوات زراعية ثقيله يمكن بواسطتها تسوية التربة وتقليبها كما ليس لديهم حيوان للجر يمكن استخدامه لتطهير أراضى الحشائش وإعدادها واستغلالها للزراعة ولذا فقد ظلت طريقة زراعة الحدائق

الهندية قاصرة ومحدودة فى أودية الانهار .

وهكذا كان قمة تطور حضارة السهول فى الفترة السابقة بكولومبيا هو امتداد الحضارة الزراعية الشرقية بجميع مقوماتها إلى تلك السهول بما فى ذلك من سكان قرى مستقرين . وجميع هــؤلاء الهنود الفلاحون كانوا يعيشون فى منازل دائرية بنيت من الطوب اللبن ويبلغ قطر الواحدة منها ٥٠ قدما وتضم القرية حوالى ٧٠ منزلا . وكانت رحلات صيدهم للجاموس البرى فى منطقة السهول رحلات طارئة مرة واحدة كل عام تقريبا وذلك من أجل جمع غذائهم النباتى الذى يكون أساس حياتهم ذلك إلى جانب قرون الثيران . أما الجماعات الصائدة فى منطقة السهول حينذاك كانت جماعات بدويه حديه تتحرك فى جماعات صغيره وتقاسى من شظف العيش غير أن استخدام الحصان غير تماما هذه الصورة .

ولعله من النقاط الهامه التى تهتم بهـا النظريات الانثروبولوجية والمهتمين بهـذه الدراسة مسألة التغير الحضارى Culture Change وكيفية فهم كيف تمكنت هذه الحضارة الجديدة من الملاءمة فى الاجزاء المختلفة من السهول عن طريق استخدام أدوات جديدة وظـروف أيكولوجية متغيرة وكيفية استعارة هذه الحضارات لطرق ومظاهر حضارات أخـــرى وملاءمتها ووضعها فى الاطار المناسب فى النظام القائم . وربما ما حـدث فى منطقة السهول العظمى يعطى مثلا فريدا لهذا التغير الحضارى . ففى عام ١٨٠٠ كان يقطـن كل المنطقة جماعات قبلية تكاد تكون متشابهة تماما فى جميع خصائصها وطريقة حياتها وبعض مظاهر حضارتها ولاسيما فيما يخص بالتنظيم الاجتماعى الذى كان متطابقا فى تشكيلة فى كل المنطقة الممتدة من تكساس إلى البرتا . وقد كانت هذه القبائل على درجة كبيرة من الاختلاف اللغوى حيث استخدمت فيما بينهـا لغات تنتمى إلى سته أصول لغوية منفصلة وأنهم قد جاؤا جميعا إلى منطقة السهول من جميـع جهات

أمريكا الشمالية من الشمال والجنوب والشرق والغرب بل جاؤا فى بعض الأحيان من مسافات بعيدة ومن ثم فالاختلافات الحضارية بينها كانت فى الأساس كبيرة وعملية التحول السريع من الاختلاف الحضارى Cultural hsterogeneity إلى النجانس النسبي Relative hom^geneitg للحضارة بين القبائل المختلفة التى تكون أجزاء من التنظيم العام للشعب أمر غير عادى غير أنه مسجل بحيث يقدم لنا مستندا تاريخيا يبين هذا التغير. وإذا كانت اللغة قد حافظت على أسلوبها وأصولها بحيث لم يطرأ عليها تغيرا إلا أن وسيلة مميزة الاتصال نشأت بينهم وانتشرت بسرعة بين قبائل السهول واتسمت هذه الوسيلة الجـــديدة الشهيرة بالاشارات اللغوية Sign language ،

وقد ارتبطت أعظم فترة لانتشار الحصان فى منطقة السهول العظمى بالستة عقود المحصورة بين عامى ١٧٤٠ و ١٨٠٠ . فمن المعروف أن القبائل التى كانت تعيش على تخوم وبالقرب من أماكن استقرار الأسبان فى نيومكسيكو قد عرفت الحصان قبل القرن السادس عشر الميلادى ولكن نظرا لان الاسبان حرموا بيع الحصان للهنود بسبب أن الاعداد التى كانت لديهم فى بادىء الامر محدودة لم يتمكن الهنود المجاورين للاسبان من الحصول إلا على النذر اليسير من الخيول التى يذبحونها ليستخدموها كطعام . وفى خلال القرن الثامن عشر تمكن الاسبان من حوزة إعداد كبيرة من الخيول فى نفس الوقت الذى بدأت فيه قـــوة أسبانيا الحربية تضعف .

وهكذا كانت وفرة الخيول فى ذلك الوقت عامـــلا مساعدا على أن تنتشر تجارتها فى كل منطقة السهول حيث أقبلت القبائل على شرائها وركوبها لاستخدامها فى صيد الجاموس البري الذي أخذت إعداد ضحاياه تزداد سريعا نتيجة لسهولة

صيده . وقد توتب على التفوق الاقتصادى الجديد أن اجتذب إلى المنصة وافدين جدد راغبوا فى المشاركة فى أسلوب الحياة الجديد المتسم بوفرة التصيد . ومن المحتمل أيضا أن سكان الاودية الزراعية من الهنود لم يتمكنوا من الدفاع عن قراهم وهم مرتجله أمام هؤلاء ممتطى الخيول وكان ذلك دافعا على هجرتهم إلى تلك المناطق وإبتياع الخيول أو سرقتها لاستخدامها فى نمط حياة متغيرة وبالتأكيد أصبح الحصان فى منطقة السهول العظمى كما أصبح فى أى مكان آخر فى العالم وسيلة فعالة فى الحروب حيث من الممكن أن نعتبره سلاحا حديثا أدخل ثورة فى كل الادوات الحربية المتسخدمة .

وقبائل الشين الهندية هم جماعات مزارعة بمعنى الكلمة تحولت إلى فرسان بدو . وما إن عرفوا الحصان حتى لاءمت حضارتهم لنمط السهول وذلك أولا لانهم قدموا ليشغلوا موضعا جغرافيا واسطا فى منطقة السهول ولأنهم ثانيا كانوا مجموعه وسطاء على طريق انتقال الخيول من الجنوب إلى الشمال ثم قاموا ايضا بعد ذلك بدور نقل البضائع الاوربية والاتجار فيها بين الشرق والغرب

وقد عاش الشين كما بين المكتشفون الفرنسيين الاوائل فى وادى نهر المسيسى الاعلى على حدود ويسكنسون ومينسوتا. ومصطلح الشين Cheyenne مصطلح فرنسى اشتق اساسا من كلمة Sha hi. ye (والتى تعنى المتحدثون بلغة غير ذكية) التى اطلقها هنود السيوز Sioux. indian على هنود الشين .

أما اسم الشين الذى يطلقونه على أنفسهم فهو Tsis Lsis tas أى الشعب . وقد صاحب طرد الهنود الأمريكيين من المناطق الشرقية فى الغرب الاوسط فى عام ١٦٠٠ وصول البريطانيين والفرنسيين إلى هناك حيث أجبروهم على الاتجاه نحو لغرب ، وحيث تشير السجلات لتاريخيه إلى اضطرابات وحروب استمرت

فى ولايات ويسكنسون ومينسوتا والالينوى حتى نهاية القرن السابع عشر . وأخيرا تحرك الشين إلى داكوتا الشمالية واستقروا على نهر الشين قبل بداية القرن الثامن عشر . وفى ذلك الوقت كانوا ما زالوا يعتمدوا فى حياتهم على الزراعة وان كان عملية الانتقال لصيد الجاموس قد أخذت طريقها بينهم . ومن المحتمل ان قليلا من القرى ذات المواقع الملائمة أو مجموعة منها قد بدأت بالتغير أولا ولكن من المحتمل ان فى عام ١٧٧٠ كان هناك كمية من الخيول كافية بحيث تمكنت قبائل الشين ان تصبح قبائل بدوية تماما .

وما هو جدير بالتأكيد ان الحياة فى منطقة السهول العظمى بجميع مظاهرها وذلك فى عام ١٨٠٠ والتى كان يمارسها لشين لم تكن مجرد نتيجة بسيطه لتأثير الحصان على حضارة أصلية وزيادة هائلة فى صيد الجاموس إذ ان حضارة الرجل الابيض قد تركت بصماتها على أشياء كثيرة فى حياة الهنود بحيث لا تقل فى قيمتها عن ادخال الحصان اليهم . وربما لم يكن الشين قد عرفوا أو شاهدوا الرجل الأبيض أو انهم شاهدوه أحيانا تجاراً أو مكتشفين ولكن تجارة الرجل الأبيض أخذت تدفق على منطقة السهول العظمى حيث شارك فيها الشين مشاركة فعالة . فالسلعة الرئيسيه كانت الخيول التى جلبت فى نظير المنتجات المحليه وفى نظير الحصول على الفراء إلى جانب جلود الجاموس التى انتشرت تجارتها بين القبائل الهنديه إلى ان وصلت إلى محلات الاوربية الغربية وإلى مناطق الاستقرار الزراعى .

وقد كان من نتيجة هذا التبادل أن أصبحت الفؤوس الحديدية والسكاكين والاوانى والاسرة مستخدما على نطاق واسع فى منطقة السهول ذلك إلى جانب رغبة الهنود الدائمه في الحصول على البنادق .

وقد دفعت رغبة الهنود فى الحصول على البنادق والرصاص والبارود إلى المزيد من شن الغارات للحصول على الأموال . فقد أعطت البنادق ميزة كبيرة فى الحروب إذ بواسطتها يمكنهم أن يكونوا بعيدا عن مرمى القوس والسهم . وبصفة عامة كانت كل منطقة السهول فى غضون مائة عام احدى الترسانات الحربية التى شهدت صراع قبلى مرير لم تعرفه فى أى وقت من الأوقات . فلم يكن هناك حدوداً أو حقوقا ثابتة للقبائل وذلك اولا بسبب التذبذب فى اعداد الخيول المطلوبة لمختلف القبائل وثانيا امتلاك البنادق التى كل المنطقة فى حالة غليان .

وقد انعكست طبيعة الإختلافات الفصلية فى المناخ على طبيعه مرعى الجاموس البرى ومن ثم فقد اثرت أيضا فى التنظيم الاجتماعى والسياسى لهنود السهول العظمى فكان أكثر مرونة وسهولة عن تلك التنظيمات التى توجد بين المجتمعات الزراعية المستقرة بين الهنود . ففى السهول الوسطى والشماليه تنمو الحشائش بسرعة مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف ولكن مع أواخر فصل الصيف تزيل الحشائش وتجف والبقيه الباقيه منه تموت . ومرعى الشتاء فقيرا جداً وفى أغلب الأحيان تغطيه الثلوج .

وكنتيجة لهذه الظروف الجغرافية ترحل الجاموس فى قطعان كبيره فى خلال فترة القحط على الرغم من أنها تكون مملوءة بالشحم واللحم مع منتصف فصل الصيف . وفى فصل الشتاء والتساقط تتناثر قطعان الجاموس فى مجموعات صغيرة وتتجول بسرعه فى نطاق واسع للبحث عن المرعى . ومن ثم فنهج حياة الصيادين وتنظيماتهم تتجه نحو نظام الهجرة الفصلية للجاموس البرى . فهم يتجمعون فى شكل قبائل متماسكة ابان فصل الصيف للصيد فقط بينما يهاجرون بقية العام فى

اعداد صغيرة مستقلة حيث يقتاتون من المخزون من الطعام أو ما يثمر عنه نشاط التجوال من حصول على طعام .

وحينما وفد الشين إلى بيئتهم فى السهول الغربيه فى شمالى كولورادو وجنوب ويمنج wyoming وشرق التلال السوداء كان عددهم حوالى ٣٥٠٠ شخصا وقد ارتبطوا فى منطقة السهول على هيئة رابطة band اطلق عليها اسم سوتايو Swtaio التى يتكلم أفرادها لهجة تنتمى إلى مجموعـــة الالجونكيان اللغوية Algonkeian Language والذى ذابوا فى المجتمع . وجماعات الاراباهـــو Arapaho التى تتحدث أيضا اللغه السابقة لهم تاريخ يشبه تاريخ جماعات الشين كما انهم هو وأقاربهم المعروفين باسم جروس فنتر Gros ventre عقـــدوا معاهدات تحالف مع الشين والذين امكنهم بهذه التحالفات من السيطرة على مساحات كبيرة من الأرض إلى الغرب من نهر الميسورى بين نهرى بلاتا واركانسس وليكونوا جبهة ضد اعدائهم القدامى فى داكوتا وكرو Crow فى الشمال والغرب ، والباونى Pawnee فى الشرق وجماعات الكيوا kiowa والكومانش فى الجنوب . ويعتبر الجاموس البرى الغذاء الرئيسى لهنود السهول ومن ثم فالصيدالكبير من أصعب الأمور فى حياتهم الاقتصاديه . فليس مسموح لأى فرد ان يصطاد الجاموس كما يشاء لان هدف المجموعة هو القضاء على القطيع البرى دفعة واحده حين مشاهدته أو اكتشافه .

والطريقة الرئيسية للصيد الجماعى ترتكز على محاصرة القطيع ثم يندفع رجل ممتطى حصانا يرهبها بقوسه ويسوقها إلى داخل الدائرة حيث يسرع كل هندى باصطياد أقـــرب جاموس إلى مكانه . وإذا ما كان الصيد منظما ، زاد اضطراب قطيع الحيوانات التى تندفع فى كل مكان فيسهل للهنـود اصطيادها .

وقد تستخدم السيوف من فوق ظهور الخيل فى اصطياد الجاموس الذى يقتل بعد ذلك بواسطة السكاكين . ومثل هذا الصيد يتطلب عملا مضنيا ولكن الحصول على وفرة من الصيد تبرر أى مجهود يبذل فى هذا الصدد وقد يستغرق ذبح وسلخ ونقل اللحوم والجلود إلى معسكر الهنود عده أيام حيث تجفف فى جيركات « Jerky » ثم تصنع لحوما يطلق عليها اسم البيميكان Pemnican وهى مطعمة بالتوت حيث تخزن بعد ذلك . وهذا العمل من اختصاص المرأه إلى جانب حياكة الجلود .

وتقسيم العمل بين الرجل والمرأه صارم وقد يبدو أن هذا التقسيم غير متكافىء إذ تقضى المرأه معظم وقتها فى الجلوس فى الدفىء بينما على الرجل أن يستنفذ طوال أيامه فى الاجواء المتجمده يطارد الصيد ويتعرض للاخطار الجسيمة . كما يبدو أن أنشطة المرأه فى بعض الاحيان والتى يدخل ضمنها الخدمة المنزلية قد تؤدى كضريبة كما حدث لاحد الرجال البيض الذى ذهب الى معسكر الشين فى عام ١٨٤٦ .

ومما هو جدير بالذكر أن الأغنام البرية والايائل تجوب السهول واقدام التلال باعداد كبيرة ومن ثم فيعرف الهنود عادات هجرة هذه الحيوانات فيطاردوهم للامساك بهم فى حفر أو فى إمكان مسورة وقليل من قبائل السهول يمارسون الصيد غير أن جماعات الشين تنبغ فى هذا الصدد . أضف إلى ذلك تجمع الجذور والدرنيات فى مواسمها كما يمارس صيد الحيوانات الصغيرة، وقد تقدم لحوم الكلب كطعام وذلك من أجل التغير .

ويحصل الشين على معظم خيولهم عن طريق الشراء أو الإغارة غير أن هناك بعض المحاولات قد تمت من أجل أسر الخيول البرية . فهم لم يتمكنوا من أن

يتعلموا الطريقة الأسبانيه فى صيد الخيول وذلك بالتقاء مايسمى باسم : اللاسو Lasso على الحصان إنما استعملوا بدلا منها الحبال التى تلقى للقبض على الحيوان. وأثمان الخيول مرتفعة كما أن مركز الشخص يقيم بعدد الخيول التى فى حوزته ويبلغ متوسط عدد الخيول لكل أسرة حوالى عشرة ولكن قد تملك الأسرة فى بعض الأحيان أكثر من هذا العدد كثيرا . وتستخدم أفضل الخيول فى الصيد والحرب أما الخيول الأخرى فتستخدم فى نقل البضائع وحملها ، والبغال أيضا ثمنها مرتفع إذ تستخدم هى الأخرى كوسائل حمل وانتقال غير أنها نادرة فى كل المناطق فيما عدا منطقة السهول الجنوبية الغربية . وقد توضع جميع متاع المنزل فوق ظور الحيوانات وقد تربط أيضا فيما يسمى باسم الترافو Travois وهما عبارة عن عمودين يربطا فى الحيوان وفى نهايتها ما يشبه الزحافة . وفى العادة يجر الترافو الكلاب .

ويعتمد الشين على جلود الجاموس وعظامهم وقرونهم وكذلك على منتجات الايائل فى الحصول على مواد الخام الأساسية لصناعة أدواتهم وأسلحتهم وملابسهم ومأواهم أيضاً . خيمتهم المخروطية الشهيرة المعروفة باسم Tipi خيمة كبيرة فى العادة تسع ما يقرب من ٢٠ شخصاً وهى مصنوعة كلية من الجلود المدبوغة المزركشة . أما القوس فيصنع من طبقات من قرون الجاموس على الإمعاء ، كذلك تصنع الانية من الجلود ومن القرون . أما المغارز والمقاشط فتصنع من قرون الوعل فى حين تصنع الملابس من الجلود . أما النسيج فأمر غير معروف أو ربما تركه الهنود حينما تحولوا إلى حياة البداوة . ويصنع الفخار فى بعض الأحيان فى السهول وإن كان قد أفسح المجال سريعاً إلى الآنية الفخارية التى عرفت عن طريق التجارة.

وملابس الشين محاكة جيدة ومزركشة بصفة خاصة ، وترتدى النساء فساتين مكونة من قطعة واحدة مصنوعة من جلود الإيل أو الظبى الفاخر وتصل إلى القدم وصدرها واسع على هيئة المعطف ويتسم الفستان بأنه مطرز ترتدى النساء كذلك ما يشبه الجوارب تمتد من الركبة على القدم وتربط بواسطة ما يشبه الرباط . فى فصلى الشتاء تلبس ذيل الجاموس إلى جانب الشعر . ولا يرتدى الرجال البنطلون والمقسين Moccassin « حذاء بدون كعب » إلا فى فصل الصيف أما فى الشتاء فيرتدون بالإضافة إلى القمصان المصنوعة من جلد الإيائل والتى تتدلى إلى مقاعدهم الجوارب الطويلة تصل إلى تحت القميص . وتتصف القمصان بأن الكمام طويله وبعضها مزين بالخرز الذى يضف أيضا حول خصلة جماجم العدو . ويطلق فى العادة على هذا القميص إسم قميص الحرب وذلك بسبب الزركشة كما أنه يرتدى فى مناسبات الإحتفالات . شكل (١٠)

ويغرم الشين بتزين أجسادهم . ويركز الرجال انتباههم بصورة خاصة على شعورهم التى تترك لكى تنمو أطول ما يمكن حيث يرشقوا فى وسطها الخرز وأنواع مختلفة من البلور . ويعمد كل من الرجال والنساء إلى عمل الشعر على هيئة ضفيرتين . أما ريش الطيور فلا يرتديه إلا كبار السن . وقبعات الحرب المصنوعة من الريش والتى تتسم بوجود زيلين طويلين هى القبعات التقليدية الشهيرة لقبائل داكوتا ، أما بين الشين فلا تستخدم إلا فى الاحتفالات لبعض الرجال المبارزين . أما العقود والأساور والحلقان فتستخدم على نطاق واسع كما يغطى الوجه والجسد بألوان عدة وعلامات مختلفة .

وتنقسم قبيلة الشين إلى عشر جماعات Pands منظمة منفصلة لكل منها محرماتها الخاصة واحتفالاتها وعقاقيرها . ويشعر أفراد كل مجموعة انهم اقرباء من



شكل (١٠) الشين ـ هنود سهول أمريكا الشمالية

ثم فالزواج بين افراد الرابطة الواحدة غير مسموح به . كذلك يوجد تقسيم قبلى داخلى بين هؤلاء الذين يعيشون فى الجزء الشمالى من الحدود وهؤلاء الذين يقطنون الجنوب . وقد ترحل هذه الجماعات على مدار السنة ولاسيما فى فصل الشتاء فى مجموعة من العائلات الصغيرة نسبيا ، وفى بعض الأحيان تتقابل سويا وتعسكر معا ولكن تذهب كل مجموعة بعد ذلك إلى شأنها . وهذه التقسيمات أو المعسكرات تعرف باسماء وتمارس وظيفة القطاعات الإجتماعية فى الرابطة غير أن تكوينهم فى تغير مستمر حيث تلتحق مجموعة صغيرة بمجموعة أكبر أو ينشطر جزء من المجموعة الأكبر .

ويتقابل كل أفراد قبيلة الشين فى فصل الصيف وذلك بغرض التعاون فى صيد وفيرومن أجل أيضا اقامة الاحتفالات الهامة للقبيلة . حيث ينظم المعسكر الكبير للقبيلة على هيئة جزء من دائرة أو على شكل حدوة الحصان ويتكون من ثلاثة أو اربعة منازل واسعه . حيث يفرض على كل عشر روابط أوعصبان تعسكر فى موضع خاص بالنسبة للدائرة وتترك المنطقة الوسطى الكبيرة خاليه ليمارس بها الرقص وليجتمع مجلس القبيلة ولتقام الاحتفالات العامة .

وتقسم القبيلة ككل إلى عدد من المجتمعات ذات الوظائف الحربية والإجتماعية والترفية وذلك فى وقت تجمع الروابط المختلفة فى فصل الصيف ، وأكثر وابرز المجموعات ست مجموعات عسكرية . وعلى الشاب ان يختار الالتحاق بأى مجموعة ولكن جرت العاده على أن يذهب الرجل إلى المجموعة التى ينتمى اليها ابيه ولايقبل فى عضويه هذه الجماعات غير الأفراد الاشداء الشجعان من القبيلة . وتسود بين بعض قبائل السهول نظام الفئات العمريه بمعنى أن على الرجل ان ينتقل من واحده إلى الأخرى مع تقدمه فى العمر إلى ان يصل إلى قمة المجتمع التى تتكون من كبار السن ذوى الشخصيات السياسية الهامه والمراكز المرموقه فى الاحتفالات .

وهذه المجتمعات هى التنظيم الحربى فى القبيله وقوتها البوليسه ومن الواجبات اليوميه للهنود مراقبه تحركات المعسكر وحمـــاية الطابور المتحرك أثناء مسيرته وتطبيق السلطة على الصائدين أو التحركات الأخرى التى قد تؤدى إلى اضطراب خط سير الجاموس البرى . وتمارس كل مجموعة رقص خاص للقبيلة كما تخصص فى بعض الأحيان اربعه اشخاص مرموقعين لاحتلال مراكز الصدارة فى الاحتفال وكل جماعة تنتخب لها رئيسا الذى هو فى الواقع يعتبر قائدها الحربى الشجاع .

ويكون عدد محدود جدا من رجال القبيلة الشجعان مجموعة صغيرة تعرف باسم المعارضون Contraries وكما يوحى الإسم هم مجموعة من الرجال يعارضون كل شىء بمعنى انهم يقولوا « لا » حينما يعنون « نعم » وفى الحـــرب والمعارك نجدهم يتسلحون بسحر خاص أو « بقوس الرعد Thunder bow » الذى يجعلهم يقوموا باعمال خارقه من الشجاعه . وإذا ما استدعى شخص لينضم إلى مجموعة المعارضين فإنه منذ تلك اللحظة يأكل فى اطباق خاصة ويعيش فى كوخ أحمر ولايصاحب الجنود العادين إلا عاما .

والتنظيم السياسى للشين كما يظهر فى لقبائهم الصينى متطور جدا وذلك إذا ما قورن بالعديد من قبائل السهول حيث توضع كل امور القبيلة أمام مجلس القبيله الذى يتكون من ٤٤ عضوا بحيث يمثل كل رابطه band أربعة اشخاص بالاضافة إلى الأربعة رؤساء العامين . ويعتزل هؤلاء الممثلين عقب مرور عشرة اعـوام ويحق لهم اختيار خلفائهم ولكن يلعب الرأى العام من الناحية العملية دورا هاما فى اختيار الرئيس . ويعبر عن حكم المجلس بجتمعات الجنود غير انه لايوجد جهاز لانزال العقاب على الأفراد المجرمين .

ويلاحظ أن هنـاك تفرقه اجتماعية واضحة بين الرجال . فالشجاعة والقوة

والكرم صفات تقليد تماما ومن ثم فمركز الشخص يتأثر كثيرا بمدى توافر هذه الصفات . ويتنافس الشباب بصفة خاصة بشدة لامتلاك الخيول إذ أن أسر أكبر عدد من الجنود دليل على جسارة الشاب وقوته . وقد يظهر الرجل كرمة عن طريق اقراضه بالخيول الجيدة أو فى بعض الأحيان الاستغناء عنها يمكنه أيضا الاتجار بالخيول مع القبائل الأخرى فى نظير الحصول على الانيه والفؤوس والسكاكين والخرز وغيرها من السلع المطلوبة له . وهكذا يقدر الكرم وحسن الضيافة لدرجة أن حفلات العطاء **ceremonies « giveaway »** تذكرنا بمهرجات النوتكا Nootka الشتويه .

ويعد الانتصار فى الحرب الطريق الرئيسى للحصول على المنصب حيث تبدو العملية كلها فى صورة حرص شديد على تمثيل الفرسان الأوربين وعلى أى حال فالهدف الأول هو الحصول على حصان أما الثانى فهو تهديد الجماعات المجاورة بغارات مستمرة حتى لايفكروا فى الاعتداء على حدود الشين . فشباب الذكور يتفاخر دائما بأبطالهم القتلى أثناء مواجهتهم العدو ولكن البعض يقدر أكثر الرجال الذين يأسرون الخيول .

وبصفه عامه نجد أن معظم رجال الشين من المحاربين المهره إذانها هى مهنه الرجل الحقيقية كما أن حب القتال توضع بذوره فى نفس الفرد منذ طفولته . فالموت فى ساحه القتال هو أفضل أنواع الموت ولذا فاغلب قبائل السهول لها مجموعة من المأثر البطوليه التى تفخر بها . فقتل عدو اعمل كبير كما أن الاستيلاء على فرس من معسكر العدو عمل أقل أهميه . وتجمع فروة رؤوس الاعداء ولكن أهميتها قليلة بالنسبه لمأثر الشجعان .

ب المواقد تشين الغارات الهادفه للحصول على الخيول على الارجل ، ويستطيع أن

يقوم بهذه الغارة أى رجل يقود مجموعة ولكن لابد وأن يكون هذا الرجل ذو كلمة مسموعه حتى يأتمر بامرة باقى المجموعة المغيره وكاقائد عليه ان يعقد عدة لقاءات مع كبار الرجال ثم يقدم بعد ذلك العطايا إلى الأسهم المقدسه . وإذا ما كان الرجل لأول مرة قائدا فعليه ان يتجه للتلال للصوم ولتطهير نفسه وذلك على أمل ان يتلقى نظرة أو نفحه نجاح من روح اجداده . وفى الليله السابقه لليله الاغارة تسير المجموعة المحاربه حول دائرة المعسكر ليخرج من بداخل المساكن ليقدموا اليهم الهدايا عند سماعهم لأغانى الحرب .

وفى اليوم المحدد يجلس القائد بمفردة ، وفى أوقات مختلفة يترك الباقون المعسكر ويتجهون إلى اتجهات مختلفة يتقابلوا معه فى نقطة متفق عليها . وما أن يصلوا إلى ارض العدو حتى يرسل قائد المجموعة شابين من رجاله لاكتشاف مكان المعركة قبل ان يدخلوه وبعد اكتشاف معسكر الاعداء يختار القائد مكان الاختفاء حيث يرصد منه كل محاربية وحيث تترك الاسلحة الزائدة وفى الليل تزحف المجموعة صوب القربه حيث يعمد الشبان إلى محاصرة أكبر عدد من قطيع الرعى بينما يختار بعنايه الرجال الكبار الذين يتسللون إلى المعسكر للحصول على خيول الجاموس التى توضع دائما بالقرب من صاحب المعسكر .

ويعود الجميع بعد ذلك إلى النقطة التى تركوا فيها ادواتهم الزائده ومن هناك يعاودوا الادراج حيث يقود كل فرد الحيوانات التى استولى عليها . ومع طلوع الفجر تربط الخيول فى قطيع واحد بعد أن يتعرف كل رجل على مايخصه ويساق القطيع بعد ذلك لمسافه طويله قد تستغرق ٢٤ وذلك لكى يبتعدوا بهم عن أى مقتفى أثر لهم . وفى هذا الوقت يكون الخطر قد مر إذ لايمكن لاى هندى أن يتعقبهم بحصان واحد طول هذه المسافه وتنجح غارة الهنود فى العادة

إذا ما خرجـوا من المعسكر دون أن يزعجوا أحـد . وفى طريق عودتهم إلى المعسكر يعطى بعض الرجال كل حصيلتهم من الخيول .

وبجموعـات الحرب على النقيض من مجموعات الاغارة تخرج مدفوعـه فى الرغبة فى الانتقام . فقتل العدو يبعث على عزاء الجماعات المكلوبه . وفى بعض الحالات النادرة حينما تكون الجروح كبيرة تخرج كل القبيلة لملاقه العدو دون اصابة المجموعه المحاربه بخسائر . وهذ امر سهلا جـدا إذا ماحصرت مجموعه صغيرة من العدو وابيدت وعلى الرغم من ان الجماعات الهندية تتصف بالشجاعة والاقدام الا انها تفتقر إلى التنظيم والنظام ومن ثم فالمعارك الطويلة نادرة .

وقد تبقى مجموعة المحاربين العائدة خارج المعسكر طول الليل وذلك استعدادا للدخول لهم مع الفجر كمنتصرين وهم مرتدين ملابس الحرب حاملين معهم فراء رؤوس اعدائهم على صوارى ويتقدمهم فى ذلك هؤلاء الرجال الذى أظهروا شجاعه كبيرة فى المعركه حيث يخرج جميـع افراد المعسكر لاستقبالهم بالغناء والصياح . وإذا ماقتـل أى فرد من المجمـوعة فلا تحمل جثتـه إلى المعسكر بل تترك بدون دفن إلى البرارى . وفى هذه الحالة يذهب المعسكر إلى الحداد ولايحدث مثل هذا الاحتفال.

وعلى الرغم من حقيقة ان المعسكر الكبير يجمع أفراد جماعات غير متقاربة إلا أن معظم المصاحبة اليومية للشين تحدث بين مجموعـة من الأقارب . فعلى مدار السنة تعيش المجموعة الصغيرة المتقاربة منعزلة عن المجموعات الأخرى حتى ولو كانت متجاورة منها فى معسكر القبيلة . وأساس النظام الإجتماعى هو الأسرة الأموية الممتدة . حيث تتكون المجموعة العادية من رجـــل وزوجـة وبناتهم المتزوجات وأزواجهن الذين وفدوا من مجموعات مختلفة بالإضافة إلى أطفـــال

البنات والأبناء الذين لم يتزوجوا بعد . ويعيش فى خيمـــة مفـردة « Tipi » الزوج والزوجة والأبناء الصغار بينما يقطن بقية أفراد الأسرة فى خيم أخـرى مجاورة ويتعاون جميـع أفراد المعسكر فى أنشطة متعددة من بينها الطهى الجماعى على الرغم من أنهم يتناولون طعامهم فى خيامهم المنفصلة .

ومصطلحات القرابة التى تسود بين الشين من النمط الواسع الإنتشار والذى يطلق عليـه الانثروبولوجيون اسم النظـام الوراثى « generation system » والذى يعنى أن أبرز تميز هو ذلك الذين بين الأجيـال ، أما بين أقارب الجيـل الواحد فليس بينهم إلا قليل من التميز . ويوجد هذا النظام على وجه الخصوص بين البولنزين . فكما سبق الذكر تتبع الأقامة بعد الزواج الأم غـير أن الاحفاد يتبعوا بعد ذلك الجانبين ، بمعنى أن أقارب الأب هم أيضا بالكامل أقارب الأم . ولا يميز أبناء العمومة على أساس أبناء الأعمام وأبناء الخـــال Cross and parallel types . كما انه ليس هناك تميزا بين الأقارب فالجميـع ينادوا بنفس المصطلح على الرغم من الإختـلاف فى النـوع والسن . كذلك الزواج بين الأقارب غير مسموح به . ويطلق مصطلح أم على الخالة عندما تـكون من جيل الامومية ولـكن يطلق على العمة مصطلح مخالف . كذلك يطلق على العم مصطلح أب أما الخال فيخاطب بمصلح آخر . ويسمى أبناء الأخ باسم الأبناء والبنات أما أبناء الأخت فيعرفوا بأسماء أخرى .

وهناك أنواعا مختلفة من المجاملات بالنسبة لمختلف الأقارب فهناك من يعاملوا بإحترام زائد وبحساب وذلك على النقيض من الجماعات الأخرى التى لايوجد بينها حاجز فى المعاملة . والعلاقة بين الآباء والأبناء والأقارب بطبيعة الحال قوية ومتصلة . وبصفة عامة نجد العلاقة بين الأب وابنه وأقاربه من نفس

النوع علاقة غير رسمية وذلك على النقيض من علاقتهم مع الجنس الآخر . وما أن يصل الأخ والأخت إلى سن البلوغ حتى يحترم كل منهم الآخر إحتراما شديداً . كذلك العم والخالة اللذان يطلق عليهما مصطلحى أب وأم ، يعاملا باحترام نظرا لقرابتهما الشديدة أما الخال والعمة اللذان لا ينتميا إلى العائلة الأموية فمعاملتهما مع أولاد أختهم وأخيهم تتسم بالبساطة والتبسط . وكما هو الحال فى معظم المجتمعات يتمتع الأجداد سواء أجداد الاباء أو أجداد الأبناء بعلاقات طيبة مع الأبناء .

والعلاقة بين الأبناء وأبنائهم « بحكم القانون » على جانب كبير من الأهمية فالنظام الأموى فى السكن يفرض على الرجل أن يصاحب ويعيش مع أبنائه بحكم القانون غير أنه لا يرى البنت دائما ومن ثم فقواعد اللياقة والذوق ليست صارمة بالنسبة لها . ويعامل كل من الرجل وحماته بعضهما بإحترام وكلفه شديدة لدرجة انهما لا يخاطب بعضهما مباشرة رغم وجودهما فى كوخ واحد ، وإذا تقابلا صدفه فعلى الرجل أن يغطى رأسه ، أما الحماة فيهتم بزوج ابنته ولذا فحرية المناقشة بينهما سائدة غير أنه لا يتدخل فى أموره .

ويأخذ الزواج على أنه وسيلة لتوسيع دائرة الأقارب ، وهذا أمر هام جدا إذ يذكر الشين أنهم لا يستطيعوا الزواج إذا كانوا أقارب مهما كانت الدرجة بعيدة . فالشاب يذهب إلى مجلس أقارب الفتاة وليس إلى الفتاه ذاتها عن طريق إرسال هدايا لهم . ويتقدم العرض إلى والدى الفتاه وأحيانا إلى شقيقها وذلك عن طريق أحد أصدقائه المقربين : ويتم الزواج عن طريق تبادل كمية كبيرة من البضائع بين الأسرتين .

وينظر الزواج إلى شقيقة الزوجة الصغرى على انها ربما تكون الزوجة الثانية

إذ يحتمل أن يتزوجها فى حالة وفاة زوجته . وفى بعض الأحيـــان قد تحض
لتعيش فى منزل شقيقتها بعد بلوغهـا سن النضج ومن ثم فهى على الأقـل من
وجهة النظر الإقتصادية للمنزل زوجة ثانية لزوج شقيقتها أو أخيها فى القانون
وإذا ما توفى الزوج فمن المتوقع أن يحل شقيقه محله . ورغم ان هذه التقاليد غير
إجبارية إلا انها مقبوله ومتوقعه ما دامت الرغبة موجـودة للمحافظة على
الأسرة الممتدة . ومن الأشياء الحسنة أن يتزوج شقيقان شقيقتان وذلك لأنه
فى هذه الحالة سوف يكونا متقاربين ومتجاورين فى المعسكر .

وتتعاون الأسرتان سويا عند ميلاد طفـل الزوجين حيث تساعد النساء
الكبيرات من الأسرتين فى عملية الميلاد ، بينما يصنع زوج الشقيقة مهد للطفل في
حين يربطها الزوج بنفسه بعد الميلاد فى الشجرة . أما اسم المولود فيتفق عليه
مسبقا بين أسرة الأب حيث يعطى له اسم أحد أفراد الأسرة الكبار ، وتوجه
عناية للطفل فى غضون العشرة أيام الأولى للميلاد . شكل (١١)

وقد تتكفل عائلة الزوج بعد ذلك بالاحتفالات مثل قص شعر الطفـل
لأول مرة ، كما يختار الزوج صديق له لممارسة شعائر ثقب الأذن . ويفترض
ان الشخص الذى يختار الزوج لتمثيله فى الاحتفال أشقاء بعد ذلك . وتعتبر أسرة
الزوجة مسئولة لدرجة كبيرة عن تربية الطفـل فى حياته اليومية وذلك لأنه
يعيش بينهم . وقد تقوم الأم بحمل طفلها على ذراعيها فى خـلال الشهور الأولى
من الميلاد ولكن بعد ذلك وإلى أن يتمكن من السير فيوضع فى مهد يحمل فوق
ظهر الأم . ولا يوجد إحتفال خاص عند وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ غـير
ان الحيض الأول للبنت يتسم بالإثارة إذ تطلى البنت بطلاء أحمر بعد اعتزالها
فى كوخ خاص بصحبة جدتها لمدة أربعة أيام . ثم يعلن الأب النبأ فى إجتماع



(شكل ١١) أحد أطفال هنود السهول بأمريكا الشمالية

عام فى المعسكر الكبير وعليه أن يطلق عدد من الخيول إذا كان فى مقدروة إحتفالا بذلك . وتعتبر فترة الحيض بالنسبة للمرأة فترة خطره ومن ثم تفرض بعض الرقابة والعناية على نشاطها فى هذه الفترة .

ويعتبر أول صيد لجاموس برى وأول اشتراك فى مجموعة حربيه الأحداث الهامة فى حياة الصبى . ففى عنفون فترة الطفولة يتعلم الأطفال مهارات الكبار ولذا يكون الصبية مهرة فى الصيد وركوب الخيل فى سن ١٠ و ١٢ عاما حيث يعهد اليهم فى هذا العمر رعاية قطيع من الخيول . ومع سن ١٣ و ١٤ عاما يكون الصبى مستعد للصيد الأول للجاموس البرى الذى إذا ما نجح فيه يحتفل الأب به عن طريق إهداء بعض خيوله إلى جماعات لديها عدد قليل منها . والإشتراك فى أول حمله حربية تمثل حدثا تاريخيا للشاب فإذا ما نجح فيها وثبتت شجاعته يعطى اسما جديداً ، ويعقب ذلك انه يعتبر من بين المتعقلين حيث يعامله والده وأقاربه بعد ذلك معاملة الرجال .

ويتوقع من الشباب ممارسة بعض تعذيب النفس وذلك لكى يكتسب نظرة لارواح الحظ السعيد التى سوف تحميه فى ساحة القتال وتجلب له الحظ السعيد فى الصيد . وترتكز هذه العملية أساسا على الصوم لمدة اربعه ايام والجلوس عاريا بمفردة على قمة التل وقد يتأتى اكتساب نظره الارواح فى بعض الاحيان عن طريق التعذيب الجسدى لفترة قصيرة من الزمن . فمن الطرق السائدة وضع سيخ من الخشب تحت مجموعة من الجلد عند الصدر ثم يربط السيخ فى حبل يشد فى قمة عمود وبعد ذلك يمضى الشاب طوال يومه يشد نفسة بعيد عن العمود من اجل تمزيق اللحم . وقد تقطع فى بعض الاحيان قطعة لحم مماثله من ظهر الصبى وتربط فى رؤوس عدد من الجاموس التى تشد خلفها طول اليوم .

وقد تمارس مثل عمليه التعذيب الجسدى هذه احيانا أخرى من أجل مصالح خاص .

وكما يبذل الجهد لتعليم الصبية فنون الحرب ومهارات الصيد فانه يوجه ايضا لتعليمهم الطريقه الصحيحه لصحبه عشيرتهم فمن المفروض أن يحترمون كبار السن على مدى حياتهم كما لابد وان يكونوا بشوشين امناء واصدقاء مع زويهم واصدقائهم . أما سلوكهم ازاء الاعداء فلا بد وان يكون قاسيا جافا ، رغم أن مجتمع الشين لا يتصف بذلك .

أما عن الذوق والسلوك الاخلاق كمقومات للتركيب الاجتماعى والانثروبولوجى لجماعات الشين فيلاحظ انه يجعل حياتهم اليومية تسير فى هدوء وسكينه فمثلا إذا مادخل زائر المنزل عليه ان يتجه صوب اليمين ثم يتوقف ثم على صاحب المنزل الذى يجلس فى الخلف والذى يكون فى العادة فى الغرب يدعو الضيف للجلوس وإذا مارغب فى ان يزيد من تكريمه فإنه يدعوه للجلوس إلى جانبه . ومن العادات السيئه ان يتجه الضيف نحو اليسار لان هذا المكان خاص بالاسرة كما انه لايجوز ان يخترق الفرد المربين موقد النار والشخص الجالس . ولابد وان يصاحب الزوار الرسمين « جوزة التدخين Pipe Smoking » حيث يبدأ المضيف بنشر دخان الجوزة إلى السماء والارض وإلى الجهات الاصلية الاربع ثم يصلى بعد ذلك ومن ثم يأخذ نفس منها ويديرها على الجالسين من اليمين إلى اليسار ويعد سوء طالع ان تمس الجوزة أى شيء فى دورانها لذا لابد وان تعطى بعناية .

وتقام فى العادة الصلوات قبل تناول الطعام كما يحجز جزء من الطعام على

جانب للارواح وقد يتناول الرجال والنساء الوجبات سويا فى مسكنهم غير انهم فى المناسبات الرسمية يأكل الرجال بمفردهم . والاعياد الخاصه تكون مصحوبه دائما بالخطب وسرد القصص . ومن افضل السهرات حين يجتمع افراد بمجموعتين من الجنود ليتفاخرا بما فعلا إذ يحاول كل شخص ان يحصى عدد قتلاه ويلتزم فى ذلك بالصدق إذ تقدر هذه الصفه فى الرجال .

وقد تعود الشين على رؤية الجرحى والقتلى باسباب طبيعية ولا سيما فى الصيد والحروب غير ان المرض يدلل على أنه المرض من فعل قوة خارقه وانه لا سبيل إلى التخلص منه إلا عن طريق لرجل المطبب ، حيث يمارس الشامان ـ كما هو الحال بين قبائل الهنود الامريكيين الاخرى بعض الشعائر والطقوس التى تعتبر من امراره وخصوصياته . فبادىء ذى بدء يرتل سبع أغانى مختلفة مصحوبه بخشخشه وذلك بعد اطلاق دخان الجوزة المقدسة والتى تعتبر جزءا من علاجه الخاص حيث يخلطها بمجموعة من الادوية السحرية التى يفركها بيده ثم يضعها على الجزء المصاب من المريض . ويغنى بعد ذلك تسع أغانى يتناول بعضها الطعام الذى يقدم اليه .

وقد يوضع المريض فى بعض الأحيان فى كوخ صغير للبخر حيث توضع صخور محميه فى داخله ومن آن لآخر تصب عليها المياه لكى تصدر بخار كثيف. وفى هذه الاثناء يصلى الشامان ويغنى ويهز خشخاشه . ويتبع ذلك غطس فى النهر وكما هو الحال فى عديد من مجتمعات الهنود الامريكيين يعتبر حمام البحر تطهير ومن ثم يستخدم من العادة لاغراض دينية بحته.

ومعظم الهنود لديهم وصفات معينة من أدوية والاعشاب يتناولهــــا فى حالة المرض . وقد تأتى بهم الوصفه الطبيه فى المنـام حيث ينظر اليها كقوة روحيه

أكثر من كونها دواء حقيق . ويحمل الرجال معهم دائمـــا خدمه طبيه « Medicine burdle » من الاعشاب الخـــاصه التى تربط من أعناقهم أو فى شعورهم .

ويستطيـع أى هندى أن يكون شامانا وفى اطـار هذه النظره فجميع أفراد الشين لهم درجات من قوة السحر ، ولـكن إذا ما كان هناك شخص اعتقد أنه على درجة غير عادية من التطبيب فإنه يستدعى لمساعدة الشخص العـليل فى مقـابل هدايا تعطى له ومن ثم يصبح عتهنا تلك الحرفة . ويعتقد أن قليل من الشامانين لديهم قوة سحرية غير عادية يمكنهم بها تطويـع المـــرض أو الموت لارادتهم . وتستخدم هذه المقدرة فى العادة للتأثير على الناس ولـكن نادرا ماتحدث .

وحين يموت شخص يسرع الشين بالتخلص من الجثه وذلك خوفا من الاشباح فتبعد الجثه لمسافه بعيدة عن المعسكر وتوضع على حمالة من الاشجار أو فى كهف أو تغطى بالصخور . كما يقتل حصانه المفضل ويوضع بالقرب منه ذلك إلى جانب ممتلكاته الخاصة . أما بقية ممتلكاته فتعطى للغير . وقد يستمر المأتم لمدة عام أو أكثر ، وتقوم النساء المقربات اليه بقطع شعورهن وجرح رؤسهن وأرجلهن وإذا ماقتل الشخص فى معركة قد يصل الجرح إلى حـــد قطع الأصبـع . أما الرجال فلا يقوموا بحلق شعورهم ويتركوا تطول خلال فترة الحداد .

ويعتبر الشين أن جميع الاموات تذهب إلى العـالم الاخر فيما عدا هؤلاء الذين ينتحروا فعالمهم هو السماء الذى يمكن الوصول اليه عن طريق معلق وفيها يعيش الميت مثلما كان يعيش على الارض ولـكن فى صورة أشباح وظلال . ومما تجدر ملاحظته فى هذا الصدد أنه حينما وصلت المرايا إلى جماعة الشين عن طريق التجارة انزعجوا بشده لانهم تصوروا أن الانعكاس عليها من فعل الارواح وأنه

من سوء الطالع أن ينظر اليها . ونفس الشيء حدث فى السنوات الاخيرة حين وصلت الصور الفوتوغرافية اليهم .

ويعتقد الشين فى قوة الهين أكثر من غيرهما من الالهة والارواح ، ويقطن احدهما فى السماء والاخر تحت الارض ، كما أن هناك أربعة أرواح قوية تعيش كل واحدة منها فى احدى الجهات الاصلية . وإلى جميع هذه الالهه يوجه الشين صلاتهم ودخان « البيت المقدس » .

وإلى جانب بيب التدخين أو البيب المقدس هناك عدد كبير من الأغراض الاخرى تستخدم كايقونات وتعويازت لازالة وإبعاد الحظ السيء وتأثير الارواح الشريره . فدرع المحارب وقميص الحرب وتلوين الجسد كلها علامات لها دلالتها المقدسه عنده . فكل شخص يرتدى أو يحمل سحر خاص مثل رؤوس الرماح أو خصله من الشعر أو حجر أو بلور أو بعض الحشائش والعشب . وهكذا تحرم عديد من الافعال اليوميه خوفا من انتظام الارواح . فالرجال الذين لديهم دروع معينة لا يمكنهم أكل الامعاء كما أن هناك أيضا من يحرم عليهم استخدام السكين فى الطعام أو أى أدوات معدنية أخرى وأخرون لا يستطيعوا أكل قلوب الحيوانات ... وهلم جرا .

وهناك نوعان من المعتقدات السحرية **Fetishes** لها دلالة كبيرة بالنسبة لكل قبيلة الشين أولها الاربعة أسهم التى تخصص اثنان منها للجاموس واثنان للرجل - والتى ينظر اليها على أنها مقدسه كما أنها تحت توجيه قوة خاصه . وهذه الاسهم مثل حزمة الدواء **Medicine bundle** لها نفس الدلالة عند جميع أفراد القبيلة حيث يسعى كل واحد لحوزتها ومن ثم تقام بعض الاحتفالات الهامة عند الشين من أجل تجديد الاسهم المقدسة .

أما النوع الثانى من المعتقدات وهو قبعة الطب Medicine hat والتى كانت فى وقت ما معادلة لرمز القبيلة سوتايو Sutaio وحيث أصبحت مقبولة بعد أن اندمجوا فى قبائل الشين الحقيقية .

وتصنع القبة من رأس الجاموس وقرونها ثم توضع فى رابطه تحت حراسة رجل خاص وحينا تعرض للجمهور فى مناسبات خاصه فيعتقد انها تجلب الحظ والصحة والرخاء على القبيله . والمكان الذى توضع فيه القبعه يشبه الكنيسه فهو مكان مقدس لايجوز لأى شخص أن يرتكب فيه جريمة أو يتتبع عدو .

وتقيم القبيله طقوسها الدينية الرئيسية فى فصل الصيف حين يجتمع كل أفرادها من المعسكر الكبير وأشهر هذه الطقوس مايطلق عليه رقص الشمس San dance والذى يمارس فى جميع أنحاء السهول . ذلك بالإضافة إلى احتفال الماسايم Massaum والذى يعرف فى بعض الأحيان بإسم الرقص المجنون Foolish dance والذى يتضمن استعراض للعارضين .

ورقص الشمس عند الشين أو كما يعرف لديهم باسم مكان الطب فهو يشبه بصفة عامة الاحتفال عند بقية هنود السهول على الرغم أنه بين قبائل الشين يوجه بوضوح إلى الأرواح وذلك من أجل خير القبيلة . فيقام منزل للاحتفال كبير على شكل مستطيل يوضع فى مركزة عمود مقـــدس تجرى حوله حلبة الرقص وتقدم العروض وتقام الشعائر المختلفة . وفى ختام الأيام الأربعة للإحتفالات يربط الشباب الراغب فى التعذيب الجسدى فى العمود بعد وضع الأسياخ فى جلود صدورهم . وقد لفت هذا العمل الأخير أنظار الأوربين والرجل الأبيض بعضه خاصة وكان عاملا فى منع رقص الشمس فى مخصصات الهنود الحر على الرغم من أن هذا العمل ليس من أبرز مظاهر الإحتفال .

أما رقصه الماسيم Massaum فهى أساساً محاكة للسحر إذ ترتكز على تصور الشخص لصيد الحيوان وتمثيل الظروف التى يقتنص فيها الحيوان. وغرض هذا الاحتفال هو طلب وفرة فى الصيد وشفاء المرض وتأكيد النجاح فى الحرب ولذا فقد يمارس الممارضون حركاتهم التى تثير ضحك المتفرجين.

وقد وصلت حياة هنود السهول إلى أوجها فى الفترة التى تزداد فيها الاتصال السريع بالمجتمع الأمريكى. فى ذلك الوقت أصبحت منطقة السهول العظمى ميدان للصراع بين المدن الشرقية ونيو مكسيكو وكاليفورنيا وأريجون ولكن لفترة لم يكن هنـــاك استحواز على الأرض إذ أن الرجل الابيض كان لا يوجد شيئاً سوى حماية عربات البضـائع من السطو إذ أن استمرار العلاقة السلمية بينهم وبين هنود القبائل الهندية ساعد على حصولهم على الفراء فى نظير إعطائها الخرز والمرايا والسكاكين والآنية النحاسية والحديد. ثم أخيراً البنادق والبارود والقصدير والويسكى الرخيص الذى أقبل على تناوله شباب الهنود ومن ثم أصبح عنصراً هاماً فى التجارة.

وفى عام ١٨٣٢ افتتح طريق سانت فى Santa fe الشهير الذى عمل على زيادة التجارة بين المدن فى مسيورى ونيو مكسيكو كما أن قبائل الهنود الجنوبية تاجرت على القـوافل وعملت معهم غير أن بعض الجماعات قد هاجمتهم من آن لآخر لأنه لم يكن هناك بوليس قبلى. وكل هذه الامور كانت مثيرة غير أنها لم تمثل أى تهديد لقطعان الجاموس البحرى فى أرض الشين.

ولـكن بعد أن بدأت أعداد العربات تزداد فى طريق أوريجون فى السهول الشمالية حتى صممت حكومة الولايات المتحدة على وضع الهنود فى حدود خاصة بهم ومن ثم فقد عقدت معـــاهدة فى عام ١٨٥١ فى قلعة لارامى بينهم وبين

هنود الشين والاراباهو Arabaho حددت بواسطتها مساحة واسعة لصيدهم بين شمال نهر بلاتا ونهر اركانس وبين جبال الروكى وحتى التلال السوداء Black Hiels وقد كانت هذه المساحة كافية غير أنه بعد مضى ثمانية أعوام على توقيع الاتفاقية بدأ الباحثون عن الذهب يتجهون إلى منطقة نهر بلاتا ومن ثم توقع الهنود أثر صوب الغرب . وأسوأ من ذلك الجاموس البحرى الذى كان يعد المورد الرئيسى لمنطقة السهول أخذت أعداده تقل بسرعة . فقد لجأ الصيادون الاوربيون لصيد الجاموس من أجل جلودها فقط كما أن المسافرين عمدوا لقتل أعدادا منهم على سبيل الرفاهية . ويبدو أن ظهور الذهب كان بشير لإفناء المورد القديم للمنطقة وهو الجاموس الذى بدأ تقل أعداده ببطء فى بادىء الأمر ثم أخذ ينقص بدرجة مزهلة إلى أن كاد ينقرض بعد أعوام قليلة من الأحداث السابقة .

ويبدو أن تتابع الاحداث بسرعة قد ترك هنود السهول فى حالة من الإضطراب تقريباً . وذلك أولا لان أعداد كبيرة من الأوربيين وفدت فى أعقاب قيام طرق القوافل ولم يلاحظوا أو يعرفوا طبيعة المعاهدات التى وقعت مع الهنود من قبل ومن ثم فعند ما كان الهنود يهاجمون الهنود كانت قوات الحكومة تتبعهم وتفتك بهم . وهكذا تردد بين الأوربيين أن أفضل الهنود هو الهندى المقتول ومن ثم فلم يفرق الرجل الأبيض من الهنود غير المسالمين أو الهنود المسالمين أو الهنود الذين يجب عقابهم لجرائم لايعرفوا عنها شيئاً . فقد ذهب الجنرال كوستر Custer إلى قرية الشين المسالمة فى بلاك كتل Black Kettlo وأبدوها عن آخرها . كذلك فقد تمخض عن الموقعة التى حدثت فى Sand Hill بالقرب من دينفر Denver أن حصر معسكر الشين ورفع عليه علم القوات الأمريكية بعد أن أبيد من فيه وعرضت أشلائهم فى مسرح دينفر .

وقد وفد أعداد كبيرة من البيض بعد الحرب الأهلية إلى منطقة السهول وتبعا لذلك أصبحت حياة الهنود فى هذه المنطقة مستحيلة . وفى عام ١٨٦٧ قبل الهنود الذين يعيشون فى النصف الجنوبى من السهول بما فيهم الفرع الجنوبى من الشمين نظام المخصصات ومن ثم فاستقروا فى خلال أعوام قليلة فى أوكلاهوما . أما فى الشمال فقد أدى استمرار تدخل الرجل الأبيض فى أراضى الهنود إلى نشوب الحروب الهندية التى بلغت ذروتها فى أعوام ١٨٧٠ . فقد اتحدت قبائل الشين مع بعضها حيث نجحت فى إلحاق الهزيمة بالجنرال كوستر فى موقعة ليتل بيج هورن Little Bik Horn غير أن الدائرة أردت عليهم وهزموا وانتهى بهم الأمر للعيش فى مخصصات .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم أراضى المخصصات غير صالحة للزراعة ، كما أن الزراعه هى فى هذه الحالة من اختصاص المرأة . وحتى رقصة الشمس قد حرمت ذلك إلى جانب جميع مظاهر الحياة القديمة لهم التى لم تجد مجالا لها فى المخصصات . وهذا التوجيه الخاطىء الذى تكرر باستمرار فى أجزاء متعددة من العالم حيث توجد الجماعات البدائية قد خضع للحضارة وكان رد الفعل فى أغلب الأحيان عنيفاً . ومثل ردود هذا الإحتكاك يعرف بإسم Revivalism أو messianism والتى تنطوى على إيجاد نظم تحتوى الإحتفالات والتقاليد الخيالية التى كانت موجودة قديماً .

وقد وجدت بين هنود أمريكا حركة عرفت بإسم رقصة الشبح الدينية Ghost Dance Rolgion والتى بدأت فى نيفادا فى عام ١٨٨٨ ثم انتشرت بعد ذلك إلى بقية القبائل الهندية الأمريكية المنتشرة فى الغرب الأقصى إلى أن وصلت أخيراً إلى قبائل السهول . وقد ذكر أحد قادة هذه الحركة من الهنود

ويدعي وفوكا Wovoka إن ماتعلمه من أصول الرقصة يساعده على إحضار أجداده الراحلين وتجديد الأرض بصيد جيد. وفى هذا الوقت تمكن الشين وكذلك قبائل السهول الأخرى من اعتناق الدين الجديد ومن ثم فقد دعوا سلبياً لمواصلة الحرب المقدسة ضد البيض. وهذه الحركة كانت فى مضمونها حركة الاحياء Revivalistic حرمت فيها الملابس والعادات والأدوات الجديدة للرجل الأبيض وجمدت فيها الطرق القديمة . وهكذا قامت حركة مسلحة لهنود تيتون Teton فى داكوتا غير أنهم هزموا فى وندد نى Wounded knee ولم تحدث معارك أخرى على الرغم من أن الاضطرابات قد استمرت عدة أعوام .

وفى وقت لاحق صاحب حركة الاحياء أكل هنود أمريكا لزرايز جافة مصنوعة من نبات معين يحصل عليه عن طريق التجارة على الهنود الذين يعيشون فى المناطق الجنوبية الغربية وفى المكسيك . ونظراً لأن هذه السلعة تحتوى على مادة مخدرة فقد انتشر استخدامها من الجنوب إلى هنود السهول حيث يستخدمها الآن معظم الهنود .

ومنذ أن فشلت جهود الحكومة فى اجبار الهنود الذين يعيشون فى المخصصات الشمالية على الزراعة وحتى أخذت تربية الماشية تجد طريقها فى الاهمية بالنسبة للمنطقة . وقد ساعد على ذلك أنه ينظر إلى تربية الماشية على انها وسيله أفضل لعمل الرجل كما أن البيئة ملائمة لذلك. غير أن المساحة المخصصه صغيرة لاتكفى هنود الشين الشماليه والذين يبلغ عددهم ١٦٤٧٠ فردا لكى يربوا قطعان من الماشية تكفيهم . فمعظم السكان يعيشوا فى الوقت الحاضر فى اكواخ متلاصقه كنوع من الاحياء الريفية الفقيرة Rural Slum وهم على درجة كبيره من الفقر فبعض الرجال يعمل دورى وإن كان القليل منهم له حرف ثابتة بالقرب من

المخصصات أو بها ذلك إلى جانب بعض أرباب المعاشات وهؤلاء الذين يباعون بعض منتجاتهم المحليه . فقد وصل متوسط دخل الفرد لديهم فى عام ١٩٤٥ حوالى ٢٤٠ دولار وهذا المبلغ يوزع بطـــريقة أو اخرى بين الأفراد عن طريق المشاركة .

ولازال بعض التقاليد الاصليه مستمرة بين الشين فالتأكيد على القرابة مازال ينعكس على فترة الزيارة الطويلة للاقارب ، كما أن قليل من وسائل التطبيب القديمة مازالت مستمرة ذلك بالاضافة إلى أن بعض الاحتفـالات القبلية مازالت تمارس . ومن هذا يبدو أن عملية الاندماج فى المجتمع الامريكى الحديثة يسير ببطء شديد حيث توجد معوقات أكثر من تلك التى ظهرت فى نظام المخصصات وعلى أى حال فالتزاوج والاختلاط مع الرجل الابيض مستمر فمزيد من أطفال الهنود يلتحقون بالمدارس ، كما أن المزيد منهم يحصل على وظائف خارج المخصصات أكثر من قبل . واذا مااستمر هذا الاتجاه فإن وضع الهنود الحالى سوف يتغير فى غضون جلين أو أكثر . وفى تلك الاثناء فإن الأمريكى الاصلى الصائد والمحارب والمكتفى ذاتيا أصبح مواطن من الدرجة الثانية بأمريكا وهو عـــلى مستوى اجتماعى واقتصادى منخفض بالنسبه لأى مهاجر وفد على تلك الأرض .

قبائل النوير

The Nuer of the Upper Nile River

قبائل النوير

يقطن النوير مناطق طويل من الحشائش المدارية التى تشغل المنطقة الممتدة من التخوم الجنوبية للنطاق الصحراوى وصوب الجنوب إلى شرق إفريقية ، وهم جماعات طويلة القامة ذوى سيقان طويلة ورؤوس ضيقة إذ يمثلون نتاج سلالى متنوع بين سلالة البحر المتوسط وزنوج غابات إفريقية . ويتحدث جميعهم لغات متقاربة وضعت حديثا كلها تحت مجموعة اللغات السودانية الشرقية . وقبائل النوير قبائل ترعى الماشية تتمثل خير تمثيل فى الجزء الشمالى من شرق أفريقية غير أنهم يختلطوا أكثر بجماعات البانتو الزراعيين كلما اتجهنا جنوبا إلى أوغندا .

ومن الجماعات الرعوية النقية الماساى فى جنوب كينيا وشمال تانجانيقا وهم جماعات معروفة جيدا على الرغم من أنهم ليس أفضل النماذج النوير إذ أن الجماعات التى توجد فى الشمال تعتبر أكثر تمثيلا للمجموعات القبائل السودانية الرعوية المنتشرة فى المنطقة على نطاق واسع .

وأرض النوير فى وسط وجنوب السودان عبارة عن منطقة واسعة من الحشائش يخترقها المجرى الأعلى من نهر النيل بروافده المتعددة ، وهى ذات مناخ مدارى حيث تنقسم السنة بالتساوى بين فصل شديد الجفاف وآخر غزير المطر فتبدأ من شهر ديسمبر وحتى شهر يونيو تنخفض المياة فى نهر النيل وفروعه ويبدو المظهر الطبيعى فى المنطقة وكأن الجفاف يسيطر على كل شىء ولكن ابتداء من شهر يونيو وحتى شهر ديسمبر تسقط الأمطار الغزيرة وتفيض الأنهار على ضفافها وتنمو الحياة العشبية الغنيه بحشائشها الطويلة .

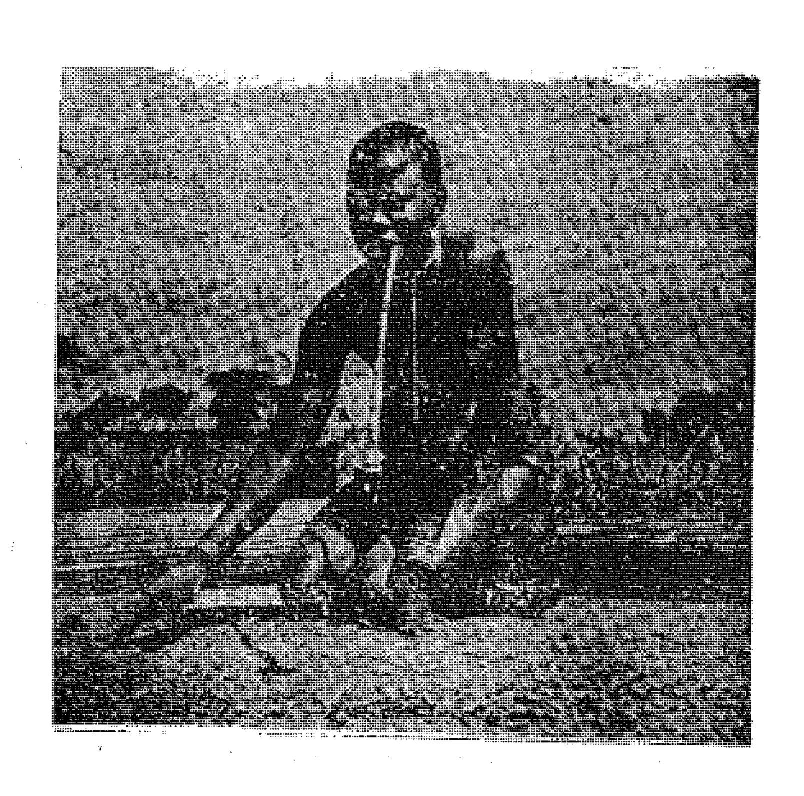
وقد تبدو المنطقة للناظر حينذاك وكأنها منطقة مستنقيمة . لاعلاقة لها بالمظهر الصحراوي الذي كان يسودها فى الجزء الآخر من السنة .

ومن وجهة نظر الزراعة الحديثة أو رعى الحيوان يبدو أن هـذه المنطقة تشهد فترات تزيد فيها المياه عن الحاجة وأخرى تقل فيها لدرجة واضحة ، ولذا توجد أنواع متعددة من الحشرات فى المنطقة . ففى فصل الأمطار يوجد الباعوض بكثافة غير عادية لدرجة تحول دون عمل الانسان والحيوان اللهم إلا إذا احـرق نارا يصدر منها دخانا كثيفا . أما فى فصل الجفاف فيهاجم الذباب بأنواعه المتعددة الحياة الحيوانية .

ويعتقد النوير أن بلادهم أفضل الأوطـان على سطـح الأرض ، والقليل منهم من تعدى فى ترحالهم مدينه الخرطوم . وتتصف جماعات النوير مثل بيئتهم بالشح وعدم الجود ومن ثم فالقبائل المجاورة لهم تخشاهم ، كما أن القوى الاستعمارية لم تهتم كثيرا بالاستيلاء على أراضيهم أو تجنيد الأهـالى فى العمل . ونتيجة لذلك يعتبر النوير فى الوقت الحاضر من أكثر الجماعات البدائية الأصيلة نقاوة فى عاداتها الاجتماعيه وتنظيماتها على الرغم من المنطقة شهدت استعمارا بريطانيا .

ويبلغ عدد البوير حوالى ٣٠٠ ألف شخص غير أنه لا يربطهم جميعا أى وحدة سياسية فلا يشار إلى النوير كشعب أو مملكة بل عبارة عـن مجمـوعة مـن القبائل المتشابه حضاريا ولغويا والتى تجعلها تشعر بدرجات متفاوته أنهم يكونون مجموعة مختلفة عن جيرانهم . وجماعات الدنكا التى ظلت لفترة طويلة من أشد أعداء النوير أكثر شعبها لهم من الجماعات الأخرى المحيطة بهم ومن المحتمل أن ينتمى النوير والدنكا إلى أصل حضارى ولغوى واحد (شكل ١٢) .

ومن جيرانهم الاخرين القبائل المتعددة المتحدثة بلغة الشلوك مثل الجـالا فى أثيوبيا والانواك Anuak والبوير Beir . أما إلى الشمال فيوجد العرب الرعاة الذي اتصل بهم النوير فى بعض الأحيان . وبصفة عامة نجد أن طبيعة وصفات



شكل (١٢) النوير

اختلاط النوير بجيرانهم كانت واضحة .

وجماعات النوير جماعات رعوية أساسا على الرغم من أنهم مثل أى مجموعة رعوية أخرى فى العالم ، يقومون بزراعة بعض المحاصيل القليلة حينما يدفعهم الفقر إلى ذلك بغض النظر عن فقر التربة وعدم ملاءمة المناخ لذلك . وينظر النوير كما ينظر كل رعاه شرق افريقية إلى الزراعة على أنها مهنة أقل من مهنة رعى الماشية حيث يعتزوا اعتزازا كبيرا بالمهنه الأخيرة . وتمثل الماشيه المصدر الرئيسى للطعام فتأخذ منه الألبان واللحوم والدماء كما تستخدم الجلود فى صناعة الإسرة والحقائب والحبال والطبول والدروع فى حين تصنع العظام والقرون أنواعا متعددة من الادوات المنزلية والآلات . وتعتبر الماشية من أهم ممتلكات النوير الذين لايعادلون أهميه امتلاكها بأى شيء آخر فقد ذكر أحد الباحثين وهو البروفسير ايفانس بريتشارد evars - Pritchard فى كتابه عن النوير الذى صدر فى اكسفورد عام ١٩٤٠ أن «النوير لايتحدثون عن شيء سوى حيواناتهم . وأنه وصل لدرجه اليأس أحيانا لانه فشل أن يجد فى حديثه مع الرجال سوى الحيوانات والنساء بل أن الحديث عن النساء كان يقوده دائما إلى الحديث عن الموضوع الأول » .

ويعتبر اللبن غذاء النوير الاساسى على مدار السنة ، فقد يشرب طازجا أو يخلط بالذرة لعمل العصيدة كما يملح لعمل طبق خاصة من الطعام ذلك إلى جانب صناعة الزبد وتحلب الماشية مرتين فى اليوم ، وتقوم النساء والاطفال بهذا العمل ويمنع على الرجل حلب الابقار ولايسمح بها إلا فى حالة عدم وجود امرأة. وفى فصل الجفاف حين يكون الطعام نادرا يجف لبن الابقار ومن ثم فقد يلجأ النوير إلى قطع أحد شرايين الرقبه فى البقرة للحصول على الدماء منها . ويغلى الدم إلى أن يصبح سميكا ، وقد يترك ليتجمد وبعد ذلك يشوح ويأكل .

ولاترعى الماشية من أجل لحومها ولكن حينما تصبح ضعيفه أو مجروحه أو أوكبيرة فى السن فإنها تذبح وتأكل فى ظال احتفالات وطقوس. ويتولى الرجال رعاية القطعان فبعد أن تنتهى النسوه من حلبهن يقوموا بقيادتهم صوب المرعى والماء والاشراف عليهم طوال اليوم ليعودوا بهم إلى حظائرهم بالمساء، وفى تلك الاثناء ينشدون أغانى تصف محاسن حيواناتهم . ومما هو جدير بالذكر أن النوير يغسلوا أيديهم ووجوههم فى بعض الاحيان ببول الابقار كما أنهم ينظفون أجسادهم وأسنانهم بدهان مصنوع من روث الماشية .

وأهم الغلات التى يزرعها النوير السورجام وبعض الذره . ويعتبر السورجام أهم الاطعمة لدى النوير بعد اللبن فيصنع منه العصيده والبيرة التى تمتق أسبوعيا ويؤكل قليلا من الذره حيث لاينمو جيدا مثل السورجام فى ظل الظروف المناخية الرطبة . أما الماعز والاغنام فتنتشر بين قطع الماشية غير انها لاتعتبر مصدرا هاما للاقتصاد لديهم . ويمثل صيد السمك مصدرا آخر هام لطعام النوير . مع نهاية الفصل الجاف ومع بدأموسم فيضان الانهار وتكوين المستنقعات يسهل عليهم الصيد الذى يتواجد فى البرك المنتشرة فى أراضيهم . وموطن النوير غنى بحيوان الصيد غير أن النوير لايقبل على الصيد بكثرة ، فتوجد هناك عديد من أنواع الجاموس والفيله إلى جانب وفرة من التماسيح غير ان النوير يشعر ان الفقير الذى ليس لديه قطيع من الماشية هو الذى يتجه للصيد من اجل الطعام . وقد يضطر النوير لصيد الفهود والنمور فى فصل الجفاف حين تهدد تلك الحيوانات مصدر قطعانهم اى ان الصيد فى هذه الحالة من اجل حماية انفسهم ويعتمدوا فى ذلك على الكلاب والرمح . ولايربى النوير الطيور كما يعتبروا ان كثرة اكل الطيور البرية وبيضها امراً غير مقبولا .

وفى خلال فصل الامطار يعيش النوير فى قـــرى اقيمت فوق الاراضى

المرتفعة البعيدة عن غائلة الفيضان حيث يمارسون زراعة حديقهم الصغيرة.وهذه البقع التى تقام عليها المحلات العمرانية قليلة جدا ومن ثم فاغلبية الأراضى الفيضية المتسعة أماكن غير مؤهلة وكذا تتباعد القرى عن بعضها لمسافة قدتصل الى حوالى ٢٥ ميلا . ويتحدد حجم القرية بعدد سكانها ومساحة الأراضى الزراعية الملحقة بها ، وهكذا يتراوح قاطنى القرية الواحدة ما بين خمسين شخصا وعدة مئات ومن الأشخاص . ومع نهاية الفصل الممطر وبعد أن تجف الأرض يشعل النوير النيران فى الحشائش من أجل تهيئتها لقيام مرعى جديد ثم يرحلون لاقامة معسكراتهم بالقرب من المجارى النهرية وروافدها وذلك لفترة ستة شهور وكثرة الحركه والانتقال ضرورية فى هذه الفترة نظرا لان المرعى يصبح أكثر تناثر مع تقدم فصل الجفاف .

ولاتوجد حقوق ملكية دائمة للارض عند النوير . فاختيار موضع القرية يحكمها فكرة أن الارض مشاعة للجميع وأن الملكية الوحيدة المتمسك بها هى ملكيه قطعان الماشية وهذه الملكية ملكية أسرية أكثر منها فردية ولذا فبعض العائلات أغنى فى قطعانها من البعض الاخر . ويعود هذا الاختلاف أساسا الى مركز صاحبها غير أن هذا الاختلاف لاينتج عنه اختلافا ذات قيمة فى مستوى المعيشة . فدرجة المساهمة فى المجتمع وأيضا فى المجتمعات المجاورة يتوقف على دور المجموعة ككل فى مدى اشتراكها فى مصدر طعام واحد . ولاتوجد تجارة بين النوير إذ أن النمو الاقتصادى بطىء جدا فى بعض الأوقات فى أثناء العام ولاسيما فى أواخر فصل الجفاف يوجد نقص واضح فى الطعام ومن ثم فيفرض على مجتمع النوير أن يتعاون جميعا فى كيان اقتصادى مشترك .

وتتمثل الوحدة الاقتصادية الصغرى عند النوير فى المنزل أو النزله

hame stead حيث يتكون من كوخ او مجموعة صغيرة من الاكواخ وحظيرة للماشية بنيت جميعها من البوص وطين اللبن وقد تضم المـــنزلة اسرة بيولوجية واحدة أو ربما تشمتل على اسرة ممتدة ترتكز على الاباء وعدد من الابناء مع عائلاتهم . اما فى فصل الجفـــاف فالمعسكرات المؤقتة تشيد من حصر بسيطة لتكون مجموعة من الاكواخ على هيئة خلية من النحل يعيش بها مجموعة من العائلات المتقاربه التى تتعهد كورال Corral « او حظيره كبيره مسورة تضع بها الماشية ، أو قد يعيش بها عائلات واحدة تجوب مساحة واسعة وتعتمد فى حياتها على ظروف الأرض وقربها من المرعى وأماكن الصيد الوفير وفى العـــادة يرتبط النشاط الاقتصادى بالمنزلة وذلك فى غضون الإقامة فى قرى بينما فى فصل الجفاف يصاحب النوير قطعان ماشيتهم فى مرعاهم ولذا تكون الأنشطة الاقتصادية أكثر شيوعاً .

ويربط جميع افراد القرية أو المعسكر صلة القرابة وهى نفس الرابطة التى تربط كل الأفــــراد والجماعات التى تصاحب النوير . فكل الحقوق والواجبات والامتيازات والعادات ينظمها إطار القرابة ، فلا يوجد أى شكل آخر للصداقة فإما الشخص قريب أو عدو ، وهكذا يستطيع النوير ان يضع أى شخص له احتكاك بهم فى وضعه الصحيح . ومصطلحات القرابة لدى النوير متعددة ومنها ما يطلق على افراد المقاشرين للأسرة ذلك إلى جانب الأقارب من نفس العمر أو هؤلاء الذين تربطهم صلات معينة بالأفراد المباشرين للاسرة .

ومعنى ذلك أنه من المشكلات الاجتماعية تحديد نوعية الأقارب من مصطلح يطلق على أحد الأفراد المباشرين فى الاسرة . ولذا لجميع الأقارب الذكور الذين ينتمو لجيل الآباء والامهات يطلق مصطلحى أب وأم ، كما أن الأقارب من

جيل واحد يطلق عليهم مصطلح أخ أو أخت ، كما أن أطفال الأخ والاخت يطلق أبناء وبنات . ويعتبر الخال كما هو فى بعض المجتمعات ذا وضع خاص فى القربه بالمقارنة بالذكور الآخرين فى نفس جيلة ولذا فيشار اليه دائما بمصطلح مميز وبطبيعة الحال هناك طرق مختلفة لتحديد درجات القرابة بشكل أوضح . فقد يستخدم مثلا مصطلح شقيق الاب فى مخاطبة العم بدلا من اطلاق مصطلح أب عليه ولكن ينظر النوير على استخدام مصطلحات محددة فى القرابة شكل شيء يتسم بالبرود والبعد .

وتعتبر قرابة السن مسألة هامة فى العلاقات الشخصية بين النوير ويبدو أن هذه المسألة تفوق فى أهميتها أى اعتبر آخر . فيوضع كل فرد من أفراد النوير فى قسم تبعا لمصطلحات نظام العمر . فجميع الذكور يقسموا إلى درجات تبعا لأعمارهم فهناك الكبار والمتساوين والصغار . فيستطيع المرء أن يميز الكبار على أنهم أرفع قدرا من الصغار وأنه غـــير متكافئين مع متوسطى الاعمار . أما النساء فيتبعوا النظام الذى يحتوى الامهات والزوجات و الشقيقات والبنات اللاتى تنتمين إلى أشخاص ذكور معينين . وهكذا يحكم استخدام مصطلحات القرابة العمر النسبي أكثر من القرابة الفعلية ولهذا فيخاطب أى شخص من مجموعة كبار السن بمصطلح أب أو أم بينما يخاطب الصغار بمصطلح ابن أو أبنه . أما الشيوخ فيطلق عليهم لقب جد وجده . أما الرجال من نفس العمر إذا ما كانوا أصدقاء ينادى كل منهم الآخر باسم ثوره إذ أن اسم الثور يطلق على صاحبه .

وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلحات القرابة المحدودة التى تطلق على عدد كبير من الناس إلا أنه توجد اختلافات هامة فى السلوك بين الاقراب من مختلف الدرجات . فلكل شخص صلات قرابة من جهة ابيه وأخرى من جهة

والده ، غير ان القرابة المتصلة بالطرف الأول تعتبر أهم قرابة الطرف الثانى . فافراد تسلسل الاب وهم أقرب الاقارب والصقهم لا يشترط تقاربهم فى الحدود ولكن القرب هنا فى الشعور أوضح . وهذا هو السبب فى أن الخال يخاطب فى بعض الأحيان بمصطلح خاص بينما يشار إلى العم بمصطلح أب إذ ان الأخير احد الافراد المتحدثين لتسلسل الاب وذلك على النقيض من الخال الذى يمثل نوعا أخـــرى . ويعنى التسلسل القرابى Lineage nember ship التمثيل فى المجموعة التى تشارك فى حقوق الأرض والتى تحكمها التزامات سياسية وقانونية عامة كما ان لها حقوق احتفالات معينة . ويعيش فى كل قرية أكثر من تسلسل قرابى بل ان التسلسل الواحد قد يكون له فروع متناثرة فى قرى مختلفة . وهكذا يلعب التسلسل القرابى الدور السياسى بمعنى أن كل افراد القرية لهم شعور طبيعى قوى نحو قريتهم . وهذا الشعور يكون بطريقة ما وحدة متكاملة يشارك أفرادها اعداد من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية . ولا يسمح نظام التسلسل القرابى بزواج الفرد من مجموعته التسلسلية انما يحدث الزواج فى القرية بين التسلسلات المختلفة .

ومن ثم فالتسلسلات القريبة تربط أفراد القرية بعضها ببعض حيث تشكل اتحادات وتخلق مجموعات أكبر بحيث قد تبدو القرى مكتفية ذاتيا .

وتكون الانساب المتقاربة مجموعات أكبر وهى العشيرة . وإذا كان درجة قرابة أى شخص تعرف بين ذوية فإن العشائر ينظر اليها على انها تتكون من انساب وليس من أفراد فصلات قرابة كل نسب بالآخـــر معروفة فى العشيرة ولكن الأفراد يعرفوا فقط كتوابع لأفراد لعشيرة التى انحدرت من جد عام .

وقد تتحد القرى فى مقر سكنى عام إذ قد تشغل عـدد من القرى منطقة من

أرض يشعر قاطنيها بأنها وطنهم بعاداتهم وحرفتهم وفى مثل هذه الحالة تعرف هذه القرى باسم عام هو اسم الناحية وفى نفس الوقت اسم مجموعة السكان . وقد يشعر أيضا بعض هذه النواحى بصلة القرابة بين بعضهم فى مساحة أكبر من الأرض وبالتالى تشعر المجموعة الأخيرة بنفس الصلة بمجموعة أكبر منها إلى ان يظهر اتحاد أعم واشمل يربط بين المجموعة المتقاربة تحت اسم القبيلة .

وجماعات النوير كلها تنقسم إلى ثمان أو تسع قبائل كبرى يتراوح عدد أفراد كل منها بخمسة الأف شخص وان كانت هناك جماعات اصغر من ذلك كثيراً ولكن القبيلة هى أكبر وحدة من السكان الذين يقطنون منطقة معينة ولهم اسم خاص والذين يشعرون سويا بالانتماء belongingness . ولا توجد حكومة بين قبائل النوير ومن ثم يعرفوا كشعب وكأمة فى إطار اشتراكهم فى لغة وحضارة وحدود واحدة اى أن التعريف السياسى غير وارد فى هذا الصدد .

وتتكون كل قبيلة من قبائل النوير من عدد من العشائر ولكن يوجد دائما بينهم عشيرة تشعر أنها أعرقهم وأكثرهم تميزاً وهى فى بعض الأحيان وليست دائما أكبر العشائر . وعلى الرغم من ان لكل عشيرة عدد من أفرادها فى كل قرية إلا أن هناك عشيرة بعينها تشعر أنها هى الأهم فى كل قرية ، وأخرى فى كل ناحية وهلم جرا ومن ثم فهناك من الأشخاص من يستطيع التحدث باسم العشيرة السائدة فى كل ناحية كما هناك من يمكنه التحدث باسم القبيلة ككل . وفى ضوء هذا الواقع نجد بعض الإختلافات الاجتماعية بين الأسر فى كل المناطق حيث تربط هذه الأختلافات بالمركز أكثر من السيادة أو الامتياز . فلا يوجد هناك طبقات اقتصادية تعتمد على ثراء اقتصادى مورث أو اختلاف فى مستوى المعيشة .

ولا يوجد بين قبائل النوير حكومة بمعنى الكلمة أو سلطة منظمة أو أى قانون . انما يوجد فقط بعض الرجال المؤثرين الذين لديهم نوعا من السلطة التى تعتمد على مقدرتهم على القيادة أكثر من اعتمادها على المركز أو الوظيفة الموروثة وفى العادة يأتى القائد من العشيرة البارزة ولكن لا بد له من أن يكون قوى الشخصية ذا حكمة حتى يمكنه اجتذاب الآخرين . والنوير جماعات تؤمن بالمساواة بقوة ولذا فلا يمكنها قبول أى سلطة فيما عدا تلك التى تتأتى عن طريق الأسر والتى تنطوى تحت تقسيمات السن والنوع فى نظام القرابة .

والمركز الذى يشبه كثيرا الوظيفة السياسية هو رئيس جلد النمر — Leopard Skin chief وسمى بهذا الاسم لأنه يسمح له بأرتداء روب من جلد النمر . ووظيفته الأساسية بالإضافة إلى بعض الطقوس المعينة ـ التوسط بين الخصوم . واعنف الاضطراب الاجتماعية فى حياة النوير ترتبط بتقل رجل لآخر . فكما هو الحال فى المجتمعات البدائية الأخرى التى تفتقر إلى وجود مؤسسات حكومية فإن هذا العمل يسبب الفرقة بين الاقارب ويكون بداية للخصومة والعداء الحقيقى . ولا تسمح مجتمعات النوير لهذا الحدث أن يمر بدون ربط إذ أن المجتمع لا تنعدم فيه السلطة كلية رغم عدم وجود قضاه أو أى سلطة حكومية فى المحلة العمرانية .

فحينما ترتكب جريمة قتل يذهب القاتل إلى رئيس جلد النمر المحلى وإذا ما كان يخشى الانتقام فى الحال فإنه يظل مع الرئيس الذى يعتبر منزله مقدس . ودور الرئيس بعد ذلك هو أن يذهب إلى اسرة القاتل ويتفق معها على دفع عدد من رؤوس الماشية إلى اسرة القتيل ثم يحاول بعد ذلك إلى اقناع اسرة القتيل بقبول التعويض وعلى أى حال فهو الوحيد الوسيط . وإن كان ليس لديه أى سطة للحكم أو للاجبار على الدفع أو القبول .

ويمثل جلد النمر دور الوسيط فى بعض المنازعات الأخرى كما هو الحال عند الاختلاف على ملكية الماشية . وقد يستطيع الرئيس ومثله فى ذلك مثل كبار السن فى المجتمع أن يعبر عن رأيه فى الحالة ويحاول أن يناقش طرفى النزاع . ولكن كما سبق أن ذكرنا ليس لديه أى سلطة بالنسبة للداعى أو المدعى عليه .

وفى بعض الأحيان يوجد بعض الرجال الذين يفضل الأهل تسميتهم بالانبياء لهم بعض النفوذ السياسى . وهؤلاء الرجال يكونوا فى معظم الاحيان من الشامانيين أو المطببين والذين يعتقد انهم يملكون روحا سماويه قوية . وفى بعض الاوقات يتمكن هؤلاء الرجال من توحيد عدد من المجموعات إبان الحملات الحربية أكبر من ذلك العدد الذى يمكن تجميعه فى غيابهم . ومن أفضل مآثر هؤلاء النبياء ماقاموا به من مقاومة التغلغل العربى والاوربى لارضيهم فى القرن الماضى غير أن الاحتلال البريطانى لاراضيهم قد وضع نهاية لنشاط هؤلاء « الانبياء »

ويؤمن النمر بإن العلاقات السلمية لا بد أن تسود بين الاقارب الذى يجب مساندهم وإن درجة القرابه ترتبط ايضا بدرجة المسالمة . وبصفة عامة نجد النوير يتزوج من قبيلته ومن ثم فرابطة القرابه لا تتعدى حدود القبيلة . وإن كانت القرابة قد تمتد من ناحية أخرى إلى ماوراء القرى المحلية لأن قبول جماعات النوير فكرة تحريم الزواج من الاقارب وسعت نطاق مجموعات الزواج لديهم فلا يستطيع النوير أن يتزوج من ذرية أو عشيرته وبما أن العشيرة قد تكون كبيرة جدا لذا فقطاع عريض من السكان حرم عليه الزواج من بينهم . كذلك تحول قواعد الزواج الارتباط بأسرة الام وله بأى ذرية من عشيرتها . ولا يوجد تحريم للزواج المحلى غير أن القرية لكونها تضم مجموعات متقاربة لذا لابد للزوج للبحث

عن الزوجة خارج نطاق قريته . بمعنى أن الزواج المثالى هو الذى يحدث بين افراد تتزاور عائلتهم فى قرى تبعد عن بعضها .

وهدف الحياة النوير ذكوركانوا أم أناثا منذ نعومة اظافرهم هو الزواج والبيت والابناء . فبعد البلوغ تطلق الحريه كاملة للفتى والفتاة لممارسة الحب حيث يجد كل طرف رفيقه دون تدخل من الاسرتين غير أن الزواج غرض بعيد عن العلاقة العاطفية ، إذ أن اسرة الفتاة من الضرورى وأن توافق على اسرة العريس إذ لا بد وان يكون لديهم عدد كاف من قطعتين الماشية .

وقد يتم الزواج الحقيقى بعد دفع اسرة العريس عدد من رؤوس الماشية لأسرة العروس وفى العادة يتم الدفع على ثلاث فترات تصاحب كل منها طقوسا معينة ترتبط بالخطوبة Petrothal والزفاف Wedding واكتمال الزواج Consummation . فى وقت حفل الخطوبة بمنزل العروس تأخذ اسرة العريس يرافقها اصدقاء العريس عدد من رؤوس الماشية كهدية حيث يتمكن «افضل الرجال best man » (وهو المتحدث باسم اسرة العريس) الوصول مع اسرة العروس على اتفاق بشأن عدد رؤوس الماشية وتواريخ احتفالات الزواج وفى هذا الصدد يقام احتفال غنائى راقص ويذبح ثورا كوليمة . وبعد مضى عدة أسابيع وبعد مناقشات مستفيضة يحدد خلالها عدد رؤوس الاغنام التى تعطى لاقارب الفتاة الخاصين يعقد حفل الزواج مرة آخرى من منزل الفتاة ويحضره عدد كبير من افراد الاسرتين .

أما الزواج الحقيقى فيحدث عندما يعقد الاحتفال الثالث فى منزل العريس . وهذا الاحتفال هاما لأنه يتوج الرابطة النهائية بين اتحاد الأسرتين كما أن الزوج ليس له حقوق على زوجته حتى هذا الحفل بمعنى انه لايستطيع معاقبتها فى حالة

خروجها عن أوامرة كنداهابها مثلا إلى حفل راقص يدعى اليه أناس غيرمتزوجين وهناك لحظات هامة فى الاحتفال الثالث .أهمها أثناء الليل حين يحدث الاتصال الجنسى لأول مرة بين العروسين ، وحين تذبح الثور فى الصباح كنحر مقدس يأكل منه جميع أفراد العائلتين فيما عدا العروس التى يحرم عليها الأكل فى منزل حماتها . وفى هذه الحالة تدهن العروس بالزبد ويحلق شعرها كاعلان لتغير وضعها.

ولايعيش الزوجان سويا بمعنى الكلمة إلا بعد انجاب طفل . فتعطى الفتاة كوخا خاصا فى مقر أسرتها بينما يبقى الزوج بين أفراد اسرته ويقوم كل ليلة بزيارة زوجته كلما استطاع ذلك . ولكن بعد انجاب الطفل يقبل الزوج كعضو فى أسرة الفتاة حيث يقيم مع اسرتها إلى يفطم الطفل ثم يرحل بعد ذلك هو وزوجته ليعش فى قريته .

وقد يظل الزوج والزوجه والأقارب فى قلق شديد إلى حين ولادة الطفل وسبب ذلك لايعود إلى حبهم إلى الأطفال فحسب بل لان الزواج لايصبح مستقرا إلا بعد ميلاد الطفل . فمن الممكن أن ينفرط عقد الزواج بسبب العقم وفى هذه الحالة ترد رؤوس الماشيه التى أخذتها أسرة العروس إلى اسرة العريس ومعنى ذلك انه لايجوز التصرف فى رؤوس الماشيه طوال هذه الفترة .

وبعد فطام الطفل الأول يبنى الزوج كوخا لزوجته وطفله فى مقر والدة وأول واجبات الزوجه فى مستقرها الجديدهو تشيد « دروة Wind Screne » من الطين لتكون مكانا لارواح ذويها . لان ذلك يعنى كثيرا من التغير بالنسبة للزوجه إذ عليها من الآن وصاعد أن تذرع ذرعها وتحلب ماشيتها حيث يعطيها والد زوجها عدد من رؤوس الماشية لكى تبدأ حياتها المنزليه المستقلة .

ومع مرور الزمن وتتابع الحوادث نجد أن أحدا لايفقد مافع له من ثروة

إبان الزواج إذ تتقاسم المجموعة الماشيه التى تأخذها فى أى وقت بين الأقارب ومن ثم فعليهم جميعا المساهمة فى تجميع الماشيه المطلوبة لأى عريس ودفع الماشيه بهذه الصورة لايعنى مطلقا شراء العروس لها إذ أن الماشية كما تأتى إلى المحلة العمرانية تخرج منها . إذ أن ابرز ناحية لتحرك الماشيه من ناحية والمرأه من ناحية أخرى هو الاستقرار الوظيفى الذى وجد فى المجتمع إذمن أكثر الأمور صعوبةوتعقيدا هو انهاء الزواج وذلك لأن الماشيه الموزعه على نطاق واسع لابد من عودتها لذا تستخدم أسرة الزوجه كل نفوذها لكى تظل مع زوجها ولهذا السبب ولكى تتجنب كثير من الصعاب يأخذ الزواج وقتا طويلا ومراحل متعددة لأن النوير يرغبوا من التأكد من استقرار الزواج قبل أن يتورطوا كاملا فيه .

ولابد للرجل الشاب من أن يميز عن أقرانه بحكم القانون وإن كان بعدميلاد طفله الأول وفطامه يتغير وضعه حيث يقبل على انه أحد الأقارب أكثر من كونه مجرد خاطب Suitor فوالدى الفتاة يخاطبونه الان باسم مولودة كما ان العلاقات الإجتماعية أصبحت مبنية على استخدام مصطلحات القرابة . وحيث لايتجنب الرجل أو الصبى حماته لفترة طويله بعد ذلك فيمكنه محادثتها بحرية كما يمكنه زيارتها من أن لآخر ولايحرم على الزوج إلا شيئين أولها تناول الطعام فى منزل والدى عروسة وثانيها الظهور عادى أمامهم .

ويمارس بين النوير نظام « الليفيرات Levirate » التى تجبر الأخ على زواج زوجة أخيه فى حالة وفاته . فى العادة يضطلع الأخ الأصغر بمسئوليه هذا الزواج ورعاية زوجة أخيه وأبنائه . وفى هذه الحالة لاتقام أى احتفالات للزواج وتظل الأرملة محتفظة باسمها الأصلى كزوجه للأخ المتوفى .

وأحيانا يكون للرجل أكثر من زوجه وفى هذه الحالة لايكون للزوجة

الأولى أى وضع خاص إذ يعتقد النوير أن الزوجات لابد وان تعاملن جميعا بالتساوى . وقد يؤدى هذا الوضع إلى احتمال الاحتكاك بين الزوجات ويعرف النوير ذلك جيدا إلا ان أسباب تعدد الزوجات إلىجانب نظام الليفيرات ترجع إلى حين يموت الرجل دون ان ينجب ذكراً إذ لابد ان يستمر اسم الرجل فى ذريته الذكور وان الأرواح والاشباح سوف تكون غاضبه ـ كما يعتقد النوير إذا حدث ذلك . ولهذا يعمد اخيه الاصغر أو أحد المقربين اليه لزواج زوجة الرجلالمتوفىوهنا يعتقد أنشبح الرجل المتوفى هو الزوج الشرعى يأخذ الاطفال اسمه ويسمى هذا الزواج باسم زواج الاشباح « gost marriage » .

كذلك يوجد هناك نوعا منالزواج بين امرأتين اللتان يكون احد أزواجهن عاقر .حيث يحضر الاطفال إلى الزوجين بمساعدة رجل قريب أوصديقويمارس الاب فى هذه الحالة مسئولية نحو الاسرة كربها وكوالد الاطفال. وليس هناك أى دليل على ان هذا الوضع نتيجة لعلاقة جنسية شاذه بين امرأتين إذ حقيقة الامر ان شخص ثالث هو المسئول عن الطفل .

ويعيش الاطفال مع امهاتهم فى اكواخ صغيرة تحيط بحظيرة الماشية، وحين يبلغ الصبى سبعةأو ثمانية أعوام يأخذ الطفلمن أمهليذهب لقيام ويأكلويقضى وقت فراغه فى الحظيرة التى اقيمت لحمـــاية الماشيه فى الوقت المطير ولتكون بنفس الدور الذى تقـوم به دروة الرياح فى فصل الجفاف أى لتكون منتدى ومكان لتجمع الرجال وهكذا ترتبط الاكواخ بالحدائق بينما تتصل الحظائر بالماشية ومن ثم فالتقسيم الإقتصادى لعمل المرأة فى الزراعة والرجل مع الماشية كل فى قطاعه المنفصل ، وهذا لايعنى أن مركز المرأة فى مجتمع النوير أقل من الرجل إذ تقـــوم بجزء من النشاط فىالحياة اليوميه للمجتمع فتختلط بحرية بين الرجال وتساهم برأيها بحرية بين الآراء .

ولاتقتصر خبرات النوير على عائلته فحسب، فكل السكان الذين يتجاورن مسكنه يساهموا فى تنشأة الطفل كما أن أى امرأة مرضع فى أى مكان فى القرية يمكن ارضاعه. ويقع على الام وأقاربها الاناث ولا سيما كبار السن منهم مسئولية توجية الاطفال. أما أباء النوير فيدللون أطفالهم ويقضون اوقات طويلة معهم فى اللعب ولكن لايعاقبوهم ابدا.

والطفل الاول ولاسيا إذا كان صبيا يعامل معاملة خاصة، فكما سبق ان ذكرنا يولد الطفل فى منزل أسرة والدته وانه يأخذ إلى مستقر ابيه بعد فطامة وإذا ما كانت جدته لامه على قيد الحياة فربما يترك تحت رعايتها ولا يذهب إلى قريه ابيه طوال فترة تربية أن إذ لم يكن له جده فأنه يبقى مع ابوية حتى السادسة أو السابعة من عمرة ثم يذهب بعد ذلك إلى منزل عائلة أمه ليعيش مع اخواله حتى السن الذى يقوم به باعمال الرجال ليعود ثانية إلى منزل أبيه.

وأهم حدث فى حياة الصبى النويرى وذلك قبل زواجه هو وضعه فى نظام الاعمار. هذا الحدث كما هو الحال فى معظم الجماعات البدائية يتضمن مجموعة من الشعائر المعقدة والتعذيب المضنى الذى ينقله من مرحلة الطفولة إلى المرحلة التى يتطلع فيها بمسئوليات الرجال. فيوضع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٤ و ١٦ سنة سويا والموجودين فى القرية فى هذه الشعائر حيث يوجهوا توجها جماعيا.

وابرز مظاهر التعذيب التى تصحب وصول مرحلة الرجوله هو احداث ستة قطوع فى الوجه تمتد من الاذن إلى الاذن الاخرى، وبعد هذه العملية يوضع الصبية فى معزل خاص تمارس فيه مختلف المحرمات. ولايحضر هذه الطقوس والشعائر والاحتفالات سوى الاباء ورفاقهم من نفس العمر وافتتاح واختتام

فترة التنصيب تذاع على جميع القبيلة وتبدأ باعلان خاص من متخصص يطلق عليه رجل القطيع Man the of Cattle

ويحاول الصبيه الذين التحقوا بفترة التنصيب أن يشتركوا فى أى غارة وذلك من أجل إبراز رجولتهم وشجاعتهم غير أن نظام الأعمار ليس فى الواقع نظام حربى كما هو الحال بين بعض المجتمعات الرعوية الأفريقية الأخرى أو نظام متصل بأنشطة معينة . حتى شعائر التنصيب ذاتهـــا لا تتضمن أى تدريبات أو تعليمات خلقية إذ لا معنى لهـا سوى تقسيم المجتمع إلى مجموعات تنظم بينها العلاقات السلوكية بين الرجال بعضهم وبعض وذلك فى إطـــار مصطلحات التقارب العمرى . ولا يمثل عمر التنصيب للشاب أهمية بالنسبة للأعمال المنزلية المحلية إذ يعطى الأب أو الخال الولد فى هذه الفترة أول رمح يحوله إلى وضع محارب كما أول ثور . وفى هـذا الوقت يأخذ إسم ثوره أى ينـادى بالإسم الذى ينادى به الثور الخاص به . ومنذ تلك اللحظة وإلى أن يتزوج يصبح رجل بمعنى الكلمة إذ يحاول جهد استطـاعته ليبرهن على مقدرته على أن يكون رب أسرة وعلى مقدرته على الرقص وعلى الحب وذلك من أجل طلب الزوجة .

ويحرص النوير على إظهـار الخضوع الحقيقى لكبـار السن ولكن فيما عدا هذا النوع من الطبقة الإجتماعية فلا يوجد أى نظام للسيادة أو الخضوع فالمجتمع يتسم كما سبق أن ذكرنا بالتساوى . والنويـر كرماء فيما بينهم ولكن يقابل أى طلب على صورة أمر بغضب شديد . ولا يثير وجود الغريب بينهم أى خوف أو حب استطلاع إذ يعتبر النوير انهم أسياد الأرض .

ولم يتمكن النوير من تطوير أى نوع خاص من الفنون فيما عدا الغناء الشعرى وهم يشاركون فى ذلك لأسباب متعددة غيرهم من الشعوب الرعوية فى

العالم ، فحين يشعر الطفل النوير بالسعادة يغنى ، ويفعل نفس الشيء أيضاً حينما يرعى الماشية أو يخطب فتاة وبعض الأغانى تقليدية غير أن بعضها ينظمها ويرتلها المغنى فى الحال . وبعض الأغانى تكون جماعية وبعضهـا فردية إلا أن محورها جميعا يدور حول رعى الماشية .

ويوجد لدى النوير خوف شديد من أشباح الموتى . فبعـد الموت بوقت قصير تدفن الجثة فى قبور عمقها حوالى أربعة أقدام بعد أن تلف بجلود الأبقار ولا يوضع معها أى ممتلكات شخصية أخرى . ويبـدأ الأقارب وأصدقاء العمر فى ترك شعورهم تنمو ويخلعون الزينة والحـلى من على أجسامهم . وأهم احتفال يحدث فى نهاية فترة الحزن وذلك بعد مرور ستة شهور على وفاة الرجل أو ثلاثة شهور على وفاة المرأة ، حيث تذبح الثيران لأقامة وليمة ويرش اللبن فى الشعائر . وبعد الوليمة يحلق المعزيون والأقارب رؤوسهم ويرتدون حليهم المعتادة . والغرض الأساسى من الحفل هو مباركه الروح الصاعدة وذالك لكى لا تقوم بأى محاولة لأخذ زوجة المتوفى أو زوج المتوفية والأولاد والقطيع .

وإذا ما قضى المرء نحبه فجأة بدون مرض سابق فيعتقد النوير أن إله السماء Sky God قد أخذ الروح ورفعهـا إلى السماء . وفى هذه الحالة لا تحدد فترة للحزن إذ أن الروح لن تعود إلى الأرض فى هذه الفترة ومن ثم تنحر الماشيه فى الحال بعد دفن الجثه . ولا يظهر النوير تأثر شديد أو حزن على الميت وذلك لأنه رغبة إله السماء إذ ما اختار شخص وأن إبداء أى عاطفة يعتبر اعتراض على فعل الإله .

ويوجد عديد من إله السماء أو الأرواح والتى أقوها ذلك المعروف بإسم الدنج Dong والذى يرتبط بالمرض . وهناك أرواح أخرى ينظر إليها على أنها

إله الحرب والصيد والرعد والبرق وهلم جرا . كذلك توجد أرواح للأرض ينتمى عديد منها إلى أنواع مختلفة من الطيور والحيوانات والتى تؤدى وظيفة الطواطم للانساب وتعتبر الطيور طواطم مقدسة على وجه الخصوص لدى النوير وهذا يوضح السبب وراء عدم تناول النوير فى طعامهم لحوم وبيض الطيور .

ويوجد فى مجتمع النوير بعض الرجال الذين يدعون قوة خاصة فى التطبيب بسبب سيطرتهم على أحد الأرواح الطوطمية . ويعرف فى هذا الصدد عدد من المطببين المتخصصين فهنـــاك المتخصص فى الكهنوت والعرافة والآخر فى شفاء صداع الرأس أو الإمساك . ويرتبط الكهنوت بقراءة الأغانى بينما تتضمن عملية الشفاء الطرق العالمية فى التدليك واستخراج أو جذب الأشياء الغريبة من الجزء المصاب فى المريض وقد اكتسب بعض الشامانية تأثير قوى على النوير فأطلقوا عليهم إسم الأنبياء وذلك لإعتقادهم أنهم يمتلكون أرواح أقوى تساعدهم أكثر من الكهنة العاديين . ويمارس بعض هؤلاء وظيفة صانع المطر والمسئول عن الاحتفالات التى تقام ويضحوا فيها بالماشية من أجل روح الرعد . وصانع المطر وظيفة هامة بين جماعات الدنكا والشلوك المجاورة لجمـــاعات النوير غير أن هذه الوظيفة أقل أهمية لدى النوير .

ويقيم النوير فى بعض الأحيان أهرامات مختلفة الأحجام وذلك تكريما لروح إله معين ، وقد يصل ارتفاع هذه الأهرامات إلى ٥٠ قدما ومحيطها إلى ٣٠٠ قدم . وتبنى الأهرام من طوب اللبن والرماد ويحاط بأنيـاب الفيلة . وربما وصلت إليهم فكرة إقامة الأهرام عن طريق مصر الفرعونية ولكن أهرامات النوير على النقيض من الاهرامات المصرية لم تستخدم كمقابر ولم يجند فى بنائها العمال .

ويسود بين النوير فكرة « عين الحسود evil eye » أو الشخص الذى لديه

قوة خارقة تسبب الخسائر لأى شخص ينظر إليه ويرتبط بذلك أيضاً عمل السحر ولاسيما هؤلاء الذين يمارسون بعض شعائرهم على جثة الميت الحديث وذلك من أجل السيطرة على أرواح الاقارب الذين على قيد الحياة . وكما هو سائد فى المجتمعات الإنسانية فإن الأشخاص غير المحببين أو الذين يقومون بأعمال تثير الخوف فى النفوس وترتبط بالسحر يذكر النوير أنهم كانوا يقتلوا فيما مضى . ولدى النوير عدد من المعتقدات والأساطير الخاصة بنشأتهم كبشر وبداية عاداتهم. فهناك اتفاق عام بينهم على أنهم انحدروا من السماء ونزلوا إلى شجرة كبيرة جداً ومنها إلى الأرض ليصبحوا بشراً . والأجداد الأوائل كانوا أخوة غير أن « البطل الحضارى Culture hero » المعروف باسم « جا Gaa » قسمهم إلى قسمين وأمرهم أن يتزوجوا فيما بينهم وحرم عليهم الزواج من نفس المجموعة . ومع مرور الزمن وازدياد الأعداد تفرع النسين إلى عدة فروع لتكون المجموعات المتقاربة عشائر .

والتوقيت الزمنى لدى النوير محدد بمدى قصير جداً بمعنى أنهم مثل معظم القبائل البدائية لا يعرفون الوقت Timeless people. فينظر إلى السنة على كونها مجرد مصطلحات بسلسلة من الاحداث نشأت من فصلين متميزين . وقد تستخدم الاقمار والتى تحدد بالدورة القمرية شهريا فى بعض الاحيان لمعرفة الوقت وعدد الايام وأى جزء من اليوم . ولكن يعرف الوقت أساسا لدى النوير بالإشارة إلى الانشطة فليس لدى النوير مصطلح معنى كلمة وقت كما هو معروف فى العالم المتحضر حيث لا يوجد لديهم مفهوم مجرد لهذه الكلمة بمعنى الإضاعة أو المحرر أو الإختصار . فالانشطة لا توجه عبر الزمن إذ أن التحكم فى أداة الانشطة يعود للانشطة ذاتها التى تمارس على كونها أنشطة للترفية أو للحياة المعيشية .

أما فيما يختص بتسجيل الاحـــداث الماضية فيبدو أن النوير لم يبذلوا أى محاولة لحساب السنوات أو لتذكر أى فعل حدث قبل أو بعد وقت حدوث الحدث ذاته وربما كان نظام السن age-set هو العلامة الوحيـــدة للتذكرة فيقال أن الشيء قد حدث قبل بداية مرحلة عمريه معينة أو قد يقـول الشخص أن هذا الحدث قد وقع قبل وصوله إلى مرحلة التنصيب بثلاثة أنظمة قبله . ولهذا فإن تاريخ النوير قد يمتد لاكثر من قرن من الزمان . فتذكر الاحداث مثل حدوث المجاعات أو الحروب فى الازمنة القديمة كما تظهر فى تقاليدهم تبدو جميعا فى نظرهم وأنها حـــدث قريب . وربما خير دليل على ضحالة النظرة الزمنية لدى النوير اعتقادهم بأن الشجرة التى انحدوا منها ما زالت قائمة حتى الآن .

ولم يتمخض اتصال النوير بالعالم الخارجى عن تغير أساسى فى حضارتهم وربما التغير الجذرى الذى طرأ على حياتهم كان من جراء القضاء على عشر قطعان الماشية فى خلال القرن الحالى نتيجة لطـاعون الماشية الذى انتشر بين الحيوانات بما فيها الاغنام والماعز ففى الماضى كانت ثروة العرس تتراوح مابين ٤٠و٦٠ رأسا من الماشية أما اليوم فيقدم للعروس نصف هذا العدد أو أقل . وقد دفع نقص الماشية النوير إلى زراعة الذرة بدرجة أوسع من زراعة من قبل وذلك لكى يعوضوا النقص والخساره فى مورد معيشتهم. وربما أدى التوسع فى زراعة هذا المحصول إلى زياده ارتباط النوير بقراهم أكثر والإقلال من ترحالهم عن ذى قبل.

وتضاءل قطعان الماشية لدى النوير ربما يفسر على الاقل سلوكهم العدائى فقد تعرض رعاة الدنكا لغارات عديده شنها جيرانهم النوير عليهم بينما قبائل أخرى مثل قبائل الشلوك لم تتعرض لغزوهم وحجة النوير فى ذلك هى أنهم لا يغيرون على قبائل لا تمتلك قطعانا وان الشلوك لو كان لديهم ماشية لشنوا الغارات عليهم للاستيلاء على ما يملكون .

ومما هو جدير بالذكر أن العرب تجار الرقيق والعاج الذين أخضعوا فيما مضى معظم القبائل السودانية كان تأثيرهم ضعيفا على النـــوير . فالحكومة المصرية وكذلك حكومة المهدى التى حاولت ان تحكم السودان فى الفترة مابين عام ١٨٢١ ونهاية القرن الماضى لم تتمكن من بسط سيطرتها على النوير وكذلك كان الحال بالنسبه لأى سلطه إلى إن تمكن الحكم المصرى السودانى من تأسيس نظام ادارى فى ارض النوير فى عام ١٩٢٨ وكان هدف هذا النظام الادارى عدم التدخل فى حياة النوير اليومية ومحاولة الاقلال من غزواتهم على جيرانهم .

ونظرا لان منطقة النوير فقيرة فى مواردها فلم تكن مطمعا للرجل الابيض ولذا لم يطرد النوير من أراضيهم كذلك لم يبدى النوير من ناحية أخرى أى ميلا للتطور التكنولوجى والحضارى الحديث إذ ظلوا معتمدين على قطعان ماشيتهم مكتفيين بطريقة حياتهم البسيطة التى تسمح له بالاكتفاء الذاتى وعـــدم الاتصال بالاوربى .

والخلاصة أن جماعات النوير تكون مع الدنكا والشلوك المجموعة الشمالية من الجماعات النيلية التى تقطن المنطقة الممتدة من جنوب الخرطوم حول النيل الابيض وفى مديرية بحر الغزال والمديرية الاستوائية حتى بحيرة كيوجا . ويسكن النوير منطقة المستنقعات من الحوض الادنى لبحر الجبل والزراف حيث تمتدمنطقتهم إلى بحيرة نو وينتشرون شرقا حتى نهر السوباط وتقدر مساحة اراضيهم بحوالى ٢٦ ألف ميل٢ . وينقسم النوير إلى مجموعتين احدهما تعيش غربى بحر الجبل والأخرى فى شرقه .

ويطلق على المجموعة الاخيرة اسم نوير الاحراش Bush Nuer ويعتمد

النوير فى حياتهم على المطار فى فصل سقوطه ولكنهم يضطرون لحفــــر الآبار فى فصل الجفاف وخاصة فى الاودية النهرية الصغيرة الجافة ويزرعون الذرة الرفيعة والشاميه الى جانب رعى الماشيه وصيد الاسماك والحيوانات وفرس النهر

ويمتاز النوير بالرأس الطويله والقامة الطويلة جدا إذ يصل طول القامه بينهم الى ١٨٥ سم وطول القامه مصحوب دائما بطول الساقين وضمورهما بصفه خاصه ويظهرون دائما فى وقفتهم التقليدية على رجل واحدة مرتكزين على حربة

تاهيتي بولينزيا

The Tahitians of Polynesia

تاهيتى بولينزيا

تشير السينما دائما وقصص البحار الجنوبية South seas الرومانية إلى مجموعة جزر المحيط الهادى المعروفة باسم بولينزيا والتى تنتشر فوق مساحة هائلة من مياه المحيط فى منطقة على هيئة مثلث فى وسط جزيرة تاهيتى وفى قمته جزر هاواى وفى وسط الضلع الغربى جزيرتى ساموا وتونجا بينما فى ركنه الغربى جزيرة نيوزيلندا وفى الركن الشرقى جزيرة استر . ويبلغ طول كل ضلع من هذا المثلث حوالى ٤٠٠٠ ميل فالمسافة كبيرة بين الجـــزر والانتقال من واحدة إلى أخرى يتطلب ملاحا ماهرا، الأمر الذى كان سببا فى أن تعمير هـذه الجزر جاء فى فترة متأخرة نسبيا .

وقد ظلت جزر بولينزيا منذ الفترة التى وطئت فيها اقدام الملاحين المكتشفين أرض تلك البـلاد فى القرن السابع والثامن عشر الميلادى وحتى الوقت الحاضر جزر الجمال والمناخ الأمثل وموطن لشعوب مبتسمة . وجزيرة تاهيتى أحـدى جزر سوسيتى التى تقع فى وسط مجموعـة الجزر البولينزية كانت من أجمل جزر المحيط الهادى كما كان سكانها على درجة كبيرة من الكرم علاوة على أن نسائها قد سحرن بجمالهن بحارة السفينة بونتى Bounty الشهيرة والتى كان يقودها كابتن Bligh والذين أعلنوا الثورة على الباخرة رغبة فى البقاء وعـــدم الاستمرار فى الرحلة . كذلك تشتهر تاهيتى بأنها ملجأ الرسام الفرنسى الشهير بول جاوجين Poul Gaugnin وعدد أخر من اللاجئين الذى وفدوا فى أعقابه .

وتنتشر جزر بولينزيا كما سبق الذكر فوق مساحة ضخمة من المحيط الهادى فالمسافة بين جزر هاواى التى تقع فى قمة المثلث إلى نيوزيلند فى الجنوب تصل إلى حوالى ٥٠٠٠ ميل ، كما أن أكبر مسافة بين الشرق والغرب تصل إلى ٣٠٠٠ ميل

وتتمثل مجموعات الجزر الكبرى فى جزر هاواى ، واليسى Ellice وسالمون وتونجا وكوك Cook وسوسيتى Society وتواموتان Tuamotan وماركيز ونيوزيلندا .

وأهم الجزر المنعزلة جزيرتى ايستر Easter ونيى Niue ذلك بالاضافة إلى وجود عدد كبير من الجزر الصغيرة . وفيما عدا جزيرة نيوزيلندا التى تشغل مساحة أكبر من مساحة الجزر الأخرى والتى تقع فى منطقة مناخية أكثر اعتدالا لا تختلف مجموعات الجزر الكبرى الاخرى فى ظروفها الجغرافية كثيراً عن بعضها وإن كان يوجد اختلافات واضحة داخل بعض المجموعات .

والاختلاف الكبير بين الجزر هو ذلك الاختلاف بين الجـــزر الكبيرة المرتفعة « high Islands » ذات الاصـــل البركانى والجـــزر المنخفضة Low islands والتى تتكون من شعاب مرجانية صغيرة . وقد تشمل عديد من مجموعات الجزر الكبرى النوعين معا . على أى حال ففى الجزر المرتفعة كان يقطن معظم السكان البولينزين أصحاب الحضارة البولينزية الكلاسيكية التى انقرضت . أما الجزر المنخفضة فقد عمرت من جماعات قدمت من الجزر المرتفعة غير أنه لكون هذه الجزر صغيرة ومواردها أقل وأكثر تحديدا لذا فقد فقد سكانها عديدا من المظاهر المادية لحضارة الجزر المرتفعة .

وتتميز الجزر المرتفعة بانها وعرة تغطيها بقايا المخاريط البركانية ولا يوجد بها إلا النذر اليسير من الأراضى المستوية فى داخلها غير أنه فى بعض الجزر مثل جزيرة تاهيتى يوجد سهول ساحلية منبسطة ونهر خليجى عريض . والأراضى الصالحة للزراعة غنية جـــدا اذ أن التربة هى حصيلة العوامل الجوية فى التربة البركانية كما انهـــا مغطاة بنبات مدارية كثيفة والامطار غزيرة على الجـــزر المرتفعة كما أنهـا أكثر من تلك التى تسقط على الجزر

المرجانية وذلك لأن القمم الداخلية مرتفعة فى العادة وتستطيع أن تدفع الرياح المحملة بالأمطار إلى أعلى إلى العروض الباردة حيث تتسبب سقوط أمطار على اليابس أكثر من على البحر . ويستطيع المسافرون ان يتبينوا الجزر المرتفعة من على بعد برؤيتهم السحب الكثيفة التى توجد فوقها . ومناخ معظم الجزر البولينزيه مدارى غير أن درجة الحـــرارة ليست مرتفعة على وجه الخصوص إذ يصل متوسطها فى جزيرة تاهيتى إلى ٧٧°ف كما يتراوح المـــدى السنوى بين ٦٩° و ٨٤°ف .

ويوصف سكان بولينزيا دائما على انهم محصلة اختلاط ثلاث مجموعات جنسية وهى القوقازية والمغولية والزنجية ، ومهما كان الخليط فسكان بولينزيا متجانسين فى صفاتهم الجنسية . وبصفة عامة فلونهم بنى فاتح ، طوال القامة بدون لحيه ، وشعر بنى مموج وعيون بنية وملامح الوجه توحى بارتباطهم بسلالة البحـــر المتوسط . ولغة البولينزين متجانسة أيضا على امتداد الجزر المتناثرة فى المثلث بحيث نجد اتفاق بين كل من التجانس الجنسى واللغوى عبر المنطقة . وقد دفع هذا الارتباط اللغوى والجنسى الذى يسود فى بولينزيا بعض الباحثين إلى الاعتقاد بان انتشارهم الجغرافى والواسع فوق عـــدد كبير من الجزر يرجع إلى فتره حديثة نسبيا .

وتكون فتره ما قبل التاريخ للبولينزين مشكلة مثيره إذ أن هناك كثيرا من الفروض التى تشير إلى أصولهم والتى من بينها أن البولينزين انحدروا من قاره غير موجوده حاليا . وقـــد اقترح ثور هيدوهال Thor heyerdahl أن البولينزين وفدوا من العالم الجديد حيث يعتمد فى ذلك على رحلة طواف Raft voyage من بيرو إلى جزر كواموتو وهى اشاره إلى امكانية اتصال

الهنود الأمريكين بتلك الجزر . غير أن هـــذا الفرض لم يجد استجابة لدى الانثروبولوجين الطبيعين الذين درسوا البولينزين حيث لم يوجد فى التركيب الجنسى للسكان أى اصول تعود إلى العالم الجديد أو أى اتصال حضارى هام جاء من هذا الاتجاه .

وهناك ادلة عديده ومختلفة الأنواع تربط البولينزين وحضارتهم بالقاره الاسيويه ولا سيما الجزء الجنوبى الشرقى منها . فالخليط الجنسى للبولينزين يمكن ارجاعه إلى وجود مجموعات سلالية مختلفة فى جنوب شرق آسيا . وأكثر من ذلك فإن الارتباط اللغوى بين البولينزين والملايوويون أمر واضح إذ ينتمى المجموعتان إلى العائلة اللغوية الملاووية البولينزية . وخلاصة كل هذه الادلة توضح أن الجزء الاعظم من حضارة البولينزين لهـا أصولها ومثيلها فى أندونيسيا . ويعتقد بعض الباحثين أنه حتى لو أمكن تتبع موجات هجرات البولينزين وطرقها إلا أن ذلك لابـــد أن يعتمد على علم الاجناس والاساطير الخاصة بالبولينزين أنفسهم ولكن بالتأكيـــد يتفق معظم الانثروبولجين الان على النتائج التالية :

أن استقرار البولينزين فى جزر بولينزيا قد تم فى فتره حديثة لا تزيد عن ٢٠٠٠ سنة مضت وربما أقل من ذلك ، وان البولينزين قد قدموا من بعض أجزاء اندونيسيا ، ذلك بالاضافة إلى أن جزر سوسيتى كانت من أوائل المناطق التى عمرت فى وسط وشرق بولينزيا حيث برزت هناك صفات أنماط الحضاره البولينزية وتفاعلت من الاسس الحضاريه الاندونيسية . كذلك انتشر من وسط بولينزيا السكان إلى الخارج من جزيره الى أخرى إلى أن عمروا النقاط البعيدة فى هاواى وجزر ماركيز واستر ونيوزيلندا .

ومعظم الجزر التى توجد ضمن مجموعة جزر سوسيتى فى وسط بولينزيا هى جزر مرتفعة على الرغم من أنه يوجد بعض الجزيرات المرجانية الصغيرة وتبلغ مساحة الأرض الكلية حوالى ٦٠٠ ميل٢ ، وجزيرة تاهيتى التى تعتبر أكبر الجزر يبلغ طولها حوالى ٣٥ ميلا وعرضها فى أكثر جهاتها اتساعا حوالى ١٧٫٥ ميلا . ويصل ارتفاع قمتيها البركانيتين الى حوالى ٧٠٠ قدم ، والجزيرة مغطاه بحشائش كثيفة وأشجار ، ومعظم خط الساحل محمى بشعاب مرجانية داخلية تغطى لاجونا هادئا جميلا . ويتركز معظم السكان فى المناطق الساحلية المستوية وكذلك على بعد مسافات قصيرة من مصبات الاودية النهرية . وقد بلغ عـــدد سكان جزر تاهيتى فى وقت اكتشاف الاوربيين لها حوالى ١٠٠ ألف نسمة .

أما عن الحياه النباتية والحيوانية فى كل الجزر البولينزية فيما عدا نيوزيلندا فهى ضئيلة فى أنواعها واستغلالها حيث أن الحضارة الاصلية له تستطيع أن تطور بعيداً . فلا يوجد نباتات برية صالحه للأكل وباستثناء حيوان البنده Pandanus وبعض الطيور القليله لا يوجد حيوانات للصيد . ويعتبر البحر هـــو المصدر الطبيعى الغنى للطعام . على الرغم من أن الأطعمة الآساسية للبولينزين تجلب لهم من أندونيسيا كجوز الهند والبطاطا واليام والتارو Taro والموز وقصب السكر ذلك إلى جانب حيوانيين مستأنسيين وهما الخنزير والدواجن .

وفى كل بقاع بولينزليا فيما عـــدا نيوزيلندا يعتبر طعام البحر هو أكثر الموارد الطبيعه استغلالا . فطرق صيد الاسماك متطورة وعلى درجة كبيرة من التنوع فهنـاك أشكال متعددة ومختلفة من الشباك والسنانير والفخوخ الى جانب سموم الاسماك وانواع أخرى من الخطاف .

والبولينزيون رجالا كانوا أو نساءاً مهرة جدا فى السباحة فتغطس النساء

لصيد الكابوريا والاسماك الصدفية والاسماك بالاخطبوط عن طريق لفه حول عصى لكى تتمكن من سحبه خارج الماء . أما الرجال والصبية فيقضون وقتا طويلا فى الغوص الى أعماق بعيدة للحصول على قواقع اللؤلؤ واللحوم التى تستخدم كطعام والاصداف التى تصنع منها أدوات عديدة وحلى .

ويعتبر نخيل جوز الهند من أهم النباتات المستأنسه فلحم جوز الهند الناضج غذاء مفيد ذلك بالاضافه إلى زيته الذى يستخدمه الاهالي فى طهى الطعام وفى حماية جلدهم من حرارة الشمش ومياه البحر . كما أن سائل أو لبن جوز الهند الصغيرة يعد مشروبا منعشا ولذيذاً . وتستخدم أوراق النخيل كقش والنسيج للدوبار وصناعة الحصر والسلال .

وينمو نخيل جوز الهند بصورة جيدة حتى فى مناطق التربات الفقيرة ولا يحتاج لعناية كبيرة فى خلال السنوات القليلة الاولى لنموه أى قبل بناء اسوار حوله لحمايته من الخنازير .

والى جانب جوز الهند تعتبر ثمره الخبز Bread fruit أهم غذاء فردى فى تاهيتى إذ تبدأ هذه الشجره فى حمل ثمارها الكبيره الدائرية فى عامها الخامس وقد تستمر تعطى محصولها لمده تزيد على أربعين أو خمسين عاما دون حاجة لعناية كبيره . وثمار هذه الشجره وفيره ومغذية ولكن ربما ترجع قيمتها الكبيره الى كونها تخزن وذلك على النقيض من المواد الغذائية الأخرى لدى البولينزين . وفى الواقع يمكن لثمره الخبز تحت النظام الذى يتبعه البولينزين فى التخزين أن تحافظ على طبيعتها حيث يعمد البولينزين إلى حفظ الثمار الكبيره ذات النكهه الجيده . ففى قمة موسم نضج المحصول تشرح أكوام كبيره من الثمار أو تخبز فى أفران حجرية كبيره وبعد ذلك توضع فى حفر كبيره مبطنه باوراق الاشجار ثم تغطى

وشجرة ثمرة الخبز تمد الاهالى باخشاب تصلح لصناعة المراكب والمنازل .

والناهيتيون فلاحون مهره يستغلون الأراضى الخصبة القليلة الصالحة للزراعة أقصى استغلال عن طريق زراعتها كحدائق بعد تحويل جوانب التـلال إلى مدرجات ، وحفر القنوات اللازمة للرى والزراعة وتخصيب التربة بالطرق المختلفة المرتبطة بزيادة نسبة العناصر الغذائية بهـا . وترتبط النباتات المزروعة بزراعة المحاصيل الجذرية كالتارو واليام والبطاطس ذلك بالاضافة إلى الموز وأذان الجدى Plantain وقصب السكر والقـرع . وتعتبر العصى المعقوفه أهم الادوات المستخدمة فى الزراعة .

وأهم مصدر بورتينى إلى جانب طعـام البحـر البورك والخنازير التى تربى بعناية وقد تأكل الدواجن ولكن لا يستخدم بيضهـا كذلك تربى الكلاب كحيوانات أليفه ولكن تستخدم أيضا كطعام .

وتزرع أنواعا عدة من أشجار الفلفل على طول المجارى المائية وذلك مـن أجل جذورها التى تستخدم فى صناعة الكافا Kava وهى مشروب مسكر لهـا مذاق المياه بالصابون . وتمضغ الفتيات الصغيرات الجذور ثم توضع بعد ذلك فى أوعية كبيرة يضاف اليها المياه ثم يصفى الخليط بعد ذلك . ليعطى العصير مـادة قلوية يستمد منها المشروب تأثيره .

ومن الأشجار النافعة الأخرى الموجودة فى تاهيتى شجرة أوراق التوت التى تزرع من أجل لحائها الداخلى الذى يستخدم فى صناعة ملابس اللحاء الشهيرة باسم تابا Tapa حيث توضع قطع مختلطة من اللحاء مع بعضها وتضرب سوياً بمضرب لتشكل مادة تشبه الورق الخفيف ولكنها قويه جدا على الرغم من عـدم مقاومتها للماء . ويقوم كل البولزين بتزينها عن طريق طلائها أو صبغها. ولايوجد

فى تاهيتى أى خيوط يصلح لعمل المنسوجات غير أن الحصير يصنع من وبر البندة الخشن ومن خيوط أو نسيج جوز الهند. كذلك تصنع بعض معاطف الاحتفالات من الريش .

والتكنولوجيا فى جذر تاهيتى معقدة على الرغم من ان الموارد محدودة ولا يوجد بها أى معادن ومن ثم فجميع الأدوات تصنع من الأصداف والأحجار أو الخشب حيث لا يوجد أيضا صلصال لصناعة الفخار .

وتوجد أنواع متخصصة عديدة من الأدوات الخشبية . فتوجد الفؤوس ذات المقابض على أنواع وأحجام متعددة ، كما أن مخراز النفخ يعد من مآثر البولينيزين أذ يتكون من اسطوانه مدببة مستقيمة مع نقطة غرز من الحجر أو العظام ، ومع تشغيل الاسطوانة خلال لوحة افقية من الخشب الثقيل أو الحجارة التى تمثل عجلة متحركة وفى أعلى الاسطوانة تربط بالدبارة عن طريق اللف حولها وشبكها بأحد أطراف عمود خشبى مقيد . وعند جذب العمود الخشبى إلى أسفل تدفع حبال الدوبار العمود الاسطوانى للعمل ومن ثم العجلة المتحركه على دوران العمود

أما القوارب والكانو فأفضل مايصنه النجارون هناك حيث تحضر الكتله الخشبيه ويصنع منها كانو مزود بشراع ومجداف ويستخدم فى الرحلات المحلية وقد تصنع مراكب أكبر عن طريق وضع سطح فوق كانونيين أو مـــركبين صغيرين . ويتخصص فى صناعة الكانو طبقة خاصة من العمال الذين يرتلون كثيرا الصلوات والادعية أثناء عملهم . وتتمتع هذه الطبقة بمركز مرموق حيث ينطون تحت نقابة تلحق بالكنيسة .

ولا يوجد لدى البولينزين أدوات ملاحية ميكانيكية إنما اعتمادهم الوحيد يتوقف على معرفتهم للفلك والجغرافيا . فهم يعرفون كل الإجرام ومواضع

النجـوم ومـن ثم توصلوا إلى نتيجة ان الارض كـروية وذلك قبل وصول الاوربيين اليهم .

وتشييد المنازل يشبه بناء القوارب يعتبر مهنة خاصة فى جزر سوسيتى فمنازل القادة والرؤساء يبنيهاعمال محترفين لذا قد تبدو كبيرة ومزينة. ويبلغ طول المنزل فى تاهيتى حوالى ٣٨٧ قدما . ومعظم سكان تاهيتى يبنون منازلهم التى تتسم بأنها صغيرة ومربعة وغير مميزة نسبيا . ويبنى المنزل التقليدى فوق اعمـدة ركنية يربط بينها عوارض خشبية وتسقف. ويصنع جوانبها وحدائقها من القش المختلط بوبر البنده واوراق جوز الهند أما الابواب فتغلق بواسطة بـوص البامبو . وقد تستخدم حصير جوز الهند او اقمشة التابا فى تبطين منزل الرئيس من الداخل وقد يمهد حول المنزل مساحة من الإرض تبعد عن المنزل بحوالى عدة ياردات وقد تغطى بالحصى او الشعاب المرجانية .

وأثاث المنزل ضئيل وهزيـل وذلك لإن معظم الحياة المنزلية مثل الطهى تأخذ مكانها خارج المنزل أو فى مكان الطهى . وفى العادة يجلس رب الأسرة على كرسى غير أن السكان يجلسون بصفة عامة القرفصاء على الارض . أما الملابس فتعلق على الاشجار فى حـين يفرش الحصير فى المساء ليحل محـل الأسرة كما أن الوسائد عبارة عن كتلة خشبية مقعرة . وعلى الرغم من عدم الراحة كما يبدو فى النظام إلا أن البولينزين يشتهروا بنومهم العميق فقـد لاحــظ بعض رجال الارساليات أن هناك رجال ينامون مايقرب من ١٥ و١٦ ساعه دون استيقاظ.

ويتم الطهى فى العادة فى فرن ترابى مبطن وهى عبارة عن حفرة مبطنه مـن الحجارة تحرق فيها النيران قبل أن يوضع بها الطعام ويغطى بالاوراق وبالتراب والطريقة الاخرى الهامة فى الطهى هى ماتعرف باسم غلى الحجر Stone poiling

حيث تلق الاحجار المحميه فى سلال غير قابلة لنفاذ المياة أو أوعية حشبية لغلى المياه . وهذه الطريقة شائعة فى جميع أنحاء العالم حيث لايوجد فخار أوأى أوعية أخرى تتحمل النار . وتأكل الاسماك والاصداف نيئة فى العادة ولكن تطهى اللحوم والخضروات . وتعمل الخضروات فى العادة كعجينة ثم تخلط بلبن جوز الهندأو الزيت . وطعام الرجال يعده الرجال بأنفسهم أما النساء فتطهى طعامهن وطعام الاطفال حيث يتناولوا الطعام بمفردهم .

وفى العادة يتناول البولينزيون وجبتين يوميا ، الاولى وجبة خفيفة وتأكل فى الصبح ويستطيع الفرد أن يتناولها فى أى مكان وفى أى وقت أما الثانيةوهى الوجبة الغذائية فيتناولها دائما فى المساء . والبولينزيوز أناس أكلـون إذ أن الولائم التى يقيمها فى احتفالاتهم قد أدهشت الاوربيين . ويقدم الطعام على اطباق من الورق أو فى اوعية خشبية محفورة او على اصداف جوز الهند حيث يتناولون طعامهم بأيديهم .

وليس لدى سكان جوز تاهيتى إلا قليل من الملابس فيرتـدى الرجـال ما يسمى باسم ملابس الأسد Loin cloth بينما ترتدى النساء «كلوت Kilt »او جنله كلاها مصنوع من اقمشة التابا . اما معاطف الريش فتلبس فقط فى المناسبات الخاصة . وفن تزين الجسد فن راقى فى جزر تاهيتى . فالوشم Tattooing ظاهرة عامة فى بولينزيا وان كانت طريقتها تختلف من مكان لاخر هناك . (شكل ١٣) .

ففى جزر سوسيتى يشم الرجال انفسهم بغزارة احيانا فوق كل الجسم فيما عدا الوجه بينما لاتشم النساء فى العادة إلا ايديهم واقدامهن . ويتم الوشم عن طريق غرس الكربون فى الجلد بواسطة اداه حادة من العظام وتختلف تسريحةالشعر اختلافاكبيرا في بولينزيا ولكن في كل مكان فهى مظهر هام لزينة الشخص .



شكل (١٣) فتاة من بولنزيا

ففى جزر سوسيتى تلف النساء شرورهن بطريقة بسيطة ولكن الرجال يصفعن شعورهم الطويلة على هيئة كعك Bunrs او ذيل الخنزير ، او حلق جزءا من الشعر وعمل الباقى تسريحات مختلفة ومعقده . وفى بعض المناسبات فى حالة الحرب مثلا ـ يرتدى الرجال باروكات طويلة مزينة بريش مصبوغ . ويلبس كل الرجال والنساء تقريبا وبصفة دائمة عقود من الزهور حول اعناقهم كما يضعوا زهور منفردة فى شعرهم وفوق احد آذانهم . ويرتدوا ايضا عقود مصنوعة من الاصداف والاسنان ذلك بالاضافة إلى الريش . ويقضى كل من الرجال ولنساء وقتا طويلا فى الاستحمام والتعطير وتزين الشعور .

ويعطى التاهيتيون اهتماما كبيرا لتجميل مناطقهم السكنية فداخل المنزل والمناطق المحيطة به تنظف بصفة مستمرة عن طريق الكنس كما تمهد الممرات المؤدية اليه وتبعد عنها المخلفات . اما منازل الرؤساء والضيافة فتزين كما تزرع الزهور الجميلة فى المناطق الفضاء التى تفصل بين المنازل المتناثرة ،

ووحدة الحياة الاساسية فى المجتمع التاهيتى هى الاسرة الموسعه او الكبيره التى تتكون من شقيقتين أو ثلاثة وزجاتهم وأطفالهم . وإفراد هذه العائلات التى تتناثر فوق رقعة محدوده من الأرض ترتبط سويا من ناحية انحدارها من أب واحد ولذا فقد يكونوا نسبا محليا . وربما يتتبع النسل من جد لكل من الآب والأم لتبقى الذرية فى عده أجيال حيث تتوارث المركز الاجتماعى والامتيازات وحقوق الأرض فيما بينها . ويتوقف فى العادة مركز الشخص على ما ورثه من الذكر ولكن فى بعض الأحيان حينما يكون الانحدار من جد الأم بعيد قد يجد الفرد صعوبة فى اثبات حقوقه . وحيث أنه من المعترف به أن الزواج لابد وأن يكون بين شخصين متكافئين أو متساوين فى المركز لذا ليس هناك حاجة لتتبع النسب وذلك لتقيم المركز .

ويشغل جميع أفراد جزر تأهيتى مكان صغير فى مركزة ومن ثم فيستطيع الأب أن يعطى مسؤلياته ومميزاته لأى من أبنائه حيث لايمكن أن يشغل هذه المكانه سوى فرد واحد من أسرته وهذه الظاهرة تفسر تأكيد البولينزين على حـــق البكورة أو الأبناء البكر Primogeniture . إذ أن الأبن الاول إذا ما وصل إلى مرحلة النضج يأخذ مسؤلية الكبار فى رعاية أخوته والدفاع عن مصالحهم.

أما الابن الثانى فكنوع من الواجب يأخذ مكان الاكبر فى حالة غيابه أو وفاته إلا أن يكبر الابن الاول للشقيق المتوفى. وأصغر الابناء فى الاســـرة الكبيرة شخص منكوب لان فرصته ضئيلة فى التميز التتابعى إذ أن مركزة سيظل دائما أقل من أخوته الكبار ماداموا على قيد الحياة.

وفى الاسر الكبيرة فى كل مكان تقريبا تسود النظام التسلسل hierarchy بين الاخوة والاخوات بمعنى أن الاخوة الكبار لهم سلطة على الاخوة الصغار غير أن هذا النظام الاجتماعى بين الاخوه والاخوات معقد فى جزر تاهيتى إذ يحدد وضع الفرد فى كل حياته وفى علاقته بالاسر القريبة له. فكل أسرة بل كل نسب فى المجموعة يتوقف مرتبته على أصله ودرجة قرابته للجد الاصلى. فالتسلسل خلال الفرع الاول للمواليد يتتبع تماما فى كل جيل للتعرف على الصاحب الحقيق للمركز والسلطة الاصلية .

وفى مثل هذا المجتمع نجد القدرة على تتبع الاجداد والتعرف عليهم أمر على جانب كبير من الاهمية حيث يمكن تتبع أصول الافراد الذين يحتلون مناصب رفيعة إلى مايقرب من ٥٠ جيلا . فالفرع الرئيسى للتسلسل وكل فرع يعرف باسم حيث يأخذ الابن البكر أو الابن البكر أو الابن الاول اسم والده حين يخلفه فى وضعه . ذلك إلى جانب اسم فرعى آخر يحدد وضعه فى الجيل الذى يعيش فيه

وهذا النظام فى الاسما، والالقاب يشبه إلى حد كبير نظام النبلاء الاوربى حيث ترتبط الالقاب بأوضاع ومميزات وواجبات ومسئوليات خاصة.

وتتدرج الرتب والمراكز الفرعية من القمة إلى القاع غير أنه من الافضل أن نذكر أن المجتمع يتكون أساساً من ثلاث درجات فعائلات الرؤساء فى النواحى الكبيره تعرف باسم Ari,i ورؤساء الانساب الاقل وعائلتهم ويوضعوا فى مجموعة وسط تعرف باسم Ra atira . اما البقية من السكان فتشملهم الطبقة المعروفة باسم Manahane . ويجب ألا ينظر إلى المجتمعات التاهيتية على أنها عشيرة إذا أن الاختلافات الاجتماعية بينهم تشبه الاختلافات داخل النظام الاسرى . فالطبقات الاجتماعية الثلاث الموجودة لدى البولنزين تضم كل طبقة منها مجموعة من العائلات بأكملها . وتتضمن المراتب الاجتماعية فى جزر تاهيتى سلطات اقتصادية وسياسية ودينية وبأختصار تتضمن مبادىء أتوكراتية . فنوع من القوى الروحية التى تسمى باسم مانا Mana توجد فى كل أفراد تاهيتى غير أن درجاتها مختلفة وتتطابق مع الرتب فالطبقة العليا وهى طبقة Ari'i تمتلك كمية كبيرة من هذه القوة المقدسة وذلك لانها أقرب الطبقات إلى حد الاله الذى هو مصدرها بينما الطبقات الاقل فنصيبها من هذه القوة أصغر ويعتقد أن المانا سلطة قوية يمكن أن تكون ضارة إذ ما ذهب إلى شخص أضعف أو أقل مرتبة من التى يجب أن تكون معه . وربما فكرة المحرمات فى مجتمع تاهيتى نشأت أساسا من امتناع احتكاك الطبقة التى لديها سلطة أقوى من المانا من الطبقة التى لديها أدنى سلطة .

وقد نظرت بعض البعثات التبشرية الاولى فى جزر تاهيتى إلى رؤساء تلك الجزر على أنهم حكام مستبدين وذلك بعد أن شاهدوا الازعان الشديد لما يقدم

اليهم وبعد أن لاحظوا أيضاأن الاهالى يدفعون لرؤسائهم نوعامن الجزية وبفحص جميع اعتبارات الموقف فى المجتمع الناهيتى يمكن التوصل إلى أن الاذعان شعور دينى وأن استخدام مصطلح استبداد ليس فى محله . كذلك مايسمى بالجزية ربما يكون مرتبط بما تقدمه الطبقات أكثر من كونه ضريبه ولاسيما وأن كميات كبيرة من الهدايا يعاد توزيعها على الاهالى .

ولا يوجد سوق لتبادلى المنتجات بين سكان تاهيتى . فالهديا التى تقدم إلى الرئيس أو التى تقدم من رئيس أصغر إلى رئيس أعلى امر ينظـــر اليها على انها وسيلة معقده لتبادل السلع حيث يجمع الرئيس الفائض من الانتاج الذى يعطى له ثم يعيد توزيعه فى الاعياد الكبرى . وقد لاحظ بعض الكتاب الاوائل هذه الظاهرة الغريبة فى حياة سكان تاهيتى حيث وصفوا المجتمع بأنه مجتمع شيوعى وبعض الملاحظين الاخرين الذين لفت نظرهم استغلال الرؤساء نظـروا إلى الامر على انها تجميع الانتاج اكثر من اعادة توزيعه . وكما يبدو انه مـــن الصعب التعميم بدقة ان مجتمع تاهيتى مجتمع استغلالى اومجتمع شيوعى والاصح انه نظام جديد تمام على الخبرة الغربية .

ومن الاشياء الاخرى الخاصة بعادات سكان جزر تاهيتى والتى لفتت انظار الزوار الاوربين الاوائل هو تركهم لاولادهم بصورة متكررة كبيرة الامر الذى جعل الباحثين : يصفوها بأنها ظاهره اجتماعية هامه وفى نفس الوقت اعادة لتوزيع اقتصاد غير متكافىء ففى ظل حقيقةان جميع الارض والمناصب وراثية يصبح انه لاسبيل من ايجاد طريقة تحفظ توازن واستقرار النظام ان تحاول الاسر ان تستمر فى احجام متساوية عبر الزمن ولكن الاتجاه العادى هو ان تنمو بعض الانساب على حين تقل الاخرى فى حجمها تبعا لظروف غيبه حدود او فقر

الارض الذى قد ينتج عنه اختلافات فى اقتصادية جديدة غير موجه الهم إلا إذا قسمت الإرض ذاتها ثم يعاد توزيعها من آن لآخر وكما يحدث فى عديد من المجتمعات الزراعية البدائية فإن تحـــديد حجم الإسره هـو الوسيلة الوحيده للمحافظة على الحالة الثابتة Status quo فى الأسره خلال الإجيال المتلاحقة . ويمارس سكان تاهيتى قتل الإطفال InFanticide لدرجة ما وذلك للتحكم فى حجم الإسره ولكن فى اغلب الإحيان ينتقل الأطفال من العائلات الكبيرة العدد إلى العائلات ذات الإعداد الاقل . حيث يأخذ الطفل المتبنى لقبه ونصيبه فى الارض من الاب المتبنى ووضعه فى هذا هو وضع الأبن الحقيق على الرغم من أنه قد يقضى وقتا كبيرا فى زياره اعضاء اسرته الإصلية .

وليس من المستغرب ان يعكس الدين الدور الإجتماعى والإقتصادى والسياسى الهام الموروث والذى يؤكد اهمية عباده السلف . ففى جزر تاهيتى لكل اسره مكانها المقدس الخاص باسلافها كذلك كل مجموعة اكبر من العائلات لها البقعة المقدسة التى تسمى باسم Marae وهى عباره عن مساحه مفتوحه من الأرض مسوره بحائط حجرى منخفض وبها جزء مرتفع فى نهايتها يشبه الهرم الصغير . والماراى مكان للدفن وأيضاً لإقامة الإحتفالات الدينية .

ولعل الماراى تعكس النظام الإجتماعى الموجود فى تاهيتى بوضوح . حيث يوجد بها دائرة من المقاعد الحجرية ، كل مقعد منها يورث لمختلف الروساء الذين يجلسوا عليها فى الاحتفالات الدينية ، وقد نظمت هذه المقاعد تبعا للاهمية الإجتماعيه للروساء . وفى الفترة الإولى لنمـــو وتوسع المجتمع التاهيتى دأبت المجموعات المتقاربة التى تهاجر إلى مكان آخر أن تأخذ معها مقعد رئيسها من الماراى ليضعه فى ماراى جديد فى المكان الذى تستقر فيه ، وقد يظل موضع المقعد

الحجرى القديم فى المارای الأصليه شاغرا ومن ثم تظل المجموعة المهاجرة مرتبطة بنسبها فى البقعة الأصلية .

وفى الإيام الاولى من التوسع كانت من الإمور العادية الواضحة ميل اشقاء الرؤساء الصغار للرحيل إلى أماكن جديدة وتأسيس مجتمعات جديدة وبذلك تكون محلاتهم السكنية أكثر حداثة وأقل تميزا فى مناصبها الإجتماعية من المجتمع الأكبر وبالمثل تكون ما رأيهم أقل قداسة من المارای القديمة .وفى إطار هـــذه الحقيقة نجـــد أن المارای الكبيرة الموجودة فى جزيرة راياتى Raiatea الغربية تعتبر أكثر قدسيه من تلك الموجودة فى جزر تاهيتى الإمـر الذى يوحى بان التعمير الأول لجزر بولنيزيا قد أخذ مكانا فى تلك المنطقة قبل غيرها ،

ويرتبط أنماط السلوك الإجتماعى العام والآداب بالدين ونظام الرتب . إذ يعتبر مركز أو مرتبة الفرد مبدأ عام فمصطلحات القرابة العامة التى تستخدم فى مخاطبة الإفراد فى المجتمعات البدائية كجزء من الإداب لاتستخدم فى بولينزيا إذ يحل محلها استخدام الالقاب التشريفية فى مخاطبة الإشخاص . وأقسام القرابة لدى المجتمع البولينزى بسيطة نسبيا . فكل أبناء الإعمام سواء كانوا من الدرجة الإولى أو الثانية Cross or parallel يوضعوا تحت تعريف نسيب Siblings أما أقارب الجيل سواء كبروا أو صغروا فيشار اليهم أيضا بمصطلح فردى عام . وتميز الجيل بالنوع والسن هى الظاهره الوحيده للتقسيم القرابى غير أن أهمية السلف ووراثة المراتب تنعكس فى استخدام الإلقاب بدلا مـــن مصطلحات القرابة فى التخاطب المباشر .

وربما أوضح ظاهرة معروفه فى السلوك الاجتماعى للبولنيزين بتلك المرتبة بفكرة المحرمات Taboo . فكل فرد من أفـــراد المجتمع يحرم عليه بعض

المأكولات التى ترتبط بمركزه الاجتماعى ففى وقت الغذاء مثلا لايستطيع ذوى المراتب الدنيا أن يتناولوا الطعام على أصحاب المراتب العليا و نظرا لأن الرجال أكثر قدسية من النساء والاطفال لذلك لابد وأن يتناولوا طعامهم بعيدا عنهم وبعض الاطعمه العادية محرمة على النساء والاطفال كما تحرم اطعمه خاصة على مراكز بعينها . فطبقة Ari'i العليا طبقة مقدسة جدا لذا فأى شىء تستخدمه يصبح محرما ، وأى طعام يتناوله يصبح سما إذا ما استخدمه فرد من طبقه أدنى منها . وقد حات هـــذه العقده فى بعض جزر بولنيزيا عن طريق العزل النام للرئيس الاكبر حيث يحمل فى محفه Litter ويغسل ويطعم بواسطة مرافق وفى غرب بولينزيا لايسمح له بمجرد مخاطبة الجمهور إذ يتحدث أخيه الأصغر الذى يعرف باسم متحدث الرئيس Orator chief - بدلا منه . ومن العادات ايضا أن الكلمات التى يستخدمها الرؤساء الكبار فى حديثهم تعتبر محرمات على العامة . ويمكن أن تعرف هـــذه اللغه بالكلمات الدينية كما أنه فى العاده لغة الكهنة .

والتتابع الاجتماعى داخل المجموعة المحلية المتقاربة والذى استقر تبعا لنظام الذرية يتداخل و يتفق مع نظام أوسع داخل المجتمع أو داخل الجزيرة وهو نظام أكثر رقة وأقل غلظة إلا أنه موضوع أساسا على تنظيمات متشابهة . وعلى أى حال فإن هذا النظام لم يكن مستقرا فى جزر سوسيتى قبـــل مجىء الاوربيين ومن ثم لم يكن هناك مفرا لتغير هذا النظام الوراثى عن طريق الحروب فمن طريق حرب أهلية واسعة تم إعاده توزيع الأرض كما أن القوات البحريه تدخلت فى معظم الجزر لكى تضع حدا لعلاقات القرابة التى ارتبطت باوضاع اقتصاديه واضطرابات سياسية . ففى جزر هاواى كان من نتيجة حملة مماثلة أن غير نظام المجتمع بحيث أن أصبحت الطبقة المنتصرة أرقى فى نسبها وأرفع من الطبقة

المغلوبة على أمرها . ولا يوجد دليل واضح يبين ان ما حدث فى هاواى حدث فى تاهيتى وان كان من الممكن أن تكون نتيجة محتملة للحروب .

أما أسلحة الحرب فى جزر تاهيتى فتمثل فى الحربة والرمح والسيوف الخشبية القصيرة وبعض السكاكين المسننة . أما القوس والسهم فيستخدما على نطاق واسع فى الصيد إذ أن استخدامهما محدود فى الحروب ولا يستخدم التاهيتيون دروع الدفاع التى قد تصنع من الأصداف وان كانوا يلجئون فى بعض الأحيان لف محاربيهم بشبكة من الحبال .

والقرى المحصنة لا توجد عادة فى بولينزيا فيما عدا فى نيوزيلندا حيث يحيط جماعات الماورى Maori قراهم بالخنادق . ويبنى التاهيتيون فى العادة ملاجىء يمكن الاحتماء بها فى حالة رغبتهم فى مقاومة الحصار . وقد يأخذ التاهيتيون أسرى الحرب كعبيد . ويمارس إعدام الأعداء وتنتشر هذه العادة فى كل جزر بولينزيا غير أن سكان تاهيتى يفزعون لهذه الفكرة رغم أنهم يقدموا بعض أسراهم كضحايا فى احتفالاتهم الدينية .

ويسود فى المباريات نوعا من اخلاقيات الحرب فجميع المباريات تمارس بعنف كما أن بعضها خطير جدا . ومباريات كرة القدم شائعة ومحبوبة لدى سكان تاهيتى لدرجة أن سكان المناطق المختلفة ينظمون مباريات مع بعضهم . وتوجد فى جزر تاهيتى رياضات فردية متعددة فهناك المصارعة والملاكمة والمشى إلى جانب السباحة التى تلقى اهتماما زائدا من الجميع .

والصيد فى تاهيتى يعتبر رياضة وفى نفس الوقت عمل مقدس . فبعد أن يقتل الصيد فى مكان ما تمارس عدة شعائر تتضمن احتفالات فى المعبد واحتفالات خاصة وطقوس للتطهير . ومن المباريات الأخرى مباريات الديوك التى تكون

مصحوبة بمباريات بين الأطفال ذلك إلى جانب الموسيقى والرقص . فجميع البولينزيون محبين للموسيقى لدرجة أنهم طوروا هذا الفن لدرجة تفوق أى جماعات بدائية أخرى . ويستخدمون الطبول الكبيرة والصغيرة والناى وعلاوة على اصواتهم الموسيقية التى تصاحب دائما الرقص فى تاهيتى . وقد تمكن سكان جزر هاواى وتاهيتى من تطور اصواتهم الموسيقية بصورة غير عادية حتى انهم تمكنوا من تكوين الكورس الذى يؤدى مقاطع من الأغانى .

والموسيقى الحديثة فى هاواى يغلب عليها الطابع الاوربى كما أن الجيتار الهاواى قدم من البرتغال .

والرقص فى تاهيتى أو كما يعرف باسم Hura أو hula يقوم به بنات الرئيس اللاتى تدربهن خصيصا لهذا الفن . وتقضى العبادات هناك على أن ترتدى الراقصات جنلات طويلة مكسرة ، كما يثبت الريش فى أصابع الراقصين . واستعراض الرقص هو جزء من استعراض كامل يشمل ممارسة أعمال سحرية وبهلوانيه . وكما هو الحال فى معظم المشرق الآسيوى يضلع الرجال بدور المغنين والعازفين كما هم أيضا الممثلين .

وتنظيم الاستعراضات العامة فى تاهيتى من اختصاص مجموعة متخصصة للترفيه عن الزوار وتعرف هذه المجموعة باسم Ariori وهى مجموعة دينيه راعيها أورو Oro إله الحرب والذى بأسمه يتم اللعب والرقص والغناء والانشاد . وهذه المجموعة تبعد كلية عن المفهوم الدينى الغربى حيث يسمح بها هتك المحرمات والاتصال الجنسى وغير ذلك من الاشياء . فما أن تصل مجموعة الاريورى إلى مقرها المحلى حتى يبدؤا فى مزاولة أنشطتهم ضاربين عرض الحائط بكل القواعد

والأصول الاجتماعية وأفراد هذه المجموعة غير مسؤلين عن شيء مهما كان عمرهم إذ أنهم لا يملكون شيئا كما أنهم ليس أطفال .

وعلى الرغم أنه غير معروف من هو الشخص الذى تقبل عضويته فى هذه المجموعة أو كيف يصبح عضوا بها إلا أنه من الواضح انها تضم باستمرار الابناء الصغار المطرودين من العائلات الكبيرة Large Families وقد ذكرت بعض الارساليات الأولى التى ذهبت إلى جزر سوسيتى أن جماعـــة الاريورى قد تكونت أساسا لتكوين مجموعة بغاء من أجل تحديد النسل . كما أنه نظرا لأنهم يتركون أولادهم لذا فقد اعتقد المبشرين ان عاطفة الأبوة ليس موجودة هناك والحقيقة كما هو ملاحظ بين المجتمعات البدائيه الأخرى ان الاطفال يعتبرون فى العادة بركة كبيرة وانهم من الاشياء المحببة اليهم جدا .

ويصحب ميلاد الطفل عديد من الشعائر التى يمارسها أفراد الأسرة ، وإذا كان الطفل ذات مرتبة عالية فتتم الشعائر فى احتفال عام . وفى العادة يحضر عملية الوضع الطبيب القس الذى يحيط به حشد من الأقارب . وبعد أن يدفن الخلاص فى المارای ويوضع الحبل السرى فى صندوق ويدفن فى أحـــد حجرات المارای يقام احتفال التسميه The naming ceremony الذى يعتبر من أهم مراسيم الاحتفال إذا ما كان الطفل ولدا ذا مرتبه عاليه .

ويمضى الطفل معظم وقته مع اقرانه الأطفال ، ويترك فى السنوات الأولى لينشيء حرا نسبيا . ومع نمو الطفل العمرى يبدأ أهالى الطفل فى تعليمه وتوجيه سلوكه الاجتماعى . وقد يعطى الأبناء البكر الصبيه ذوى المراكز العالية تدريبا خاصا وذلك لكونهم سوف يرثوا مركز العائلة الاجتماعى . وجزء من هـذا التدريب يتجه لكونه الابن الأكبر حيث يكون مسؤلا مسئولية كاملة نحـــو

الإطفال الاخرين ذلك إلى جانب تعليمه سلوك النبلاء من كرم وسخاء وشجاعة ... الخ .

وعندما يبلغ الصبى مرحلة البلوغ يقام له احتفال يحذر فيه عليه الأطعمة المحرمة Taboo ومنذ هذه اللحظة لا يستطيع الصبى أن يتناول أى طعام تطهيه المرأة أو يأكل فى صحبة النسوة . فالتحريم هى علامة النضج لكل من الذكر والاناث .

ويطاهر الأولاد فى مرحلة الطفولة ولا سيما إذا كان من طبقة راقيه ولكن يأجل الزواج فى العادة حتى مرحلة بلوغ متأخرة ويأجل أكثر بالنسبة للرجال والفترة بين البلوغ والزواج فترة تتسم بالحريه وممارسه تجارب الحب وفى الطبقات الدنيا للفرد حرية اختيار الزوجة حيث لايتضمن الزواج ارشادات قيمه غير أنه لا يشجع الزواج بين الأقارب . أما الطبقات العليا فالتكافىء الاجتماعى أمر ضرورى ومن ثم فزواج أبناء العمومة سائد

وتشهد مراسيم الزواج احتفالا كبيرا يكون مصحوب بتبادل الهدايا والأغانى والرقص . وبعد الزواج تكون المهمة التمهيد لانجاب الولد الأول والتأكيد على انه سوف يحمل صفات المركز الجديد ويأتى ذلك عن طريق إعفاء الزوج ذوى المقام الرفيع وزوجته من كل واجبات واعطائهم اطعمه دسمه واغتسالهم وتعطيرهم فى نفس الوقت تؤدى الشعائر فى المعبد لكى تساعد على حدوث حمل لهذا الطفل .

ومن السهل فسخ الزواج ولاسيما بين العامه . وبعد الطلاق يظل الأطفال مع الأم أو تتبناهم أسر أخرى يكون اعدادهم قليلة لأن الاسر التى يزيد عدد أطفالها قد تلجأ إلى الاجهاض أو قتل الأطفال .

وعند الوفاة يدفن الأطفال والكبار من العامة بدون مراسيم جنائزيه وذلك

على النقيض من جثمان الرؤساء التى تحفظ لأكبر مدة ممكنه فى مكان بنى لهذا الغرض . حيث تجرى محاولة لتحنيطه وذلك عن طريق نزع المخ والاحشاء ودهان الجلد بالزيت وتعريضه للشمس وبعد تحلل الجسم تأخذ الجمجمة وتوضع فى المارای وقد تستمر مراسم الحزن لفترة طويله ويلجأ الاقارب من آن لآخر لاحداث جروح فى اجسامهم بواسطة سكاكين كما تظل زوجه الرئيس المتوفى إلى جانب جثه زوجها لفترة طويله من الزمن ربما كرمز باق لعادة قـــديمة تقتضى بقتل الزوجه الارمل ويدعو القسيس روح الميت لكى تكون راضيه فى عالمها الآخر ولاتعود ثانية إلى زوجته . وإذا كان المتوفى رئيسا هاما تتوقف كل الأنشطة فى ضاحيته أو اقليمية لمدة ايام تكون كافيه لرحلة روحة .

ويعتقد سكان تاهيتى أن مركز الروح الامعاء وأن الروح تخرج بعد الموت من الفم والانف لتذهب بعيدا . وتبعا لبعض الروايات تذهب هذه الروح إلى الجنة أو إلى أرض الاجداد التى توجد فى مكان ما فى الجهة الغربية .

وتختلف مضامين الاساطير والمعتقدات اختلافا كبيرا فى جزر بولينزيا غير أن هناك سمات مشتركة بينها فاساطير الخلق جميعها من النوع الذى يمكن تسميته بالنوع التطورى ، فالالهة المختلفة تحمل نفس الاسماء على الرغم من ان اعمالا خاصا تنسب اليها وتختلف من مجموعة جزيرة إلى أخرى . حتى بين سكان جزر تاهيتى يوجد بينهم عديد من اساطير الخلق . وكقاعدة تشمل الاساطير فكرة العدم فى البداية وأن الظاهرات الطبيعية والإنسان والحضارة خلقها الالهة وبعد ذلك حدثت احداث خاصة ارتبطت بتاريخ الانسان المعروف .

والعدد الاجمالى للآلهة هائل ويختلف من مكان لآخر غير أن قليل منهم له السيادة على معظم جزر بولنيزيا . فالالهة المعروف باسم Ta'aros هو اله الخلق

فى جزر تاهيتى وهو عادة آله كبير فى الجزر الأخرى . إلى جانب الاله اورو Oro وتانى Tane ورو Ro'o وتو Tu . وقد يعتبر بعض الالهة وفى العادة واحد من بين الالهة السابقين هو السلف الذى انحدرت منه مجموعة محلية أو حضارة معينه وبعض الالهة الأخرى لهم قوة السيطرة على بعض الظواهر الطبيعية مثل البحر والرعد والريح ، والبعض الاخر هم الراعين لحرف معينة أو وسائل الترفيهه ففى جزر سو سيتى يعتبر الاله الخاص بوسائل الترفيهه وهو الإله oro هو أهم الإلهة إذ انه اله جمـــاعة اريورى Ariori كما أنه أله الحرب . وإلى جانب مجموعة هذه الإلهة توجد مجموعة أخرى تشمل الهة اصغر ترتبط باشباح الاجداد والأرواح .

ولكل جزيرة من جزر مجموعة سوسيتى اوركلها Oracle الخاص الذى يستشار قبل البدىء فى نشاط هام أو عمل خطير. كذلك يمارس التساوسة أعمال الشعوذه والتنبأ عن طريق التأمل داخل جوزه هند مقطوعا حديثا وشرح ما تنبأ عنه الخيوط المحفورة فى لب الجوزه من سائلها أى تقرأة جوزة الهند كما يقرأ الفنجان فى بعض المجتمعات المعاصرة .وفى بعض الاحيان تتقمص الروح قساوسة بعينهم تجعلهم فى حالة شعوذة حيث يصدرون كلمات واصوات غير واضحة ويعتقد أن هذه الاصوات هى صوت الروح التى تتحدث من خلال وسيط والتى يقوم بشرحها قساوسة أخرين . وهناك بعض الرجال الذين يعتبروا سحرة إذ بامكانهم جلب الموت عن طريق ممارسة بعض الشعائر السحرية على اظافر أو شعر أو جزء من ملابس الضحية ويستعرض هؤلاء الرجال قوتهم بالمشى فوق الصخور الساخنه .

ولا توجد مضامين خلقيه معينـــه فى ديانه البولينزين إذ أن دينهم يتضمن أساسا النظام الإجتماعى القائم على حكامهم المقدسين والهادف إلى تدعيم سلطتهم كذلك تمارس الإلهة وظيفة مؤسس القيم بالنسبة للأفراد. فالصلوات التى تؤدى

من أجل الإلهة تمارس دائما عند الاستيقاظ وقبل تناول الوجبات. وقبل القيام بأى عمل هام ذلك بالاضافة إلى أن القرابين أو الاطعمة المقدمة الالهة توضع كل يوم كنوع من الاحتفال . والتضحية البشرية باسرى الحرب والمجرمين قد تمارس فى معظم الاحتفالات وان كانت تقدم الخنازير والكلاب فى معظم الاحيان كقرابين . ويرجع سبب اقبال الناهيتين على الصلاوات دائما إلى التأثير الذى تركته البعثات البشرية المسيحية الأولى التى ارسلت اليهم ولم تنجح كثيرا فى تعديل معتقداتهم الخاصة بالاسلاف .

ويرجع تاريخ وفود الأوربيين إلى جزر بولينزيا إلى رحلة الأسبان بقيادة كيروس Quiros الذى وصل إلى جزر سوسيتى فى عام ١٦٠٦ . كما وصل فيما بعد فى عام ١٧٦٧ كابتن واليس wallis الانجليزى الذى احتل جزر تاهيتى والتى أطلق عليها جزيرة الملك جورج غير ان إقامته كان قصيرة هناك وبعد ذلك وصل إلى تاهيتى بوجانيفيل Bougounvillo الذى أعلن تبعيتها لفرنسا غير أن معرفة العالم الإنجليزى لجزر تاهيتى تعود إلى رحلة جيمس كوك الشهيرة والتى وصل فيها إلى الجزيرة فى عام ١٧٦٩ على الباخره endeavour والتى ضمت بعثة الجمعية الملكية البريطانية لملاحظة الكوكب فينوس فى المحيط الهادى وتكريماً للكابتن كوك فقد أطلق اسمه على مجموعة جزر سوسيتى وقد تمكن علماء الباخرة إيندفور من اكتشاف أكبر الجزر والتى ارتبطوا مع أهلها بصداقة قوية . وقد نشر كابتن كوك وأعضاء رحلته فيما بعد وصفاً لهذه الجزر وسكانها حيث اعتبر هذا الوصف مستندا علمياً قيما . وقد قام كابن كوك بثلاث رحلات إلى بولينزيا آخرها فى عام ١٧٧٨ حيث لاقى حتفه فى جزيرة هاواى فى خلال عملية احتكاك بالاهالى.

ولعل من أبرز الأحداث التى سجلت فى تاريخ احتكاك الأوربيين بسكان

جزر تاهيتى ذلك فى عام ١٧٨٨ حينما وصل الملازم Bligh إلى تاهيتى تحت قيادة الباخرة بونتى Bounty . وقد بقى طاقم الباخرة بدون عمل فى الجزيرة خمسة أشهر نعموا خلالها بكرم الأهالى لدرجة أن بعضهم استقر فى الجزيرة وتزوجوا من عائلات الرؤساء . والحدث المؤسف واكب رحلة السفينة ثم الثورة عليها وعودتها مرة ثانية إلى الجزيرة بدون قبطانها. فالمحلة العمرانية التى أقيمت فى جزيرة Pitcairn تكون من خليط من الأسر التاهيتية وثوار الباخرة الإنجليزية تطورت فيما بعد إلى نظام اجتماعى مثالى ضم الخلف المولد الاختلاط .

وقد زار عدد قليل من المكتشفين جزر تاهيتى قبل نهاية القرن الثامن عشر غير أن الإتصال كان متناثرا ومحدودا . فلا توجد محلات عمرانية حقيقية للأوروبين كما لا توجد سيطرة أوربية طويلة على جزر تاهيتى يمكن تسجيلها ومن ثم لا يوجد احتكاك حضارى كان من نتيجته تغير حضارة السكان بطريقة ذات معنى . التأثير الواضح على حضارة سكان جزر تاهيتى حدث بعد ذلك بواسطة بعثات التبشير الإنجليزية التى ذهبت إلى هناك . ففى عام ١٧٩٧ ذهب إلى هناك بعثة دوف Duf الإنجليزية والتى ضمت مبشرين بروتستانتيين نجحوا فى اجتذاب الأهالى نحوهم بسبب احترامهم لعادات التاهيتين وبسبب الأحداث السياسية المحلية . وقد تأثر الأهالى بالتكنولوجيا الآلية الغربية وبروحهم القومية واحترامهم لمجموعاتهم المحلية . ومن ثم فقد كان البولينزيين على استعداد تام لتقبل التعاليم المسيحية .

وقد تمكنت البعثات التبشرية من تغير عدد من العادات المحلية والتى تبدو لهم أنها غير خلقية حيث حرموا « ارتداء النساء للملابس الفضفاضة Mother Hubbard dresses » كما حطموا المعابد ومنعوا الموسيقى والرقص

وتغيرت عادات الزواج وقد حاولت بعثة كاثوليكية رومانية فرنسية الإستقرار في تاهيتي عام ١٨٣٦ . ولكن طردها الأهالي وقد تمكنت بعد ذلك في عام ١٨٤٣ قوة بحريه فرنسية من السيطرة على الجزيرة لتصبح مستعمرة فرنسية . وقد كان الاستعمار الفرنسي أكثر مرونة من نفوذ الارساليات فسمح لتجار بالانتقال كما سمح بوفود المغامرين إليها .

وكما هو الحال في أجزاء جزر بولينزيا الأخرى انتشرت الأمراض الأوربية بين الأهالي في نفس الوقت الذي استوردت فيه الأيدي العاملة الصينية لتعمل في المزارع . وما لبث أن تمكن الصينيون من أن يكون لهم فاعلية في المؤسسات الاقتصادية حيث يكونوا الآن ما يقرب من ربع السكان ويسيطرون على الأسواق الداخلية الفرنسية في المحيط الهادي فمدينة بابيتي Papeete المدينة الرئيسية في تاهيتي هي العاصمة الادارية والاقتصادية للبلاد وحيث تضم الفرنسين والاهالي والصينين غير أنه لم يظهر على الاطلاق أى حاجز طبقي بين التاهيتين والمولدين فجزر تاهيتي الحديثة عبارة عن متروبوليتان بل أكثر من ذلك يبدو أن البولينزين الاصليين أخذين في الاختفاء نتيجة لعمليه مماثلة تأخذ مكانا لها في جزر هاواى غير أنه في بعض الجزر البعيدة التي تقل في أهميتها عن جزر سوسيتي مازال السكان الاصليين يحتفظوا بطرق معيشتهم الاصلية ، كما ان اعدادهم أخذه في الزيادة في هذه الجزر لدرجة انهم يمكنهم الاستمرار في حياتهم . فقد عرفوا أسواق تجارة الكوبرا أو جوز الهند المجفف كما عرفوا تجارة اللؤلؤ التي بواسطتها يمكنهم الحصول على السلع الأوربية الضرورية لهم .

أهم مراجع الباب الثانى

1 — Karsten, R., Headhunters of western Amazonas, The life and culture of the Jivaro indians of Eastern Ecuador and Peru, Societas Scientiarum Fennica, Vol. 8, No. 1, Helsinki, 1935.

2 — Rivet, p., Les indiens Jiberos, L'anthropologie, Vol. 18,19 1907—1908.

3 — Steward, J. N, and Metraur, A., "The Jivaro" in J. H. Steward (ed.), Handbook of South American indians, Vol. 3, Bureau of american Ethnology, Bull. 143, Washington, 1948

4 — Up de Graff, F W. Head Hunters of the Amazon Seven Years of exploration and adrevture, Garden city, N.Y.,1923.

5 — Bogoras, W.G., New data on types and distibution of Reindeer br'eding in Northern Eurasia, proceeding of the 23rd international Congress of americanists, lancaster, 1930.

6 — Buxton, L.H D., The people of Asia, New York, 1928

7 — Cressey, G.B., asia's lands and peeple, New York, 1934

8 — Jochelson, W., peoples of asiatic Russia, New York 1928.

9 — Laufer, B, The Reindeer and its domestication, Memoirs of the american anthopological association, Vol. 4. No-2 1917

10. Anderson, R., The Buffalo Men, Acheynne Ceremory of petition deriving from the Sutaio, Southwestern Journal of anthopology, Vol. 12, 1956.

11 — Dorsey G A, The Cheyane, Field Museum anthropol-ogical series. Vol. 9. chicago. 1905.

12 — Eweis, J.C., The horse in Blackfoot Lndian culture : with comparative material from other western trikes, Bureau of american Ethnology, Ball. 159, Waohington, 1955.

13 — Lowie, R.N., Lndians of the plains, New York, 1924.

14 — Wissler, C., The influence of the horse in the development of plains culture, americen anthropoloyist, Vol. 16, 1914.

15 — Wissler, C. North american Indians of the plains, N.Y., 1934.

16 — Erans - Pritchard, E.E, The Nuer, Oxford. 1940.

17 ——————, Kingship and Marriage among the Nuer, Oxford, 1951.

18 — Herskouits, M.J., The Cattle Complex of East afica, american anthropologist, Vol. 28, 1926

19 — Seligman, C.G. and B.Z, Pagan tribes of the Nilotic Sudan, London, 1932

20 — Arii, T.E., Tahiti, New York, 1947

21 — Cook Capt. J. The Journal and voyages of Captain Cook, London, 1773, 1777.1784

22 — Freeman, O.W Geography of the Pacific. New York. 1951.

23 — Keesing, F M, The South seas in the Modern world. New York. 1941.

24 — ——————, Native peoples of the Pacific world, New York, 1945

25 — Sharp, A., Ancient Voyagers in the Pacific, Wellington, 1950.

الباب الثالث

المماليك البدائية

- الكالينجا فى جزر الفلبين

الكالينجـــا

The Kalinga of the Philippine Islands

الكالينجا فى جزر الفلبين

تكون جزر الفلبين جزءا من منطقة حضارية كبيرة تعرف باسم أندونيسيا وعلى الرغم من فترة الاستعمار الطويلة التى استمرت ما يزيد على ثلاثة قرون تحت الحكم الأسبانى ثم أخيرا تحت سيطرة الولايات المتحدة إلا أن الأساس الحضارى لجزر الفلبين يشبه بصفة عامة ذلك الذى يسود فى الجزر الكبرى التى تقع إلى الجنوب الغربى منها . وهذه الحضارة القديمة ليست حضارة بسيطة أو غير مميزة . فكما هو الحال فى جزر أندونيسيا الكبرى يوجد بها عديد من الأصول السلاليه إلى جانب عناصر جنسية مختلطة ذلك بالاضافة إلى أن الحضارات الأصلية قد استقبلت تأثيرات أخرى من الهند والصين كما دخلها الإسلام قبل اكتشاف الاسبان للجزيرة فى عام ١٥٢١ حيث خضعت لنفوذه وسميت باسم الفلبين تكريماً للملك فليب الثانى .

ومن بين الجماعات التى تعيش فى الفلبين فى الوقت الحاضر أقزام النجرو Pygmy Negroes أو النجريتو الذين من المحتمل أن يكونوا أول العناصر التى وصلت إلى الجزيرة . وهؤلاء السكان صيادون وجامعون للطعام وقد تقهقروا إلى أعماق الغابات الكثيفة تحت ضغط الجماعات الأقوى منهم وهم يوجدون الان أساساً فى لوزون Luzon الجزيرة الشمالية .

أما الأندونيسيون فقد جاءوا إلى الجزر بعد ذلك وربما أحضروا معهم حضارة زراعية حيث استقروا فى المناطق الجبلية فى الجزر الكبرى . وأخيراً وفد الملايويون الحاليون أو الملايو الأوائل Dentero - n alayo كما يسموا وذلك تميزا لهم عن طلائع الملايو Proto - Mala s والذين يوجدوا بصفة عامة على طول السواحل وفى الأراضى المنخفضة والذين يحملوا حضارات تتصمن

مؤثرات هندية ، والتى تمكنت من السيطرة لفترة طويلة على الجزر فى غرب أندونيسيا . وقد أضافت التجارة الصينية بعد ذلك تعقيداً حضارياً جديداً فى جزر الفلبين . وقبل وصول الأسبان وفد إلى الفلبين من الملايو تأثير اسلامى جديد حيث كان التجار العرب على اتصال دائم بجزر أندونيسيا وحينما حكم الأسبان السكان المسلمين فى الفلبين سموهم باسم المور Moros وهى نفس التسمية التى يطلقوها على المسلمين فى أسبانيا وشمال إفريقية .

وينقسم سكان الفلبين فى الوقت الحاضر فى العادة إلى أربعة أنماط تعكس أساساً اختلافات حضارية غير أن توزيعهم ومناطق تواجدهم تؤيد التتابع التاريخى للوفود العناصر الجنسية السابقة . فجماعات النجريتو التى تعيش فى المناطق المنعزلة الغابية هى أقل الجماعات الموجودة فى الفلبين اندماجا فى الحضارة القومية بها . وعلى النقيض من ذلك الفلبينو Filipino . أو الجماعات التى تعيش فى الجزر الوسطى والتى تعرف جماعيا باسم فيسايان Visayans والجماعات التى تعيش فى سهول وأودية لوزون والذين اعتنقوا المسيحية فى بداية فترة الاستعمار الاسبانى . ويشغل المور مواضع مشابهة فى الأرضى المنخفضة والساحلية فى جنوب الفلبين وذلك على الرغم من أن تأثيرهم الحضارى على الحضارة لقومية فى الفلبين أقل من تأثير الفلبينو .

أما الجماعات الأخرى التى تعرف باسم الباجان Pagans أو القبائل المتوحشة wild tribes فيشغلون مساحات كبيرة فى جزيرة ميندناو Mindanao الجنوبية ومعظم شمال لوزون ذلك بالاضافة إلى مواضع منعزله أخرى فى قليل من الجزر ومن بين الجماعات الاخير الكالينجا الذين يكونون جزءا كبيرا من الاندونيسين وتعتبر جزيرة لوزون أكبر الجزر فى الارخبيل الفلبينى . والجزء الشمالى من

الجزيرة فيما عدا المناطق الساحلية المستوية وأودية الأنهار المنخفضة عبارة عن مناطق جبلية وعرة سكنتها قبائل الباجـــان وأساس الحياة الاقتصادية هنا الزراعة الكثيفة جدا المعتمدة على وسائل الري وعمل المدرجات ومن ثم فيتسم شمال لوزون بارتفاع نسبة الكثافة بينهم ارتفاعا ملحوظا وتتشابه جميع القبائل في المنطقة فيما بينها تشابها تاما ولذا فقد اشتهروا تاريخيا ببغضهم للصيد .

ويتحدث الكالينجا لغة قريبة من لغات العائلة اللغوية الملايووية البولينزية . وقد بلغ عددهم في عام ١٩٢٩ حـــوالى ٢٤ ألف نسمة ويعيشون تقريبا في الوسط الجغرافي لمنطقة قبائل الباجان في شمال لوزون . والسلاسل الجبلية هنا أقل وعورة من السلاسل التي يشغلها جيرانهم التنجويان Tinguian والايفوجوا IFugao فالتربة عند الكالينجانيون أكثر خصوبة ، كما توجد مصادر أكبر لمياه الري . ويمتاز الكالينجا عن كل جيرانهم في كونهم يستطيعوا زراعـــة محصولين من الأرز على مدار السنة وينتجون نوعا من الإرز الكبير جدا وهو أفضل أنواع للارز في العالم وبامكانهم دائما تصدير جزءا منه إلى سكان المناطق المنخفضة .

ويشبه الكالينجا غيرهم من الاندونيسيين في أن صفاتهم الجنسية أقل مغولية من صفات الفلبينو العادى على الرغم من أنهم أيضاً يتصفوا بالشعر الأسود الخشن المستقيم وأنه لايوجد شعر على بشرتهم البنية كما أن هناك انحراف في الجفون . والكالينجا طوال القامة وقد وصفهم بارتون Barton بانهم عراض الاكتاف ضيق الارداف أنيقين أقوياء ، والكالينجا وغيرهم من القبائل الجبلية قد تأثروا كثيرا بالطبيعه في صفاتهم وذلك عن طريق وشم أجسامهم وحشوو تسويد أسنانهم Blackening وتزين الشعر ووضع الزهور في ثقوب الاذن . ويترك شعر كل من الجنسين لينمو طويلا إلى الخلف كما يقطع على هيئة قصة من الأمام:

والملابس بسيطة فهى على هيئة حزام أو رباط يأخذ حرف G أو بنطلون قصير بالنسبة للرجال أما النساء فهو عبارة عن الساروينج Sarong (١) . وفى بعض الأحيان يرتدى النساء والرجال صديرى قصير جدا حيث يترك جزءا كبيرا من الصدر عاريا .

أهم محصول زراعى لدى الكالينجا الأرز ، ويليه فى الأهمية محصول الموز وقصب السكر والبطاطا والبسله . أما أشجار الاريقة Areca palms فتزرع من أجل الجوز الذى يمضغ فى كل مكان فى نطاق تواجد الحضارة الأندونيسية . وتزرع كذلك أشجار جوز الهند والبامبو . ويربى جاموس الماء أو الكاراباو Carapao والخنازير والطيور وقليل من الماشية كحيوانات مستأنسة ، وتأكل لحوم جميع هذه الحيوانات بما فيها الكلب غير أن الاستخدام الرئيسى لجاموس الماء هو حرث وتسوية الحقول . ويأكل البعض كما يشرب لبن الجاموس والأبقار غير أن انتاج كل منها ضعيف حيث يستخدم فقط كدواء للاطفال الضعاف .

وعلى الرغم من الزراعة كثيفة ومنتجة إلا أن وسائلها بسيطة فتسوية الأرض وحفر القنوات المائية كلها انشاءات وأنشطة تنفذها أيدى عاملة تستخدم جاورف خشبى بسيط . وإعداد الحقل بعد تسوية وعمل أحواضه يتم عن طريق عددا من الجاموس الذى يدفع للدوران مرارا فى الحقل إلى أن تتحول التربة إلى كتلة سميكة وعميقة من الطين حيث يزرع بعد ذلك محصول الأرز ثم يشتل باليد كما يحصد ويزرع باليد أيضاً . وبعد الحصاد وقبل أن تغمر الأرض بالمياه من جديد استعداداً للزراعة تجمع التربة العليا وتكوم من أتلال صغيره والتى يزرع

(١) اللباس الرئيسى لكلا الجنسين فى ارخبيل الملايو ويتألف من قطعة من القماش تكشف الجزء الادنى من الجسم على شكل تنورة

عليها بعض نباتات الحدائق .

ويبنى الكالينجانيون منازل جيدة وواسعة وهم مرة أخرى مثل مواردهم يفوقون فى هذا الصدر كل القبائل المجاورة لهم . فمنزل الكالينجلى العادى على شكل مربع طول ضلعه يتراوح مابين ١٥ و ٢٠ قدما ويشيد على أكوام ترتفع بضعة أقدام فوق الأرض وإذا ماكان صاحب المنزل ثريا فيأخذ المنزل شكل المثمن Octagonal وتصنع الارضية والجدران من أسلاخ البامبو على حين يبطن السقف من السعف وقد يوجد عدد من التعديلات الاضافية فى تركيب المنزل فقد يصنع مدخنة فى سقف المنزل أو قد ترفع أرضية المنزل عند جوانب الحائط لتكون مكان للنوم . أما موضع الموقد فيحدد فى مؤخرته بينما يبنى فى مقدمة المنزل مايشبه البلكونة الضيقة ، ورأضية البامبو من أسهل ازالتها ولذا فيمكن للزوجة أن تحملها إلى النبع عدة مرات أسبوعيا لغسلها وتنظيفها .

ويعتمد التنظيم الاجتماعى عند الكالينجا أساساً على نظام القرابة على الرغم من أنه يوجد تنظيم حكومى وسياسى هام والذى يتجاوز عنه فى بعض النقاط . فالأسرة البسيطة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال وأحيانا بعض الاقارب المتصلين هى المجموعة التى يضمها منزل . وقد يتجمع سويا مجموعة من المنازل وساكينها ليكونوا عشيرة والتى تعتمد الرابطة بينها على الثنائية أكثر من الوحدويه أى يعتمد على أساس أبوى أو أموى . فالفرد يعرف كقريب إذا كان متصلا بأحد جدى الإب أو الام بحيث يمكن ارجاع قرابة الفرد فى الجيل الواحد حتى العم الثالث .

ومصطلحات القرابة التى تستخدم فى المخاطبة تتبع النظام البولينزى الذى يفصل بين الاجيال المختلفة غير أنه يعمم بينهم . ومن ثم فمصطلح Apo يشير إلى

الجد أو ابن الجد أو أى قريب آخر ينتمى إلى جيل الجد ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على الاحترام الشديد ولهذا فيميز القريب عن طريق مخاطبته بهذا المصطلح حتى ولو كان من سنه . أما مصطلحى Ama و ina فيستخدما الاشارة تبعا إلى الأب والأم ولكن قد يمتد استخدامها فى بعض الأحيان إلى أقارب هذا الجيل .

وتوجد مصطلحات أخرى تستخدم فى الاشارة أكثر من استخدامتها فى المخاطبة وذلك لتميزا أوضح لاقارب بعينهم كتمييز أبناء الأعمام عن أبناء النسايب أو أبناء العم الثانى عن أبناء العم الأول أو غير ذلك ولكن لايوجد أى مصطلحات للتفرقة بين أبناء العمومة اللزم وأبناء العمومة المختلطين وذلك ربما بسبب نقص الزواج من الاباعد . ومصطلحات المخاطبة بسيطة جدا وعمومية وربما سبب ذلك أن وظيفتها كعناوين للاحترام أكثر منها ألقاب حيث تستخدم الاسماء الشخصية فى المخاطبة والاشارة ولايشذ عن ذلك إلا فى حالة الحمى والحماه فكما هو الحال فى كل المجتمعات البدائية لابد أن يلقيا احتراما زائدا بمعنى أن مصطلحات القرابة تفضل هنا استخدامها فى المخاطبة عن اسمائهم الشخصية .

وقد ترتبط أفراد العشيرة أو مجموعة الاسر مع بعضها بالزواج الذى قد يجمع بين عائلات متباعدة أو غير متقاربة والريف مزدحم بالسكان وذلك بالمقارنة بمناطق معظم الجماعات البدائية وأنه طالما وجدت رابطة القرابة كأساس للتنظيم الاجتماعى فإنه من المرغوب فيه أن تتوسع الروابط القبلية أو العائلية لأكبر مدى ممكن ولذا يحرم الكالينجا الزواج من الأقارب الذين تصل درجة القرابة اقل من ابن العم الثانى . ولاتأخذ هذه القاعدة الاخيرة صفة الدوام .

اما الليفيرات *Levirate* أو السورورات Sorcrate أى زواج الاخ لارملة أخيه أو زواج الأخت لأرامل الاخت الاخرى والذى يعتبر شكلا عاما للزواج

فى المجتمعات والحضارات البدائية فلا وجود له فى مجتمع الكالينجا . وإذا كانت الروابط قد تقوى بين العشائر المختلفة نتيجة لتكرار الزواج بينهم غير أن الكالينجا حريصين دائما على الرغبة فى توسيع روابطهم لا عرض جبهة إذ يرددون أنه لاداعى لضياع الزواج فاعائلة أخرى يمكن أن تنضم الينا بزواج واحد .

والإقليم كوحدة سياسية وجغرافية للمجتمع يتكون من الاسر أو العشائر التى بينها نوعا من النسب ورابطة القرابة . وقد خلق هذا الموقف نتيجة الزواج القرابى ، فالزواج خارج الحدود الاقليمية مرفوض . ومن ثم فالاقليم هنا يشبه فى كل نواحيه العملية القبيلة . وعلاقة أى أقليم من هذه الاقاليم بالاقليم الاخر لابد أن تكون مضطربة أو فى حالة السلام لابد أن يكون هناك بينها اتفاق عن طريق الوسائل السياسية أكثر من الطرق المعتادة بين الجماعات البدائية والتى تربط بينها القرابة الحقيقية . ويعتبر الكالينجا فى هذا الصدد مثلا واضحا للمجتمع الموجه بالقرابة والذى خلق بدايات القانون العام ونظم العلاقات الداخلية فى الاقليم عن طريق التنظيم داخل القبيلة ذاتها . وبعبارة أخرى فيعتبر الكالينجا مثلا لبداية لتنظيم الارض كدولة فرضت على تنظيم أدنى على أساس كامل من القرابة

ويعتبر اقتصاد مجتمع الكالينجا بدائيا من نواحى عديدة فهو يرتكز على توزيع البضائع على الإنساب ولكن كنظام اجتماعى سياسى فله بعض صفات المجتمع المدنى . ويتضمن المميزات القبلية اشياء عديدة مثل سهولة الحركة من اجل الصيد والقنص داخل الحدود واراضى الرعى ، وتقسيم الصائد لفريسته على الاقارب ، والتركيز على الكرم واعطاء الهدايا ، وعلى الصالح العام لكل العشيرة فى أى عمل يقوم به أى فرد من المجموعة . فقد دخل إلى الحياة الإقتصادية بطريقة او اخرى شيوعية بدائية حيث لايوجد شخص مكتفيا ذاتيا .

وقد تطور اتجاه الملكية الخاصة على أي حال كثيراً في بعض النواحي الاقتصادية ومن ثم فهناك في ثروة الأفراد داخل العائلات .

فحق استغلال الفرد لأرضه معروف وذلك إذا ما توسع الشخص في العمل بها من أجل انتاجها . فعلى سبيل المثال مجموعات البامبو البرى فى متناول الجميع ولكن إذا ما قام شخص بتنظيفها وترتيبها فنى هذه الحالة له حق وضع يده عليها . ونظراً لأن الأراضى الجبلية فى مجتمع الكالينجا غير صالحة للرى لذا فزراعتها تتطلب مجهوداً ضخما حيث لا بد من تنظيفها وتسويتها ثم عمل أحواض وحرثها وشق قنوات مياه اليها . وحيث أن مثل هذا العمل يتطلب وقتا طويلا وعدد من أفراد الأسرة لذا فينظر اليها على انها من ممتلكات الأسرة . ونظرا لأن الرى يجدد التربة فلا تنزع حقول الارز بمعنى أن حقوق المستأجر قد تعطى داخل فرعه فى العائلة .

أما الاراضى التلالية غير المروية حيث يزرع البطاطا والبسلة فقد تفقد خصوبتها بعد عامين أو ثلاثة ومن ثم فهى أراضى مهجورة ، فقد يبقى المزارع الاصلى حق استأجرها وإذا ما فعل ذلك يكون له الحق فى العودة لزراعتها مرة ثانية ، وإذا ما بقيت فترة طويلة دون زراعة ورغب فرد آخر أن يزرعها فلا بد للشاغل الأول أن يعطى إذن للثانى . بمعنى أنه لا بد أن يزرعها بنفسه أو يعطى هو حق زراعتها لآخر .

وإذا ما امتلك شخصا حقـــل أرز فلا حقوقا كاملة له عليه ، فلا يستطيع التصرف فيها كما يشاء إذ أن الأرض تمتلكها الأسرة وأن المالك الحالى يمكنه أن يبيعها فقط فى حالة الازمة الخطيرة حيث يتدخل كبار العشيرة فى هذا الصدد كما أنه لا يستطيع توريث الأرض بسهولة إلى هؤلاء الذين ليس لهم حق الميراث

على وجه الخصوص فى صالح السلف والاباء . فأكبر الأبناء يرث أفضل حقول أبيه فى الوقت الذى يقيم فيه منزله ، كما أن الابنة الكبرى ترث أفضل أراضى أمها . أما الابن الأصغر فيحصل على أراضى أقل جودة بينما الطفل الاصغر سواء كان الأخ أو الاخت ففى العادة يمكثا مع والديه بعد الزواج ويحصل فى نفس الوقت على ما ابقياه والديه من ممتلكات لكى يقيما أودهم أو أى ممتلكات أخرى حصلا عليها بعد توزيع ممتلكاتهم السابقة على بينهم .

وقد كان من نتيجة التأكيد على نظام السلف ان تمتع الابناء الكبار سواء كانوا ذكورا أم اناثا بمراكز جيدة فى المجتمع غير أنهم ليس لهم السيادة دائما كما هو الحال فى بولينزيا حيث يورث الممتلكات والوضع الاجتماعى للأب إلى أكبر الأبناء بدون تقسيم ويصبح الاخ الأصغر تابع كامل له .

ووضع المرأة فى مجتمع كالينجا وضع مطمئن تماما وذلك لأنهم يورثوا كما يورث الرجال تماما . ووجود فرعين متوازين من الممتلكات أى من الأب والأم تجعل الزواج هش وذلك لغياب الملكية الزواجية . وتستطيع المرأه أن تطلق زوجها بحرية بدون قلق على المصاعب الاقتصادية وذلك لأنها تملك السيطرة على ممتلكاتها . وحينما يموت رجل متزوج فلا ترث أرملته أى ممتلكات له لأنها من صالح الابناء .

وحقوق ملكية المياه تخضع لنفس الاسس التى تطبق على الأرض فالشخص الأول الذى يستغل النظام المائى له الحق الأول فى استخدامه وعلى الزراع المنتفعين أن يدفعوا له لكى يأذن لهم بتحويل المياه إلى حقولهم ، وإذا كانت المساحة كبيرة للحقول التى تستخدم المياه من مجرى واحد تصبح حقوق التدفق معقدة ولكن دائما يتبع نظام الاسبقية للمستغلين الاصليين حيث يحق لكل واحد

منهم أن يوزع المياه الواردة اليه من أعلى المجـــرى . وفى حالات نادرة حيث يروى مصدر مياه واحد أكثر من اقليم تحدث المنازعات الدائمة . وقد يبدو ذلك أمراً لا مفر منه إذ أن المياه دعامة أساسيه للاقتصاد ولأن الاقطاع والصراع الطويل أو الحروب بين الاقاليم التى تشارك فى المياه قد تؤدى إلى كارثه ولذا تكون العلاقات السياسية بين الجماعات هى نتيجة لهذا التداخل .

عامل آخر يتصل ببعض سمات الدولة السياسية لمجتمع الكالينجا كمية التجارة داخل الاقاليم الكالينجاوى وبينهم وبين الاقاليم الاخرى . ففكرة انتقال الملكية لإعتبارات متعددة رسخت بقوة . ففى معظم المجتمعات البدائية تتم التجارة عن طريق تبادل الهدايا ، ولكن حتى ولو كانت التجارة مجرد مقايضة شىء بأخر فإنها تجارة مباشرة ولا يشترط وجود نقود فى العملية . فى مجتمع كالينجا لا يوجد نظام نقدى إذ خصصت سلعة معينة كوسيلة لتبادل ومقياس للقيمة ومن ثم فهم قريبين من هذا النظام .

فكل القيم الكبيرة تحسب بالنظر إلى قيمة الجاموس كما أن الدفع يكون غالبا بالجاموس . الوحدة الثانية الاصغر هى الخنازير إلى أن يصل إلى نوع من وحدة التبادل اطلق عليها بارتون Barton اسم Heirlooms وهو أي شىء ذات قيمة خاصة يورثه جيل إلى جيل ومتاع الكالينجا يستخدم كعملة للتبادل لأنها لا تستهلك ولأنها بجمعوها ونظرا لأنها تضم أنواعا عديدة من الامتعة وعلى درجة كبيرة من الإختلاف فى القيمة . وبعض تقييمهم يشبه أحيانا التبادل الحديث فى كونه مجرد رمز له قبول جاهرى أكثر منه قيمة حقيقية .

وكما هو الحال فى أندونيسيا فكل شىء تقريبا كالسرير أو الطبق أو البلاص أو الحلق أو العقد أو أى شىء تحتفظ به الاسرة لفترة طويلة يكتسب نوع من

القيمة التذكارية . فحلق ذهبي أو سلسلة من الخرز ربما يكون لها تاريخ يعرفه كل فرد ومن ثم تكون قيمته مرتفعة وبالعكس الاشياء الجديدة أو التي تاريخها حديث تصبح قيمتها أقل .

وحينما يباع جزء هام من ممتلكات فرد فلا بد وأن يعطي جزءا من الثمن المشتري به كهديه لمجموعة الاقارب مع إختلاف في نسبة العطاء تبعا لدرجة القرابة . وكلما زادت أهمية الشيء المباع كلما اتسعت دائرة القرابة المستفيده من مبلغ الهدية . وتظهر هنا نوعا من الشيوعية البدائية حيث يأخذ شاغل أو مالك حقل الارز النصيب الاكبر . وتتركز الملكية الفردية فقط في الملابس الشخصية والادوات والزينة . والخلاصة أنه بالنظر إلى الملكية ونمو النظام النقدي والقانون والسياسة والحكومة نجد أن مجتمع كالينجا يقف على الطريق بين المجتمع القبلي المقارب والمجتمع المتمدين .

ويؤثر في البيع وكيلين عن البائع أحدهما يمثل أقارب الزوجة والاخر الرجل حيث يناقش صورة البيع وإذا ما تم الاتفاق بين الاقارب يسمح بالبيع بعد تحديد السعر ومن ثم يبحث الوكلاء عن المشتري . وفي منزل المشتري وبعد المداولة يأخذ الوكيل وعاء من رف المشتري ويضعه على الارض حيث يتأمله كل فرد لبضعة دقائق في سكون تام . فإذا ما عطس أحد في تلك الاثناء أو صدر عن أحد فعل غريب تلغى الصفقة .

وإذا لم يحدث شيئا يلتقط المشتري الإناء ويعطيه للبائع ، وتكون هذه العملية بداية سلسلة طويلة من الاحتفالات تنتهي بالدفع . ويأتي أقارب البائع بعد ذلك فرادا ليساوموا على انصبتهم . حيث يكون هناك تفاهما مع المشتري على الجزء الذي سيدفع لهم ، كما أن المشتري ذاته بالطبع سيدفع جزءا لاقاربه كما أنه لن يكون

المالك لها الوحيد بعد شرائها .

وإذا ما أخر البيع أو قسط فيتضمن الدفع فى هــذه الحالة فكرة الدين ، حيث لا يسقط الدين بموت المدين إذ تورث كل الإلتزامات . وقد يجمع الدين أحيانا عن طريق وضع اليد على أملاك قبيله المشترى ولكن فى معظم الاحوال تبذل محاولة لتوبيخ الدائن وإذا لم يستجيب فى بادىء الأمر ولاسيما إذا كان من منطقة أخرى فإنه يضع يديه على ممتلكاته بمعنى أن المدين قد يذهب إلى بيت الدائن ويقيم فيه ولايجرء أحد على طرده لأنه يكون فى منزلة الضعيف المقدس وهذا ما يدفع الدائن ليبذل مجهود كبير لجمع المال من أقاربه .

والتجارة بين الأقاليم المجاورة قد تكون عاملا قويا وراء نشوب الحرب بينهم إلا أنه مجتمع كالينجاقد إتخذ من التجارة وسيلة لإقامة عــلاقات سلمية داخل الاقليم . فإنتشار مؤسسات المشاركه التجارية قد ساعدت على صياغة هذه العلاقة السلمية التى تسود فى الاقاليم التى يقطنوها ، فمسئولية التجار تقوية العلاقات السلمية بين أقاليمهم . وهذه قد تكون وظيفة سياسية فى مضمونها إذ ان التجــار هو المتحدث عن إقليمه والممثل له فى أى علاقة من الأقاليم الأخرى . ويظهر عنصر قوى للمجتمع البدائى فى هذا التنظيم إذ ان التاجر أو المسئولين عن هذا النشاط يكون اخوة إحتفالات وتنطبق عليهم كل التزامات الاخوة الحقيقيين .

وقد يظهر مفهوم الدولة فى الاقليم من الأشخاص المعروفين باسم بانجات Pangato ، وهؤلاء الرجال الذين يمثلوا ارستقراطية الاقليم لهم نفوذ على بقية أفراد المجتمع ومهمتهم الأساسية هى حفظ السلام فى الأقليم . بمعنى ان البانجات ينظر لمصالح كل الناس وليس مصالح ذوية فحسب . ويمكن للشخص أن يصل إلى منصب بانجات عن طريق شخصيته القوية كما انه لابد أن يكون ارستقراطيا من

أسرة غنية وفى نفس الوقت تكون له الصفات الشخصية التى تجعل الآخرون يحـــترمونه .

وفى سبيل إستقرار مجتمـــع كالينجا يكون دور البانجات الرئيسى هو دور الوسيط فى المنازعات ، فإذا ما وقع ضرر على أى مجموعة من فرد من مجموعة أخرى فقد يؤدى ذلك إلى قيام الحـــرب بينها ولذا يحاول البانجات ان يسوى النزاع عن طريق دفع تعويض مرضى للمجموعة المضارة . ويعد مثل هذا العمل من سمات المجتمعات المتمدينة ، كما انه عند الكالينجا مظهـرا من مظاهر السيطرة على أسلوب الحياة وذلك نظرا لعدم وجود قوة قانونية منظمة يمكنها أن تصدر أحكام يقبلها عرفى النزاع .

وإذا ما فرض تعويض على الشخص المذنب إلا انه ليس من الضرورى فى مجتمع كالينجا أن يأخذ على الفرد ضمان يحول دون تكرار ما افترض بل يترك الفرد ليصلح من نفسه حتى لا يفقد مركزه . ويبدو بصفة عامة ان نظـام كالينجا السياسى يمارس وظيفة وساطه متقدمة أكثر من كونها وظيفة تشريعية حقيقية. فاقرب إلى القوة الملزمة وأبسط مفهوم للدولة يتمثل فى تهـــديد البانجات الذى يدفع إحترام الأهالى له وخشيتهم ايها إلى اجبارهم على قبول أحكامه .

والحدود الاقليمية لمجتمع كالينجا هى حدودا تذكارية لدولة حقيقية فى نظـر الأجانب أكثر منها فعلية . فقد تحدد الحدود الاقليمية ويعاد تحديدها لا عن طريق أفـراد العشيرة فحسب بل بواسطة كل أفـــراد الأقليم ، كما أن فـكرة العضوية فى الأقليم تشبه فـكرة المواطنة والتى يمكن تعريفها بمقومات أكثر من مصطلحات القرابة! مثل الميلاد والاقامة داخل حدود الأقليم. فقد تبرم المعاهدات كما تحترم العلاقات التجارية الخـارجية وتحمى .

وقد تكون الحـــدود الاقليمية النمطية لكالينجا صورة أخرى لمجتمع عشائرى راقى Supra kingship society على الرغم من المجتمع القبلى الأصلى لايشمل أى طبقات عائلية من المفهوم الحديث الا أن عشائر كالينجا القوية المتأصلة تنقسم بواسطة أسر نووية مستقرة والتى تشغل مستويات متميزة فى الإقتصاد العام وترتبط فى ذلك بوضعها الإجتماعى فعلى قمه التنظيم الطباقى توجد جماعة البانجات القليلة العـــدد العظيمة التأثير . وتحتهم توجد طبقة الكادانجيان Kadangyan التى تضم جماعـــة الارستقراطية من مجموعات العشائر . ومن ثم الطبقة العادية أو المتوسطة المعروفة باسم باكنانج Baknang وطبقة الفقراء أو الكابوس Kapus . والفرق بين الطبقة العليا والطبقة السفلى كبير لدرجة ان العديد من طبقة الكابوس لا يمتلكون شيئا ولذا لابد وأن يعملوا إجـــراء ولاسيما وان بعض الأغنيـــاء يمتلكون أراضى تكفى لتشغيل عدد من الاجراء لزراعة الأرض عن طريق المشاركة . وتشبه العلاقة بين المالك والمستأجر علاقه التبعيه فلابد للمستأجر فى مساعدة سيدة إذا ماوقع عليـه سوء أو أصيب بضرر بينما على السيد أن يساعد المستأجر فى أوقات مرضيه وأزماته . فهى علاقه سيد مالك بشريف مفلس ، غير أن العلاقه تشبه القرابه بل أكثر من اثنين متقاربين فى بعض الأحوال .

وتنظم الحياة اليوميه فى كالينجا علاقات القرابة فى مجتمع قبلى نمطى . ولا يشذ عن ذلك إلا بعض الحالات القليلة النادرة التى تطغى فيها الإعتبارات السياسية القومية على مصالح العشيرة . وفى معظم الأحوال لم يفقد الكالينجانيون السمات الكاملة للمجتمع البدائى إلا انهم قد أضافوا قليلا من المظـــاهر السياسية لكى يتمكنوا من معالجة أمورهم الخاصة . فنظام العشيرة فى أخذ الثأر مثلا لم يتوقف

بمعاهدة السلام أو بتأثير البانجات ، فدفع التعويضات والحادثات التى تأخـــذ مجالا هنا بين الجانبين المشتركين فى الواقعة تهدف إلى عـدم الرغبة فى الصـراع بينهما لسبب أو لآخر وفى الواقع قد ترتبط اعتبار شخصية بقيادة مجموعة صيـد الرؤوس Head - hunting وهى إحدى الوسائل البدائية للحصول عـلى المركز المرموق بعيدا عن الوسائل المورثه لواحد فقط. هو الذى يمكنه قيادة مجمـوعة صيد الرؤوس حيث يضع وشما مميزا ويحترم رأيه فى المناقشات الهامة .

وينظر دائما إلى جملة صيـــد الرؤوس على أنها عمل إنتقامى ولـكنها تعتبر لدرجة كبيرة عمل غير شخصى . فالضغينة ضد شخص من عشيرة أخرى أو ضد جماعة تعيش فى اقليم بعيد قد تورث لعدة أجيـال ولذا فالانتقام قد يوجـه إلى أحفاد مؤسس الضغينة . وهكذا قد تحدث الاعتداءات بسهولة وتهاجم مجموعة أخرى لم يسمع أفرادها عن أسباب الانتقام أو عن الرغبة فيه .

وتتكون الحملة فى العادة من خمسة أو ستة رجال الذين يتسللون إلى حدود الخصم وينتظروا فى الادغال إلى ان يتصيدوا أحد . وبعد أن تقتل الفريسة تنزع الرأس من الجسد وتحمل معهم إلى أقليمهم حيث يعقدوا احتفالا كبيرا توضع فيه الرأس على عصى ويرقص الجميع حولها ثم تتناول المجموعة المحاربة بعد ذلك المخ ممزوجا بعصير قصب السكر . وتمارس هذه الشعائر من أجل اعتقادهم أن احضار رؤوس اعدائهم تزيد من خصوبة حقولهم وحيواناتهم المستأنسة ونسائهم كما انها تحسن الثروة العامة . ويحرص الابناء الصغار على وجه الخصوص للاضطلاع بدور فى مجموعة الحرب وذلك لأن مركزهم أقل من مركز المولود الأول وأن المكافأة التى سيمنحها الأب لهم عقب إداء المهمة قد تذهب لاعطائهم بعض الحقوق التى اعطاها من قبل لاخيه أو يعطيه مجالا لاختيار حقول أخرى .

ويعتبر ميلاد الطفل الأول للزوجين حادث هام حيث أن ميلاديثبت الأسرة على الرغم من الذرية بعدذلك أقل قيمة ، وتعتبر زواج الكالينجا نوعا من الزواج الاختيارى Trial marringa إلا أن يأتى الطفل الأول . وسلسة الاحتفالات والأعياد التى يقوم به أقارب الزوجين ليست بجرد لاعلان مولد طفل والترحيب به كعضو جديد إنما لاشهار أن المجموعتين أى مجموعة الأب ومجموعة الأم قد اتخذا سويا بقدوم هذا الطفل .

ودخول الطفل فى مجتمع كالينجا أمر طبيعة وذلك عن طريقة تقليد الطفل للأشخاص الكبار . والشيء الوحيد الذى يلقن للطفل هـــو تاريخ المجموعة العشائرية ولاسيما فيما يتعلق بالمشاكل والأعداء والديون ومايتضمن هذه المسائل بين علاقات جماعات أخرى . بعض الأمور الأخرى مثـــل جغرافية المنطقة ، والأمثلة الشعبية والاساطير والرقص والدين فجميعها يتعلمها الفرد من المجتمع عفويا فكما أن المفروض ألا يتعلم الأطفال المشى أو الكلام كذلك ليس هناك محاذير نحو أى سلوك معين حتى ولو كان خطر على الطفل .

وما أن ينقدم الأطفال فى مرحلة الطفولة حتى يبدؤا تدريجيـــا فى ممارسة أنشطة البالغيين . فيشجع الصبية على وجه الخصوص للشجاعة وعدم رهبة القتلى فحينما يحضر مجموعة صيد الرؤوس أو مجموعة الحرب جثة عدو إلى مكان العشيرية يسمح على للأطفال بطعنها وقطع لحوم من عظامها . وقد يتخذ البانجاتى خطـوة اجرىء من ذلك فيدرب أبنائه على اشياء حية فعلى سبيل المثال قـد يشجع على الانقضاض على قروى فجاءة وطعن معقدة بالرمح وقد يحتى الصبى مركزا هاما بين اقرانه نتيجة لهذا العمل .

وما أن يصل الأطفال إلى سن عشر سنوات حتى يتركوا منازل ذويهم ويذهبوا

إلى نوع من المنامة العامة مع مجموعة اقرانهم من نفس النوع وسـرعان مايترك الصبيان والفتيات للاختلاط بحرية وتقضية أوقات ممتعة . فعدم مسئولية الكبار ـ التى تسبب مشكلة للاباء فى المجتمع الحديث ـ تعتبر هنا مسائلة طبيعية بل أن حرية الأولاد تأكد بابتعادهم عن مقر الابوين ، غير أن الزواج الذى يحدث طالما اعتبر الغلام ناضجا يصحبه كثيرا من التغير .

وينشغل أطفال الكالينجا دائما بالزواج منذ صغرهم. فقد يخطب الاباء لابنهم فتاة قبل ولادتها . فقد يتقدم والدى الطفل بالعرض بطريق غير مباشر أولا حتى لا يشعوروا بخجل إذا ، رفض مباشر من عائلة البنت . وإذا ما قبـل العرض يتناولون الهدايا وتقام وليمة . وقد يتبادل المجموعتان بين ذلك الهدايا باستمرار طالما هذا الاتفاق قائم. وقد يقـام حفل كبير يحضره أقارب المجموعتين وذلك كإشهار لحفل زواج الصبى والفتاه . وبعد ذلك يعيش الزوجان فى منزل اسرة لمدة ثلاثة أو أربعة شهور ينتقلوا بعدها إلى مقرهم الخاص والذى يكون فى العادة بالقرب من منزل الفتاة . وبعد ميلاد الطفل الأول تقام حفلة يعطى فيها أهل الولد الهدايا إلى جميع أقارب اهل الفتاة حيث يعتبر الزواج منذ هذه اللحظة قائم على اساس متين .

والطلاق مسألة شاسعة بين زواج الاطفال ولـكن قد يحدث ايضا بعد ميلاد الاطفال . والسبب فى معظم الأحيان يعود إلى فشل احد الزوجين فى القيـام بمسئولية المنزلية ، أى الطلاق بسبب عدم الثقة أو الغيرة الجنسية فنادر جدا . فالزوج عليه أن يقوم بالاعمال الصعبة فى الحقل مثل الحرث وتسوية الأرض وتنظيفها كما عليه أن يتحمل جميع أمـور الأسرة من بيع وشراء وسيـاسيه أو المشاركة فى الانتقام لضرر اصاب العشيرة. أما المرأة فيتقصر عملها أساسا فى المنزل وفى المساعدة فى الزراعة وحصد المحصول .

وقد يلجأ بعض الرجال فى طبقة أغنياء كالينجا إلى إبقاء خليله لهم فى قرى غير تلك التى يقيمون بها . وهذا أمر معترف به فى نظام كالينجا حيث تشعر المرأة فى هذه الحالة أن زوجها غير قانع . وقد يعترف بالأطفال غير الشرعيين غير أنهم لا يصلون أبداً إلى مراكز مرتفعة وذلك لأنهم لا يستطيعوا أن يرثوا أكثر من نصيب بسيط من ثروة أبيهم . وفى حالة عدم إنجاب الزوجة يلجأ الرجل للحصول على خليله حيث تساعده فى الاختيار زوجته .

ويعتقد الكالينجانيون أن المرض والموت المصاحب للضعف من فعل أرواح شريرة وغيور بها لأسلاف قضى نحبهم . ولذا فقد تتضمن شعائر الحزن نحر بعض الحيوانات كقربان لهذه الأرواح وإقامة الصلوات من أجلها . وقد يستغرق الشامان فى صلواته وشعائره فترة طويلة من الزمن تستمر يوم ونصف وذلك من أجل طرد الروح الشريرة من المريض . وفى مجتمع كالينجا نجد أن مهنة الشامان تتركز كلية فى أيدى النساء الكبيرات حيث يقلن أن أرواحن قد تزوجت من أرواح فيما وراء الطبيعة وأن الشعائر تقام لهم عن طريق الأرواح . ولا يوجد إلا قليل من الرجال الذين يمتهنوا وظيفة شامان غير أنهم يعملوا أساسا فى إقامة شعائر جماعات الغزو ولا يهتمون بالأجور الفردية .

وحينما يموت شخص مريض فإنهم يسيرون لمسافة طويلة من أجل إبعاد أرواح معينة وهى التى سوف تأكل الميت . وقد يوضع الميت جالسا على كرسى عريض حيث يجلس إلى جواره أرملته أو أرملها طوال الوقت الذى تستمر فيه الحداد . يقف كذلك والدة ووالد المتوفى مع أقاربه أمام المنزل ليصرخوا بأصوات عالية . وإذا كان المأتم لرجل مسن فتتسم المسيرة بالفرح والغناء وتقام وليمة وقد تبقى الجثة بدون دفن لفترة مابين ٣ و ١٠ أيام وتدفن بعدها فى حقول

الأرز . وفى اليوم العاشر يرتل الشامان أدعية لطرد الروح لعالم السماء عالم أرواح الأسلاف وبعد ذلك يوضع الأرز المطبوخ وعصير القصب المخمر وفى بعض الأحيان قبعة إلى جانب القبر لمدة أسابيع .

وتشمل آلهة كالينجا عددا من طبقات المخلوقات والتى أهمها إله كابونجان Kapungan الذى من أجله يضحى بالخنازير والدواجن والذى يعتقد أنه يزيد من خصوبة الحقول . ذلك إلى جانب الآلهة التقليدية الممثلة فى آلهة الرعد والبرق والرياح وبعض الأمراض المعينة ، والآلهة العديدة للظواهر والأقاليم الجغرافية . ومن العجيب أنه فى مجتمع زراعى لا توجد آلهة للشمس أو القمر. ومن مجموعة الآلهة أو الأرواح الآلهة المخيف بولاياو bulaiyao الذى يقبض ويأكل أرواح الموتى ، والآلهة أنيتو Anitu الذى يظهر على هيئة أشباح وأرواح الموتى والذى يلام دائما على المرض وسوء الحظ . وقليل من أرواح الأسلاف لها قدرة على معاقبة خلقهم على الأفعال الخاطئة ولا سيا تلك الأفعال التى تعتبر ضد مصلحة الأسرة . وقد تقترب هذه من دين مجتمع الكالينجا الذى يتضمن قيما خلقية وروحية .

ويتسم الرقص والموسيقى عند الكالينجا بأنه شعائرى لدرجة كبيرة غير أنه قريب من دينهم . فأعداد البامبو المختلفة الأطوال تعطى كما هو الحال عند غيرهم من الأندونيسيين أصوات مختلفة وهى أداة الإيقاع الرئيسية لديهم. أما عن الرقص فيذكر بارتون Barton « أن شيء جميل أن ترى الرجال يتقدمون ويتراجعون بينما تنبعث ضربات الموسيقى من الأفواه وتحيط بهم النساء اللاتى تراعين التوقيت ليتقدم للرقص فى مواجهة الرجال ولكن لينجانيون مولعون بالالوان البراقة لذا فقد يضعون على رؤوسهم أو فى آذانهم باقات الزهور » .

غير أن هذه الصورة لا توجد حاليا فى حياة مجتمع الكالينجا إذا أن الارداف الضيقة والأجسام النحيفه للرجال قد غطت بملابس قذره مهلهله كما ترتدى النساء ملابس فضفاضه لاشكل لها . وقد تمكنت مدارس البعثات البشرية والتى ضمت مدرستين أحدهما كاثوليكيه والأخرى بروتستانتية من ترك تأثير واضح ذلك بالاضافة إلى اكتشاف المناجم فى اقليم كالينجا وبناء الطرق قد وضع نهاية لعزلة المجتمع الكالينجاوى .

وقد حاول الامريكيون القضاء على نظـــام المجموعة صيد الرؤوس Head hunting منذ أن بسطوا نفوذهم على المناطق الجبلية الشمالية فى لوزون بعد عام ١٩٠١ غير أن العادات الخاصة بالعدل والتى من بينها نظام صيد الرؤوس كان من الأمور الهامة فى مجتمع كالينجا حتى عام ١٩٤٠ إذ إن المنازعات المحلية كانت ما تزال تدفع السلطات للقيام بعمل ضدها ففى عام ١٩٤٧ ظهر عنوان رئيس تحت باسم « حرب قبائل كالينجا تنتهى تقريبا» فى جريدة فلبينيه وتضمنت المقال ما يلى .

الحرب الاهلية فى كالينجا بين قرية مابو بختوت Mabongtut ولو بواجان Lubuagan ومانجالى mangali وتانوران Tanudan قد انتهت حديثا بتدخل الملازم ماريو بانس Bansen وانطونيو كانو حاكم لوبواجان وتبعا للمعلومات المستقاة من تلك القريتين فقد كانت الحرب مستمرة بينهما فى الماضى غير انه عقد بينهما حديثا معاهدة صلح أو على أى حـال فحتى شهر أغسطس كان رئيس قرية مابو بختوت الذى عقد الصلح قد مات وفى هــــذه الحاله كان على توقيع معاهدة جديده وإلا تتجدد الحروب القديمة مرة أخرى .

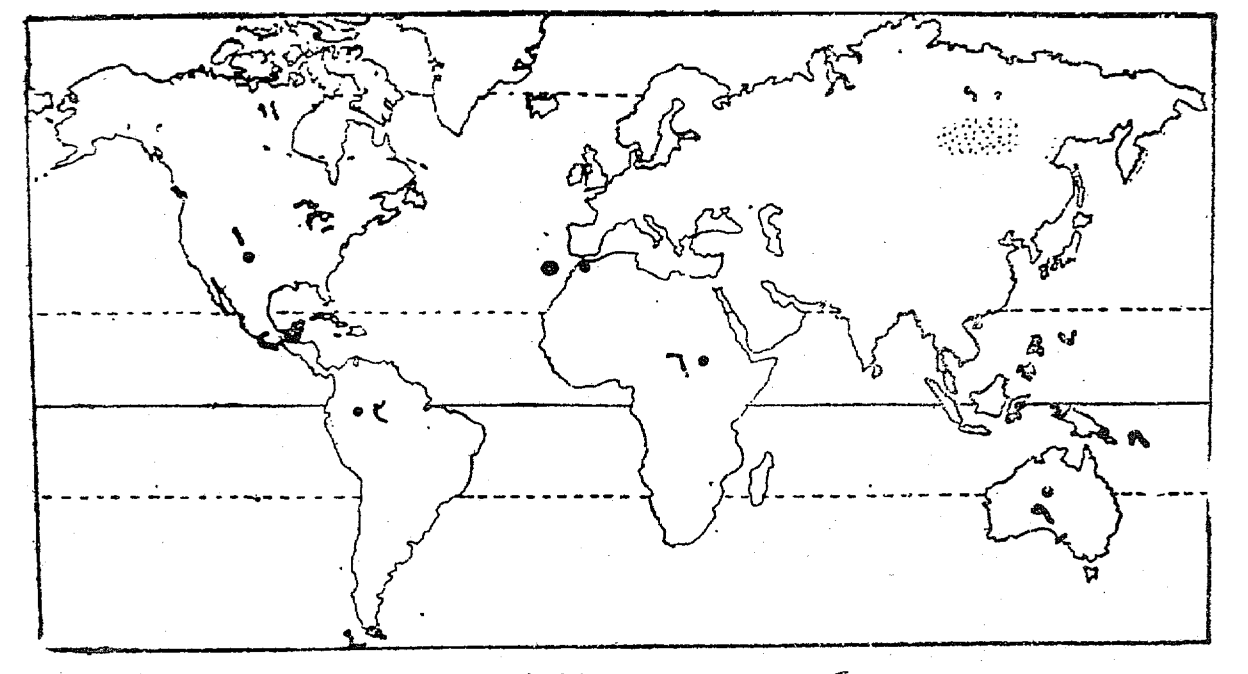
وفى هذه الظروف الغريبه لم تبذل أى محاولة لتجديد المعاهدة بين القريتين ومن ثم بدات الاضطرابات حينما تمت محاولة للقضاء على رئيس تانوران. ومنذ

تلك اللحظة بدأت الاوضاع تسوء واستعدت القريتان للحــــرب طبقا لتقاليد اسلافهم مع الفارق فى نوعية الاسلحة التى سوف يستخدموها الآن ولحسن الحظ فان تدخل الملازم بانس ورئيس كانو قد حال دون سفك الدماء فعقدت معاهدة جديده وتبادل رؤساء القــــرى الرماح كرمز للسلام واقاموا احتفالات استمرت اسبوعا .(شكل ١٣،١٤،١٥)

أما المؤسسات الأخرى المعترف بها فى النظام الـكالينجاوى فقد برهنت على قدرتها على الاستمرار فنظام دفع التعويضات ظل دائمــا مقبولا كفدية أو بديل ويأخذ الان شكلا واسعا : فلفترة طويله وحتى الآن مازلت المؤسسات والتنظيمات الـكالينجاوية تمارس كامل صلاحيتها على الرغم من أن حـكومة الجزر تفرض قانونها فيها ومن ثم يعاقب المذنب فى كالينجا مرتين أحدهما من الحـكومة والآخرى من عشيرته .

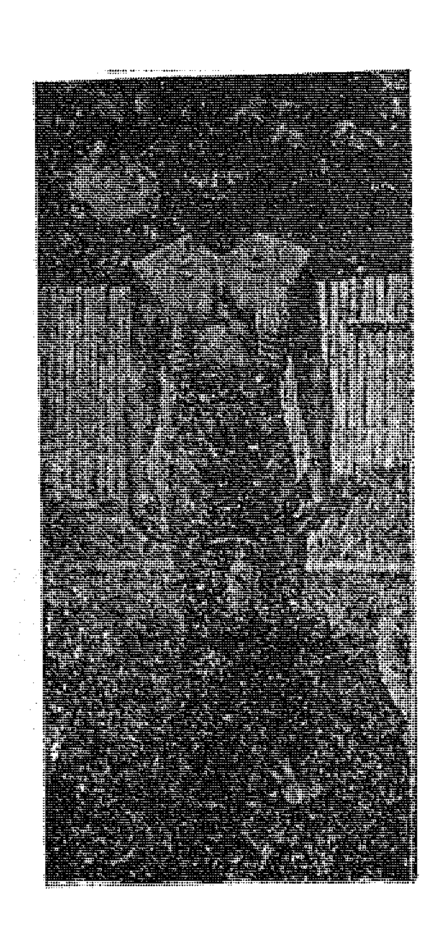
أما ديانه كالينجا فتموت ببطء غير أن الديانه المسيحية لم تتمكن بسهولة من أن تحل محلها . فقد قبل عدد من الـكالينجاوين عضوية الـكنيسه المسيحية غير انهم وجدوا من الصعب اتباع تقاليدها .

وبصفة عامه نجد أن تأثير الحضارة الأوربية على الجماعات البدائية فى الفلبين لم يـكن أفضل حالا من تأثيرها على الجماعات البدائية الأولى التى تعيش فى الاماكن الأخرى من العالم . فقد ظهرت الاوبئه بينهم فى فترات متعددة غير أن بارتون قد ذكر فى عام ١٩٤١ أن سكان كالينجا قد زاد عددهم . ويعمل تقريبا كل الرجال الشبان فى المناجم ، كما أن الثروه الاضافية الناتجه عن هذا العمل حسنت مستوى معيشتهم وبالاضافة إلى ذلك فقد نجحت الحضارة الاوربيه فى القضاء على أفــه الماشية وزيادة الرعاية الطبية فقللت من نسبة الموتى بين الأطفــال . وقد كانت اسهل وأسرع طريقة لتغير أسلوب حياة السكان فى هذا المجتمع البدائى هو الحاقهم بالمدارس نظير أجر يومى ومن ثم فيمكن التنبؤ ان أفراد مجتمــع كالينجا سوف يتحولون قريبا إلى مواطنين فلبيين كاملين وذلك من وجهة النظر الحضارية والقانونية

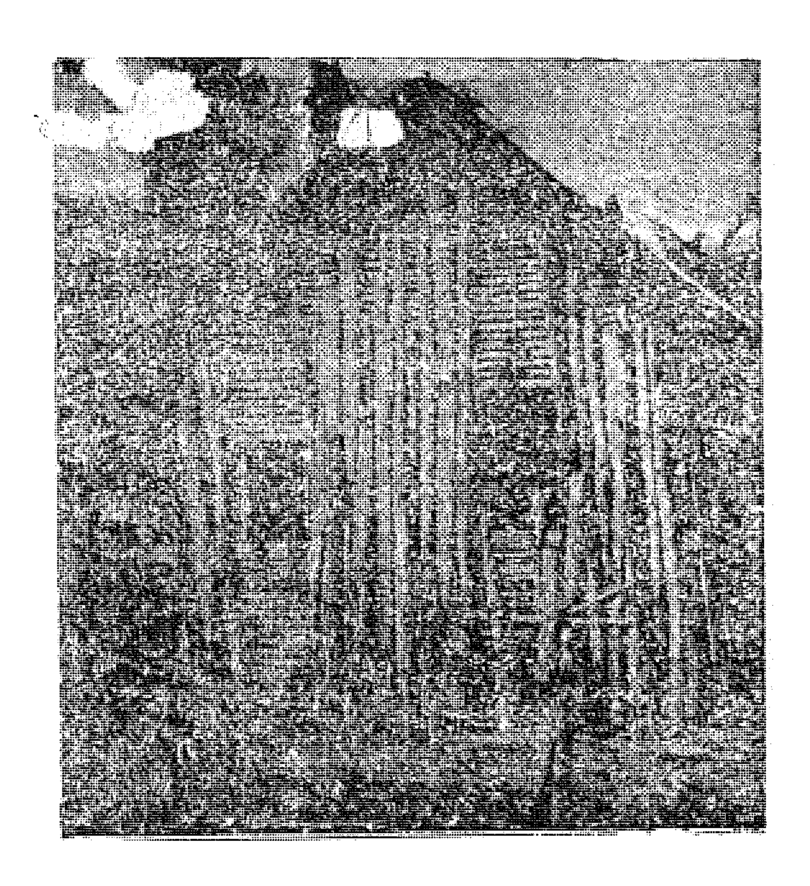


شكل (١٣) توزيع بعض الجماعات البدائية

١ ـ الشين	٥ ـ المديونه	٩ ـ الارنتا
٢ ـ المايا	٦ ـ النوير	١٠ ـ التانجوس
٣ ـ الجيفارو	٧ ـ الكالينجا	١١ ـ الاسكيمو
٤ ـ الياغان	٨ ـ التروبرياند	



شكل (١٤) شاب من كالينجا



شكل (١٥) كوخ السكالينجا

المـــــــايا

The Maya of Mexico

المايا

يرتبط التطور الحضارى للهنود الأمريكيين بمصدرين تاريخيين هامين الأول هى حضارة الانديز التى استمرت مزدهرة إبان اسرات ألانكا وحتى نهـــايتها . والمصدر الثانى هى حضارة أمريكا الوسطى ذلك الإقليم الذى يتفق مع الهضبة الوسطى جنوب المكسيك لتشمل يوكتان وجواتيمالا وجزءاً من هندوراس فى أمريكا الوسطى. هذان المصدران كانا مركزين تالحضارتين بكل ماتعنيه كلمة الحضارة حيث نظم المجتمع على أساس مدنى وكان الأساس دولة مدن city-state أكثر منه نظام عشائرى . وقد ميز هذا النظام كل القبائل الأخرى الهندية الأمريكية.

وقد كان إقليم أمريكا الوسطى وحدة حضارية وإن كان قد حال دون تجانسه الكامل الاختلافات الجغرافية والسيادة السياسية لبعض الأمبراطوريات الصغيرة التى بسطت نفوذها على مساحة من الأرض . غير أن هذه الدول المنفصلة والتى وجدت فى الإقليم قد شاركت جميعها فى الملامح الأساسية لحضارة أمريكا الوسطى .

ومن أشهر هذه الدول أو الممالك مملكة الازتك Aztec والتولتيك Toltec واللتان تركزتا حول مدينة المكسيك . وقد وجدت ممالك أقل شهرة ولـكن اشتملت على بعض التطورات الحضارية المؤثرة . فمملكة ميشواكان Michoacan بالمكسيك إلى الشمال والغرب من الأزتك كانت جزءا من أمبراطورية حربية قوية استطـــاعت أن تحتفظ بحدودها بين جيرانها . ذلك بالإضافة إلى أنه قد عثر على عدد من المواقع الأثرية إلى الشرق والجنوب من مدينة المكسيك مثل موقع شولولا cholula الذى يضم تطورات حضـــارية مشابهة وزابوتيك Zapotec وميكستيك Mixtec إلى الجنوب منها فى Oaxaca ومواقع أولميك

Olmec وتوتوناك totnac و Huastec على طول ساحل خليج تاباسكو Tabasco ومواقع فيراكروز التى لم تبحث بحثاً أثريا مستفيضاً وأخيراً فى منطقة إحراج يوكتان وإقليم بتن Peten فى شمال جواتيمالا والمناطق المحيطة بهندوراس توجد بقايا أهرامات حجرية وسلسلة من معابد المايا .

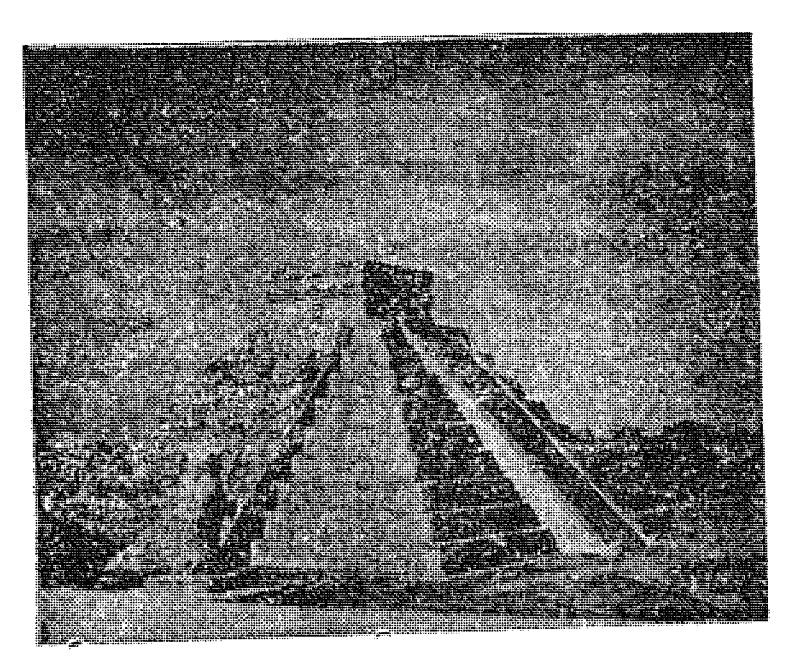
ومما هو جدير بالذكر أن المواقع الخارجية فى الأراضى المنخفضة للمايا والتى تحمل سمات حضارة أمريكا الوسطى قـــد نالت من اهتمام دراسة أساتذة علم الآثار ما لم ينله أى منطقـة أخرى فى العـالم الجديد حتى فى خلال القرن ١٦٠ م. كما لفتت آثار مراكز المايا نظر الأسبان فتركوا عديداً من المؤلفات عن حياة المايا حيث ظلت هذه المؤلفـات للأسف عدة قرون لم يعرف قيمتها ومن بينها كتاب عن تاريخ ووصف يوكتان ألفه القس ديجو دى لاندا Diego de landa فى عام ١٥٦٠ والذى وضع بنـاء على ملاحظاته بعد غزو الأسبان لهذه المناطق بفترة قصيرة . وهناك مصادر أخرى تتناول تلخيصا لتاريخ المايا القديم وللمستندات التاريخة التى خلفها هنود المايا بشأن الحروف الأبجدية الأسبانية والمكتوبة بلغة المايا .

وبعد الغزو الأسبانى لهذه المناطق انتشرت الأمراض الأوربية بين السكان وحتى اليوم نجـد أن انتشار الملاريا والحشرات فى جزء كبير من أراضى الأحراش المنخفضة قد جعلها تكاد تكون خالية من السكان . وكنتيجة لذلك نجد أن عددا كبيراً من بقايا ومخلفات حضارة المايا قد بقيت كمدن مفقودة Lost cites حتى القرن ١٩ حينما لفت عديد من الرحلات الإستكشافية نظر العالم الخارجى إلى هذه البقعة الحضارية . وربما كان من أبرز هذه الرحلات وأدلها تلك التى قام بها جون لويد ستيفنسون John lioyd stephens فى عامى

١٨٣٩ و ١٨٤١ . وقد ذهب جون لويد الأمريكى فى رحلين لهذه المناطق بصحبة فنان انجليزى حيث أصدر مؤلفين مزودا بعديد من الصور والرسوم التى قام زميله فى الرحلة فردريك بإعدادها وقدكانت هذه المؤلفات هى المسئولة عن إزكاء الروح العلمية للبحث عن حضارة المايا فى كل من أوربا وأمريكا .

وقد تم أول عمل أكاديمى عن المايا بواسطة الأركولوجى الإنجليزى السير ماودسلاى Sir Alfred Maudslay فى الفترة ما بين عامى ١٨٨١ و ١٨٩٤ ، كما أن أول بعثة علمية منظمة لدراسة المايا كانت بعثة المتحف الأركولوجى الإثنوجرافى لجامعة هارفارد والتى أرسلت فى عام ١٨٩٢ . أما فى الوقت الحاضر فأبتداء من عام ١٩١٥ استمرت مؤسسة كارجى فى واشنطن Carnegie Institution of Washington فى برنامج للدراسات والإستكشافات لم يسبق له مثيل فى أى إقليم أثرى . وقد ساهمت مراكز أخرى للأبحاث فى إزاحة النقاب عن حضارة ألمايا مثل الجمعية الإنثروبولوجية التاريخية بالمكسيك Instituto de Antropologia et Historia de Mexico ، ومتحف جامعة بنسلفانيا ، ومركز أبحاث جامعة مولدن بأمريكا الوسطى The Mildden American Reserch Institue of Tulane university ، والمتحف البريطانى ومتحف التاريخ الطبيعى بشيكاغو .

وقدكانت حضارة المايا مثيرة جدا العديد من الدارسين الذين تفرغوا لدراستها وتحليل عناصرها . فبقايا الأهرامات الكبيرة (شكل ١٦) والمعابد وفيرة وجميلة فى نفس الوقت الأمر الذى يدفع للتساؤل كيف تمكن الهنود الأمريكيين من بنائها فى تلك المناطق الصعبة . وربما أكثر إثارة السمات الذكية لحضارة المـــايا فنظام التاريخ على الرغم من تعقده إلا أنه كان يرتبط بالدورة الفلكية كما هو الحال فى



شكل (١٦) احدى اهرامات المايا فى يوكتان

أى مكان آخر فى العالم ، والكتابة الهيروغرافية التى ارتبطت بالحضارة الكلاسيكية فى شرق البحر المتوسط ، وفى الرياضة واستخدام الصفر وتغير موضعه العددى قد استخدم قبل أن يعرفه الهنود الأمريكيين حيث انتقل إلى الحضارة الغربية قبلهم .

ولسوء الحظ لا يعرف شيئاً عن أصول هذه الظاهرات الحضارية غير أنها ليس بالضرورة أن تكون مايأوية . فالنتيجة ونظام العدد والإهرامات والكتابة الهيروغرافية وغيرها من الأشياء كانت معروفة لكل مناطق أمريكا الوسطى . وعلى الرغم من أن بقايا قليل من الحضارات الكبرى القديمة فى العالم مثل تلك الموجودة فى كامبوديا وجاوة قد وجدت فى الغابات المدارية غير أن هذه الحضارات قد قدمت من الخارج إلى هذه المناطق حيث ازدهرت هنـــاك . وربما افترض أن الظروف الملائمة لتطور الحضارة لا بد أن تكون أكثر تخصصاً من تلك الظروف التى تتطلبها المرحلة الأخيرة من انتشارها وذيوعها . ومن ثم يبدو أن العناصر الأساسية التى كونت الحضارة قد نمت فى المناطق المرتفعة فى أمريكا الوسطى حيث أن ضبط المياه والتحكم فيها عن طريق الرى والصرف أدى إلى زراعة بدائية ومن ثم وجدت الحضارة المدنية بمقوماتها المناطق المرتفعة أكثر ملاءمة لها من المناطق الغابية الواطئة .

غير أن المختصين بدراسة المايا يعتقدوا أن أصحاب هذه الحضارة قد طوروا حضارتهم إلى مرحلة النضج فى المنـاطق المدارية . ولكن ليس هناك دليل على أن المايا قد طوروا العناصر الأساسية للحضـارة بأنفسهم أو أنهم كانوا سابقين لغيرهم فى أمريكا الوسطى لذا فيقترح بعض الباحثين أنه من الأفضل أن ننظر إلى المايا على أنهم يمثلون مظهراً عاماً لحضارة أمريكا الوسطى أكثر من كونهم

يمثلون مستوى أرفع ويؤكد ذلك أريك تومبسون فى كتابه عن ازدهار وسقوط حضارة المايا الذى ظهر فى عام ١٩٥٤ حيث يقول « أنه يعتقد حضارة المايا كانت خلاصة شخصية المايا إلى جانب عناصر أساسية أخرى ـ أقلية خلاقة ذات تصور واسع ونشاط عقلى وأنها بدأت حضارة المايا فى الأراضى المنخفضة وحافظت عليها عبر الزمن لعدة مئات من السنين » .

وقد شغلت حضارة المايا القديمة ثلاث مناطق ايكولوجية متميزة . المنطقة الجنوبية وهى منطقة جبلية تتكون من الأراضى المرتفعة فى جواتيمالا والمناطق المجاورة لها كذلك الإقليم المشابهة فى سلفادور . هنا يعيش السكان الأصليين المتحدثين بلغة المايا فى أعداد كبيرة تفوق أعدادهم فى المناطق المنخفضة . وهذه المنطقة لم تكن منطقة سيادة الأهرامات الكبيرة أو بناء المعابد ولذا لم تكن هى بؤرة أبحاث الأركولوجيين . أما المنطقة الثانية وهى المنطقة الوسطى وتشمل إقليم الأراضى المنخفضة والذى يتوسطه إقليم بيتون Peten district فى جواتيمالا . وهذه المنطقة خالية الآن من السكان تقريبا ولكنها فى وقت من الأوقات كان يوجد بها أكبر مدن حضارة المايا . أما القسم الشمالى فيكون شبه جزيرة تشمل دول المكسيك الممثلة فى كامبتى Campeche ويوكتان وكوينتانا رو Quintana Roo وإذا كانت مبانى مدن المايا الكلاسيكية قد انحسرت فى الإقليم الأوسط فإنها قد انتشرت مؤخراً إلى المنطقة الشمالية ولكن بدرجة ازدهار أقل وقد كانت المنطقة الأخيرة هى أكثر المناطق التى عرفها الباحثون وذلك لأنها المنطقة الأولى التى خلف عنها الأسبان معلومات كاملة

وتقع كل من المنطقتين الوسطى والشمالية فى نطاق الغابات المدارية الرطبة ، كما أن تربتها رقيقة ترتكز فوق أساس من الصخور الجيرية . والمنطقة الوسطى أكثر ارتفاعا قليلا من المنطقة الشمالية وأكثر تعرية ومن ثم تجرى بها الروافد



شكل (١٧) سيدة من المايا تقوم بأعمال النساجة

المـائية وتتكون البحيرات الضحلة . وتسقط الأمطار بغزارة بالقرب من المرتفعات فى الفصل المطير بينما يستمر فصل الجفاف من شهر يناير إلى شهر مايو. وتقل الأمطار تدريجياً كلما اتجهنا صوب الإقليم الشمالى كما تنبسط الأرض غير أنه بسبب مسامية الصخور الجيرية التى تمثل القاعدة الصخرية فإن الأنهار تختفى وتصبح مصدر المياه الوحيد هى البحيرات العميقة Deep Pro's والمعروفة بإسم Cenotes والتى تظهر حيث توجد انكسارات أو شقوق فى الحجر الجيرى وحيث تظهر المياه الباطنية ويبدو أن كل الإقليم المنخفض لا يصلح لتطور راقى للزراعه .شكل (١٧)

وربما كانت صخور الحجر الجيرى فى بيئة الأراضى المنخفضة هى المصدر الطبيعى المسئول عن إعطاء حضارة المايا صفاتهـا التى ميزتها بوضوح عن غيرها من حضارات أمريكا الوسطى . فهذه الصخور يمكن تحجيرها وقطعها وتسويتها بسهولة حينما تكون حديثة التكون غير أنها تصبح صلبة إذا ماتعرضت لعوامل الزمن. وحينما تحرق صخور الحجر الجيرى تتحول إلى جير الذى يخلط بحصى الحجر الجيرى ويكون مونة جيدة . ولا شك أن مهندسى ونحاتى المايا كأشخاص متميزين عن هؤلاء الذين وجدوا فى الأراضى المرتفعة بأمريكا الوسطى ـ قد عرفوا مميزات هذا المصدر الطبيعى الوفير .

ولا تقدم الأراضى المنخفضة من النواحى الأخرى أى ظروف مواتية للتقدم الحضارى . فالحياة الحيوانية فى الأحراش كانت أكثر وفرة من الأراضى المرتفعة إذ ضمنت تلك الحياة حيوان الجاجور والقرود والنمور إلى جانب عدد كبير من أنواع الطيور والتى كانت تمثل مصدراً هاماً للصيد ذلك بالإضافة إلى وجود عديد من الفاكهة البرية غير أنه كان من الصعب جداً زيادة السكان أو إيجاد طعام كاف كما هو الحال فى المناطق المرتفعة حيث التحكم فى المياه من

أجل الزراعة وقد زرع أصحاب حضارة المايا نباتات تشبه تلك التى قام بزراعتها غيرهم من الهنود الأمريكيين مثل الذرة والفول والقرع وهي المحاصل التى زرعها الأمريكيون الكلاسيك وإن كانت الذرة تعتبر أهم المحاصيل الثلاثة .

أما النباتات الجذرية الأمريكية فهى البطاطا واليام والمانيوك والتى تلت فى أهميتها مجموعة المحاصيل الثلاثة الأولى ذلك بالإضافة إلى عديد من التوابل ولا سيما الفلفل الشطى والفانيليا إلى جانب الكاكاو والقطن والتبغ أما الغابات فكانت مصدراً للأخشاب الصلبة والأوراق التى صنعت منها الخيوط والنحل واعدد كبير من الحشرات . ومن ثم فكل هذه الصفات التى توجد فى تلك المنطقة تظهر مرة أخرى فى كل أقاليم الغابات المدارية فى أمريكا الوسطى والجنوبية .

وتاريخ الإستقرار فى إقليم المايا المنخفض - كما تبينه الأدلة الأركولوجية - لا يعود إلى جــذور حضارة أمريكا الوسطى وهى . فى ذلك الصدد تشبه غيرها من المناطق الأثرية فى أمريكا الوسطى حيث لم يكتشف فى أحدها هذه الأصول . فالمواقع الأثرية الأولى أو الأقدم فى تاريخها والمعروفة والتى تبدو أبسط وأصغر فى عددها من المواقع العديدة التى عرفت بعد ذلك كلها توضح أن الحياة الاقتصادية للمجتمع قامت على الزراعة . . ويرجع تاريخ هذه المرحلة إلى الفترة مابين عامى ٥٠٠ ق. م. و ٣٠٠ م. وهى الفترة التى تعرف باسم فترة التكوين Formative والتى صاحبت مظاهر خاصة لحضارة أمريكا الوسطى مثل تشيد الأهرامات ومعرفة الهيروغرافية ، والتـأريخ وصناعة الفخار والتماثيل وبعض رسم صور الحيوانات كالثعابين والجاجور .

أما الفترة الكلاسيكية classic period فهى الوقت الذى أنتشرت فيه حضارة المايا انتشاراً واسعاً من منطقة تركزها الوسطى وتبدأ من ٣٠٠ م.

لتصل إلى قمتها فى عام ٨٠٠ م. وليعقبها بعد ذلك فترة من الإضمحلال السياسى تستمر من عام ٨٠٠ م. إلى عام ٩٢٥ م. وقد شهدت يوكتان فى ذلك الوقت خضوعها للغزاة المكسيكين الشماليين أو التولتك Toltecs والذين استمروا حتى عام ١٢٠٠ م. حيث تمكنت حضارة المايا من استعادة ازدهارها تدريجيا مرة أخرى . ولكن حدث فى القرن الخامس عشر حروب عليه أدت إلى اضمحلال الحضارة مرة أخرى ومن ثم فمع وصول الأسبان إلى يوكتان فى عام ١٥٢٧ لم يكن هناك أى وحدة سياسية أو أمبراطورية أو أى اتحاد فدرالى فى تلك المناطق . وربما كانت أسباب انهيار الامبراطورية القديمة فى الإقليم الاوسط واضطراب أيضاً الامبراطورية الحديثة فى يوكتان كانت من الامور الهامة التى شغلت المهتمين بدراسة حضارة المايا الذين أعطوا تفسيرات متعددة تفاوتت من الحروب الاهلية إلى ثورة الفلاحين إلى فشل القيادة إلى تدهور الثروة الغابية . ولكن الادلة المؤكدة هى وجود حروب أهلية ، وهذه الحروب تظهر أيضاً فى أمبراطوريات أخرى حتى أمبراطورية Teotihuacan القريبة من مدينة المكسيك والتى شهدت صعوبات فى نفس الفترة التى كانت تعانى فيها حضارة المايا الكلاسيكية من صعاب مماثلة . ولكن من الممكن أن تنظر إلى هذه الحرب على أنها حرب مدنية كنتيجة طبيعية وكسبب لإنهيار سياسى . على أى حال فأسباب الإنهيار السياسى . ظلت أموراً غير معروفة ولذا لا بد أن نضيف حضارة المايا إلى قائمة الحضارات القديمة التى ازدهرت لتضمحل .

وقد يبدو أن تداخل وارتباط مرحلتى الحضارة المايوية يشير أساسا إلى حجم العمالة التى استخدمت فى تنفيذ الاعمال العامة أكثر من كونها مراحل أثرت فى حياة أغلبية السكان : فقد اقتربت حضارة المايا من قمة ازدهارها مع الفترة الكلاسيكية فى المنطقة الوسطى حيث شيدت الاهرامات كمراكز مدنية كما

بقيت المعابد وصالات اللعب ، وأن ما يسمى باضمحلال هذه المنطقة يعنى فقط أنه لم تبنى مراكز جديدة انذاك هناك كما أن المراكز القديمة قـــد أهملت . وبعبارة أخرى فإن الايدى العاملة فى ميدان العمل العام قد انصرفت عنه عن طريق السلطة السياسية ، ومن ثم فازدهار وانهيار حضارة المايا الكلاسيكية وحضارتها الشمالية إنما ارتبط بتغير قوة السلطة السياسية على نطاق كبير هذا هو أبسط النتائج إلى جانب أمور أخرى قد تتصل بإجهاد التربة أو ثورة الفلاحين أو فشل القيادة أو أى أسباب أخرى قد تؤثر فى السكان ككل قد حدثت وليس لنا بها علم .

وقد كانت حياة الأسرة العادية فى يوكتان فى خلال الوقت الأخير من حضارة المايا يشبه تلك الحياة التى وجدت منذ آلاف السنين . فظاهر الحياة المدنية الراقية فى حضارة المايا والتى جذبت الاهتمام مثل فن العمارة والتأريخ والكتابة وفن الرسم كانت من إنتاج متخصصين اعتمدوا فى حرفتهم على تواجد طبقة عليا من أفراد الحكومة البيروقراطية . وهكذا فيمكن لهذه الطبقة أن تعيش حياتها الخاصة فى مكان ما معتمدين فى ذلك على التاريخ السياسى للسكان . ومما هو جدير بالذكر أن وصف حياة الإنسان العادى الماياوى يدخل أساساً فى الأسس التى قامت عليها حضارة المايا .

فالاهتمام بالأساس للفلاح فى حضارة المايا انحصر فى حقل الحبوب إذ أن الذرة تمثل حوالى ٨٠ ٪ حاليا من غذاء المـــايا الحديث فى يوكتان وربما كان نفس الوضع على الاقل موجود قبل وفود الاسبان حيث كان يوجد تنوعاً أقل من الاغذية الزراعية . والعمليات الزراعية كانت مشابهة لتلك الموجودة فى المناطق المدارية الاخرى والتى تتضمن قطع الاشجار من المنطقة ثم حرق أخشابها وإزالتها

بعد جفافها ثم الزراعة والحصد لمدة عامين أو ثلاثة لتترك الارض بوراً بعد ذلك لفترة قد تطول أو تقصر ولكن لاتقل بأى حال من الاحوال عن عشرة سنوات فالاشجار قد تهذب أو تقطع على الفصل المطير بينما تحرق مع نهاية الفصل الجاف حيث يحدد يوم الحرق عن طريق القساوسه وذلك بعد إقامة شعائر هامة . فنى كل عام تنظف كل أسرة وتحرق حقل حبوب جديد حتى تستطيع أن تستمر فى حياتها مع الحرق الذى تم قبل ذلك منذ عامين أو ثلاثة . فتبعاً لدراسة الدكتور مورلى Dr. Morley أن المتوسط السنوى لعمل الاسرة بمفردها ٤٨ يوماً وهو متوسط يسمح بوجوده وقت فراغ كبير للحكام الوطنيين أو القساوسة أو الغزاة الاسبان فيما بعد .

وقد كان منزل المايا بسيطا فى تركيبه فهو قائم على عمود ويتكون من حجرة واحدة وذلك على النقيض من المبانى الضخمة التى كان على هؤلاء الفلاحين البسطاء ان يتعاونوا فى بنائها . ومنازل المايا كانت متناثرة على نطاق واسع وأنها كانت تتجمع فى افضل الاحوال فى اكواخ صغيرة بمعنى انه لم يوجد لديهم حياة حضرية بمعنى الكلمة كما كان هو الحال فى Teotihuacan وفى المواضع الاخرى لامريكا الوسطى وربما كان السبب فى ذلك هو طبيعه النظام الزراعى وما ارتبط به من مشاكل ترك الارض بورا ومن ثم فما يسمى باسم مدن المايا فقد كانت عبارة عن مراكز مدنية فقط تضم المعابد والاهرمات وصالات اللعب وربما ايضا منازل بعض عليه القوم .

ولا يعرف إلا القليل عن الحياة المنزلية التى كانت تمارس فى الاكواخ الفارغة من الاثاث فقد كان الناس يجلسون على كرسى صغير وينامون على مصاطب منخفضه

ويطحنون الحبوب فى طواحين حجرية تعرف باسم ميتات Metate والتى مازالت موجودة حتى الان ، كما يطهون طعامهم فى اوعية حجرية صغيرة فوق مواقد من الصلصال . وقد وصفت مصادر القرن السادس عشر عادات تناول طعام المايا كما يلى : ـ

الطعام الذى كانوا يتناولونه هو نفس الطعام الذى يأكلونه اليوم ويتكون من ذرة مسلوقه فى المياه ومطحون وحينما ينقع يتحال فى المياه ليكون مشروبا يعرف باسم « pozole » وهذا هو ما يتناولة كشراب أو طعام فى العادة . ومن عادتهم ان يتناولوا قبل الغروب بساعة وجبه تسمى Tortillas وفيها يإكلون اطباقا معينه من الفلفل المجروش المذاب فى قليل من الماء وعليه بعض الملح ذلك بالاضافه إلى بعض فول الارض المغلى ذات اللون الاسود والذى يطلقون عليه اسم buul بينما يعرفه الاسبان باسم Frijoles وهذا هو ميعاد الطعام الوحيد طول اليوم إذ انهم يتناولون فى الاوقات الاخرى المشروبات التى ذكرت سلفاً أما الملابس اليومية لعامة الشعب فقد كانت بسيطه حيث ارتدى الرجال بنطلون قطنى وفى بعض الاحيان قطعة كبيرة من القماش مربعة تربط حول الاكتاف مع ارتداء صنادل من الجلد ، بينما تلبس النساء ارديه قطنيه بها فتحات بسيطة للرأس والاذرع ويترك الرجال شعرهم ليطول حيث يصفونه على شكل ضفائر كما تحرق خصلة الشعر فى قمة الرأس لتصبح صلعاء أما شعر النساء فيختلف فى نمطه كثيرا مع وجود فرق واضح بين تصفيفه لدى الفتيات والسيدات المتزوجات وتستخدم الوشم ودهان الجسد للتزين الشخصى . وملابس النبـــلاء والقساوسة اتخذت اساسا نفس النمط غير انها كانت أكثر فخامة وزخرفة وكما هو الحال عند الازتك وغيرهم فقد صنع روب الاحتفالات من ريش زاهى الالوان ذلك بالاضافه إلى قلنصوة الاحتفالات التى صنعت لتمثـــل رأس الجاجور أو

الطيور او الثعبان والتى كانت تمثل جزءاً هاما فى تقاليدهم وعاداتهم . وقد تضمنت ادوات الزينه تزينات متعددة للاذن والانف والشفاة .

وتشكيل الرأس كانت مسائله شائعه بين المايا على الأقل كان لها صفه العموم بين السكان كما يوضح ذلك الفن المايوى فشكل الرأس المرغوب فيه كان يشكل عن طريق وضع رأس الاطفال لعدة أيام بين لوحين مقاطعين احدهما من الامام والاخرى من الخلف، صفه طبيعيه أخرى كانت مرغوبة لدى المايا وهى تقارب العيون CRoss - eyed حيث لجأ الاباء إلى ربط كرات صغيرة من الصلصال فى شعر الطفل وذلك من أجل أن تقرب المسافه بين العيون وتجعل الطفل يركز عليها كثيرا وحينما يبلغ الطفل من العمر اربعة أو خمسة اعوام يدخل مرحلة جديدة اتسمت بمزيد من التزين حيث تلصق خرزه بيضاء فى قمة رأس الطفل وفى حالة البنت كان يوضع سلسلة تتدلى منها اصداف حمراء حول وسطها وذلك رمزا لعذريتها . وكان يطلب من الصبية والفتيات ان يحافظن على ارتداء هذه الاشياء حتى الانتهاء من احتفالات مرحلة البلوغ .

وقد إرتبط الحدث الاكبر فى حياة المايوى باحتفال البلوغ الذى يحضره الصبية والفتيات سويا وتقـــام فيه شعائر إزالة رموز الطفولة بواسطة الكاهن وبعدها يقام احتفال وتوزع الهدايا . وعقب هذا الاحتفال تصبح الفتيات مؤهلات للزواج فى العادة بينما يلجأ الشباب للعيش سويا فى اكواخ عامه للعزاب إلا ان يتزوجوا . وفى بعض الاحيان لا يستغرق الزواج فترة طويلة بعد احتفال البلوغ وذلك لان الاسر قد ارتبطت مع بعضها بشأن زواج ابنائهم منذ صغرهم ولا يعرف إلا قليلا عن قواعد الزواج لدى المايا ، وكل ما هو معروف ان الشخص لا يستطيع ان يتزوج احدا من عائلة أبيه ، وان اسرة الصبى تتحمل كل مصاريف

العرس كما انها تساهم بالهدايا إلى والد العروس كما ان العروسين قد يعيشا لفترة عدة سنوات إلى جوار الزوجة وذلك قبل ان يقيما منزلها الخاص . واسم العائلة Surname قد يعطى من الاب إلى الابن كما كانت تورث الارض ايضا من الاب إلى الابن .

أما المرض فقد اعتقد اصحاب حضارة المايا انه من فعل الارواح نتيجه لبعض الاعمال السيئة التى قام بها الشخص المريض وفى مثل هذه الحالة يحاول الشامانون علاج المرضى عن طريق الصلوات والشعائر ووصف بعض الاعشاب . والموت شيء مخيف للمايا ، ويقام المأتم والاحزان بواسطة أقارب المتوفى على شكل مهيب وتستمر عدة أيام ، وعادات الدفن بين عامة الناس كانت بسيطة حيث تلف الجثة فى القماش ويملأ الفم بالذرة والخرز القيم وبعد ذلك يوارى تحت المنزل . أما ابرز الحكام فيدفنوا فى نصب حجرية تحت الاهرامات وحيث توضع معهم كميات كبيرة من الاشياء القيمة.

أما عن المعتقدات العامة لدى المايا فقد تضمنت عددا كبيرا من المعتقدات فى الالهه الطبيعيه على وجه الخصوص وذلك إذا ما كان اعتمدنا فى ذلك علـى المايا الحديثون - التى لها تأثير على المطر والخصوبه فخالق الكون هو الاله هوناب هو Hunab ku صنع الانسان وأخراجه من الحب . ويبدو ان هذا الاله ظل بعيدا عن امور الدنيا وأن ابنه ايتزامنا Itzamna قد تولى هذا العمل مع الاله زوس Zeus . وقد ذكر احد لباحثين ان المايا اعتقدوا فى عدد من الفيضانات التى دمرت لعالم والتى تشبه نظائرها التى وجدت فى أديان العالم الأخرى . ويعتقد هنود المايا الذين يعيشون الان فى شمال يوكتان ان هناك ثلاثة عوالم سابقة لعالمهم وإن العالم الحالى سوف يغرقه الفيضان يوما ما .

وتتضمن ديانة المايا ثنائيه الخير والشر فآلهة الخير تجلب المطر وتزيد من خصوبة الارض وتعطى الحظ السعيد أما الهة الشر فتسبب الموت والمرض والمجاعة والجفاف وهلم جدا وهكذا تعتمد كل المظاهر الطبيعية وايضا روح الانسان على حصيله الصراع بين ثنائيه الخير والشر . وقد ذكر بعض الباحثين ان المايا كان لديهم فكرة وجود الجنة والنار ولكن غير مؤكد ان هذه الفكرة مرتبطة بوصول المسيحيه لهذة الحضارة .

ويقطن بعض الالهه الرئيسيه فى سموات منفصلة تتابع فوق بعضها فى طبقات حيث يوجد ١٣ طبقة تكون العالم العلوى والذى تمثل اسفل طبقاتة الارض ذاتها كما ان هناك تسع طبقات تكون العالم السفلى الذى تمثل أدنى طبقاته ميتنال Metnal التى يحكمها الالهه اهبوش Ahpuch الهه الموت وقد عبد هنود المايا أى الة من هذه الالهه وبورك عن طريق اقامة الاعياد والشعائر والمحرمات taboos وغيرها من الطرق العامه المتبعة فى هذا الصدد والتى من بينها تشريط الاذان والشفاة والخدود واللسان وذلك من أجل اسقاط الدماء فوق صورة الالهه . كذلك فإن حرق البخور الذى جلب من اشجار الكوبال Copal كان شعارا يمارس فى حضارة المايا كما يمارس الان بين المايا الحاليين أما الصوم وتقديم القرابيين والاضحيه بالحيوان وحتى بالانسان فقد كان امرا معترفاً به أيضا فى حضارة المايا وان كان نوعيه التضحيه تتوقف على الموقف الدرامى الذى من أجله تقدم .

والتضحيات الانسانية كما تبينها صور هنود المايا ـ كانت مشابهه لتلك الموجودة لدى الازتك كما كانت من الطقوس العامه التى تؤدى بواسطة الكهنة فكانت الضحيه وهى غالبا ماتكون من اسرى الحروب تجرد من ملابسها وتدهن

باللون الازرق ثم يوضع فوق الرأس رداءا خاصا ويتقدم اربعه من مساعدى الكاهن ويمسك كل منهم بأحد اطرافه ليضعوه فوق المذبح ثم يقوم الكاهن بشق صدره ويستخرج قلبه ليقوم بعد ذلك برش الدم على تمثال الاله الذى تقدم لأجله الضحية ثم يقوم بإزالة جلد الضحية ليتدثر به بعد ذلك ويؤدى رقصة معينه تتفق مع تقاليد القبيله . واذا ما كانت الضحيه لمحارب جسور فإن الكائن يقدم جسم الضحية لافراد قبيلته كطعام حتى يمكنهم اكتساب الصفات الروحية القيمه التى تميزت بها الضحيه ومن مظاهر التضحيات ايضا وهو شبيه بما هو موجود عند هنود الازتك هى ان يرتدى الشخص المضحى به الملابس اللازمه لذلك ليوثق بعد ذلك فى جذع شجرة ليكون هدفا للرماه .

ومن أهم مظاهر التضحيات ما كان يتم عند بئر التضحية الشهير لدى هنود اتشهين أتزا Chiehen Itza وهو ما يعرفه الزوار فى الوقت الحاضر . ويقوم الهنود بوثق الضحية التى هى عبارة عن أمرأة أو طفل أو رجل ثم يلقوا بها فى البئر العميق وبصحبتها عدد كبير من أدوات الزينة والأوانى الفخارية والبخور والاشياء القيمية . وقد قام متحف هارفارد بتجفيف البئر فى الفترة ما بين عامى ١٩٠٥ - ١٩٠٨ حيث استعادوا الأشياء الذهبية والنحاسية التى القيت من قبل واحضروها من كاليفورنيا جنوبا ومدينة مكسيكو شمالا .

ولعل ديانة عامة الناس التى يمارسونها فى حياتهم اليومية تتجه أساسا نحو الاله شاك Chac وهو اله المطر وإلى ممارسة الطقوس الخاصة بهنود المايا وتضحيتهم فى صورتها البسيطة الوحيدة ، غير أن مجتمع هنود المايا كان مجتمعا دينيا ، وقد حافظ الحكام الكهنة المتخصصون على نظريات معقدة والهه وطقوس بالاضافة إلى ديانة الشعب .

ومن الأمور ذات الأهمية الخاصة تلك الوحدة غير العادية بين الالهة التى تمثل دورة زمنية وظاهرة فلكية وترتبط بهذا استخدام الكتابة الهيروغرافية وهى أمور تمثل تخصص رجال الدين والحكومة .

والتقويم والذى كان شديد التعقيد كان فى نفس الوقت أكثر دقة من تقويمنا فى احتساب العام الشمسى فبالاضافة إلى مظاهر المد الآلى فإن فلسفة الزمن وارتباطها بالالهة والطقوس تبين لنا إدراكهم للزمن كموضوع هام فى حياتهم العقلية ومن أهم مظاهر بقايا هنود المايا تلك النصب الميجاليثيه والتى تعرف باسم Stelae بما عليها من نصوص هيروغرافية . وتبين هذه النقوش تاريخ النصب بالاضافة إلى عديد من الأمور ذات قيمة فى التقويم مثل البيانات الخاصة بشكل القمر ووضع كوكب الزهرة وهلم جرا ، وقد امكن العثور على مايزيد على الف من هذه النصيب الهيروغرافية حتى الان .

وقد قام هنود المايا بالربط بين أقسام الزمن والالهة ذات الاشكال البشرية وذلك بطريقة تشبه إلى حدما الفكرة التى تكمن وراء أسماء أيام الاسبوع لدينا مثل يوم ودن Weden الذى يعرف بالانجليزية Wedensday أو يوم ThoR بالانجليزية Thursday وهكذا . . . غير أن تقسيمهم للزمن وليس تقسيمهم للايام فقط كانت فى ضوء هذا المفهوم . وإذا حاولنا تصور هذا فيمكن القول أنهم كانوا ينظرون إلى الجزء من الزمن على أنه عبء يحمله أحد الالهة حتى الموت عندما ينتقل أمر هذا العبء إلى آلة آخر والواضح أن تفكير الكهنة المعقد بخصوص هذا الموضوع قد انتقل إلى عامة الشعب ذلك أن الناس فى بعض قرى هنود المايا حتى اليوم ينظرون الى الإيام على أنها أمورا الهية ويشيرون ليها وكأنها بشر فيقولون « هو » وجميع هذه الالهة لها صفات معينة

ومظاهر تؤثر فى اقدار الناس أثناء دورة زمنية بعينها وهذه الفكرة كانت تشبه أمور التنجيم فى العالم القديم بحوض البحر المتوسط .

إن فكرة هنود المايا عن الزمن والمكان لم تكن فكرة تطورية أو حسب تاريخيه فى المقام الأول فالزمن يبدو أنه يرجع الى الوراء إلى مالانهاية كما أنه يمتد فى المستقبل إلى مالا نهاية أيضا غير أن الدورات الزمنية تتكرر - فقد كانت الازمنة القديمة تتنوع وتختلف حسب الالهة المرتبطة بها وبعبارة أخرى فإنه عندما يكون الهة فترة معينة فى وضع مماثل لإلهة فترة أخرى فإن الربط بين الخير والشر يكون بنفس طريقة ارتباط الالهة وبهذا يمكن التنبأ بأمور المستقبل وقد عرفت ودورة الزمن التى تهم المتنبئين باسم كاتون **Katun** وهى فترة تصل إلى ٢٦٠ عاما وهى الفترة التى يتمكن فيها الماليو من راثه العدد على مدى دورة من ١٣ يوما من تحمل الاعباء معاً وبهذا فإن الاحداث والحظوظ وكذلك أسماء الالهة كانت تتشابه من كاتون إلى آخر . وفى فترة كل كاتون كانوا يصورون كل مرحلة زمنية تطول مدتها عن اليوم الواحد على أنها مجموعة من الالهة المختلفة تسير معاً وكان الأثر على أى يوم بالذات هو نتيجة التأثيرات المختلفة بعدد الالهة وأن الحسابات اللازمة لمعرفة الالهة التى تعمل معا فى وقت محدد كانت غاية فى التعقيد لأن الظواهر الفلكية التى تستخدمها التقيم فى حساب الزمن لم يكن بينها ارتباط كما أنها لاتأتى فى صورة أرقام صحيحة فاليوم وحدة زمنية قائمة بذاتها ولكن السنة الشمسية تتكون من ٢٤٢٢ و ٣٦٥ يوما . والسنة النجمية **Sidereal** يصل عدد أيامها إلى ٢٥٥٤ر ٣٦٥ يوما - أما دورة كوكب الزهرة تتم فى ٩٢ر٥٨٣ يوما ؛ والشهر القمرى عبارة عن حوالى ٥٣، ٢٩ يوما ، وكان لابد من إيجاد صلة بين هذه الدورات جميعا وبين التقويم الدينى الذى يعتبر العام مكونا من ٢٦٠ يوما .

كما كان ضروريا أن تكون هذه الصلة دقيقة عبر فترات زمنية كبيرة جـداً ، إن ماحققه هنود المايا فى هذا الصدد يعتبر ظاهرة من أهم الظواهر التى تميزهم وتقويم هنود الازتك وما يشبهها فى أمريكا الوسطى كانت تشبه تقويم هنود المايا فى نواحى كثيره غير أنهـــا لم تشتمل على مشكلة احتواء السنة على ٥٢ دورة كما أنها لم تصحح الفروق الدقيقة فى السنوات الشمسية وسنة الزهـــرة ولـكن احتساب هنود المايا النقاويم للخطأ الكسرى فى تقويمهم السنوى لم يتعدى يوما واحدا فى فترة طولها ستة الاف عام ، ولـكن كما هو الحال فى جميع المدنيات البدائية فى العالم كانت الرياضيات والملاحظات العملية التى أدت إلى هذه النتائج تخدم أغراض دينية وليست علميا وكانت تلك أمور تنجمية وليست فلـكية .

وكان لهنود المايا كما كان لهنود الازتك تقويمان يستخدما فى الحياة اليومية إحدهما ويدعى الهاب Haab وهو يشبه إلى حد كبير تقويمنا الـذى يعتبر العـام ٣٦٥ يوما، وكان هذا التقويم يتكون من ١٨ شهراً كل منها ٢٠ يوما (٣٦٠ يوما) بالإضافة إلى ٥ أيام كانت تعتبر أيام كانت تعتبر أيام نحس يجب أن تتوقف فيها جميع الأنشطة ولم يضيفوا يوما للسنة الـكبيسة غير أن اختلاف السنة عن السنة الشمسية كان يحتسب بعناية فائقة حتى يمكن أن يكون التقويم صحيحاً .

أما التقويم الثانى المعروف باسم tzo kin (عد الأيام) فهو عبارة عن ٢٦٠ يوما (أى عام ، وهو يتعلق بنمط الحياه الدينية . وكان هناك ٢٠ اسما للأيام (وكذلك للالهة) مرتبة بحيث تتفق مع ١٣ رقم ثم يبدأ اليوم الرابع عشر للأيام برقم ١ من جديد . واحتساب هذه الدورات التى تتكون من عشرين رقما وعشرين اسما كانت تستغرق ٢٦٠ يوما قبل أن يعود الإمر مره أخرى إلى رقم واحد وإلى الاسم الأول لليوم كما قاموا بإعداد الحسابات للتقويمين بحيث يبدو

اليوم الأول من تقويم هاب الذى يعتبر العام مكونا من ٣٥٦ يوما واليوم الأول من تقويم توزلكن الذى يعتبر العام ٢٦٠ يوما بحيث يحين موعداليومان كل ٥٢ عاما

وعند حدوث هذا كانوا يقيمون احتفالا عظيما يبدأ بالخمسة أيام المنحوسة التى تأتى فى نهاية تقويم هاب ونحن لانعرف شيئا عن الطقوس التى كانوا يؤدوها فى ذلك الوقت ولكن يحق لنا أن نفترض أنها مناسبة من أهم المناسبات التى كان يهتم بها هنود المايا ، ونحن نعرف أن هنود الإزتك كانوا يعتقدون أن نهاية العالم قد يجىء موعدها مع نهاية فترة ٥٢ عاما .

وفى الليلة الختامية من الأيام الخمسة المحرمة فى نهاية هـــذه الدوره يبتعد السكان عن المدينة لينتظروا ماسوف يأتى فجر اليوم التالى وبعد أن تظهر الشمس يفرح الناس ويهللون ويبتهجون ويقوم الكهنة باشعال النار المقدسة التى يشعلون منها نيرانا صغيرة فى منازلهم وهكذا تبدأ دورة جديدة مدتها ٥٢ عاما أخرى ويبدو أن هنود المايا كان لديهم اعتقاد مشابه .

ولقد كان علماء الرياضة من هنود المايا على صلة وثيقة بالملاحظات الفلكية وليس لدينا أى سجلات من هنود المايا لهؤلاء الناس . كانت الوحدات الرياضية المستخدمة هى الأحاد والخمسات والعشرنيات، وكانوا يرمزون اليها بالنقط للاحاد وبالشرط للخمسات وبالمواضع للعشرينات ومضعافاتها وكان العد الموضوعى وعلامة الصفر التى هى بالضرورة ظاهرة من ظواهر العد الموضعى تعتبر أعظم عمل عقلى فى العالم الجديد ، ولم يحدث هذا فى مكان آخر من العالم إلا فى الهند حيث اخترع الصفر الذى جاء إلى أوربا عن طريق العرب .

ويعتبر هذا النصر العلمى كغيره من الاختراعات الهامـــة فى العالم يتكون من مبدأ غاية فى البساطة . أن جميع الانظمة الحسابية فى العالم مثل نظام العد الرومانى

المؤلوف قد أفردت رموزا محددة لكل وحدة أعلى بحيث أصبحت الاعـــداد الكبيرة ذات طول كبير وكثيرة التعقيد فى الكتابة ومن الصعب تداولها أن فكرة المكان وفكرة الصفر كانتا ضرورية حتى فى تبسيط عمليات الجمع والطرح الحسابية .

لقد كانت قبائل الهنود فى أمريكا الوسطى هى القبائـــل الوحيدة فى العالم الجديد التى نجحت فى اختراع الكتابة أن الكتابة الهيروغرافية شأنها فى ذلك شأن الرياضيات والفلك كان يستخدمها الكهنة فى النصوص والأمور الدينية أكثر من استخدامهم لها فى الأمور الدنياوية ، وكانت الكتب كتب مقدسة كما كان الحال فى عالم البحر المتوسط القديم ولدينا اليوم حوالى ٤٠٠ مخطوطا وطنيا جاءتنا من المكسيك الوسطى .

أما كتب هنود المايا فلم يصلنا غير ثلاثة كتب وذلك بسبب رطوبة المناخ فى بيئتهم . لقد كان هنود المايا ينظرون إلى كتبهم المقدسة نظرة جادة وذلك ما يقوله أحد الباحثين « لقد استخدم هؤلاء الناس حـــروفا خاصة فى تدوين كتبهم وشئونهم القديمة وعلومهم ، كما استعانوا بالرسومات التوضحية وبالرموز الخاصة لفهم أمورهم وإتاحة الفرصة لغيرهم لتعلمها وفهمها . ولقد وجدنا عددا كبيرا من الكتب بهذه الحروف ، ونظرا لانها لم تحتوى على أمر من أمور الخرفات والاكاذيب وأعمال الشيطان فقد أحرقناها جميعا وهو أمر أسفوا له إلى درجة كبيرة وسبب لهم حزناً لا حد له » .

ولم تكن الكتابة عند هنود المايا ذات حروف أبجدية ولكنها كانت تصويرية أى أن الأشكال تمثل أفكارا وأشياء وليس أصواتا . ويعتقد العلماء أن كتابة هنود المايا هى كتابة صوتية للمقاطع ولكن هذا أمراً لا يمكن التأكد من صحته قبل دراسة النصوص المكتوبة لهنود المايا دراسة مستفيضة .

أما الآن فإننا نستطيع أن نقرأ ثلث ما كتبه هنود المايا وهى خاصة بمعلومات تتصل بالتقاويم ، وقد أمدنا القس دى لاند Landa بمفتاح لكتابة هنود المايا وذلك بأن رسم العلامات الخاصة بتقاويم هنود المايا ومعها تدوين صوتى لها . ويستمر عمل حل هذه الشفرة بطريقة بطيئة للغاية لعدم وجود مفتاح للكتابة التصويرية فالامر يختلف عما نفعله عند محاولة حل شفرة أو التغلب على معضلة ذلك أن التعرف على معنى صورة واحـــدة لا يساعد كثيرا على اكتشاف معنى صورة أخرى لأنه لا علاقة اطلاقا بين العناصر المختلفة فى الكلمة والواحدة كما هو الحال فى الحروف الأبجديه التى تدخل فى تكوين الكلمات .

أما عن أغانى وشعر وأمثال هنود المايا فقد كانت جميعها شفوية إذ أن من صفاتهم مقدرتهم الادبية الراقية وميلهم للمجاوبة الصوتية مثل تلك التى وجدت فى العهد القديم غير أنه من الواضح أن الكتابة الهيروغرافية لم تستخدم فى تسجيل الأدب كما أنها لم تستعمل أيضاً فى تسجيل مآثر الحكام السابقين أو تاريخ مدنهم .

ويبدو أن هنود المايا كان لهم ملامح ممـــيزة فى العالم الجديد وذلك من ناحية انجازاتهم الفنية فقد شاركوا فى فن الرسم وفنون العمارة بصورة مشابهة لغيره من أصحاب حضارة امريكا الوسطى ولكن قد اتفق الباحثون فى حضارة المايا على أن لهم ذوقا رفيعا فى النحت والرسم كما أن ابنيتهم الحجرية الفخمة كانت أكبر من أى مثيل لها فى أى مكان آخر .

ولعل أهم ما يميز الفن المعمارى لهنود المايا هو استخدام القنطرة أو العقد البارزه . حقيقة أن السكان الاخرين فى أمريكا الوسطى قد شيدوا أبنية حجرية ذات أسقف افقية صنعت من السعف ومدخل على شكل مربع إلا ان مبانى المايا تعطى انطباعا مختلفا وذلك بسبب وجود العقد أو القنطرة البارزة . وهـذه القنطرة

ليست أقواس بمعنى الكلمة تلتقى سويا فى قمة المبنى ولكن كانت أقواس صناعية حيث ينحدر الجانب نحو بعضها ليلتقيا فى قمة حقيقية . وربما اتصل بمشاكل ضم هذا النوع من الاقواس استخدام هنود المايا للجير الاسمنتى كنوع من المونة أو الملاط وكذلك استخدامه ككل كبيرة . فالاهرامات والمعابد فى الاماكن الأخرى من امريكا الوسطى كما هو الحال عند هنود Teotihuacan كانت أكبر من تلك الموجودة عند المايا إلا أن عظمة مبانى المايا قد لفت الانتباه أكثر .

والفن التصويرى للمايا كان يمارس بأسلوب ثابت غير أنه كان مليء بالحيوية والحياة وكان يختلف عن ذلك الذين وجد بين الازتك أما عن الرسم فكان رمزى أكثر منه تمثيلى ومن ثم فعلى الرغم من مهارة الفن عند هنود المايا إلا أن أعمالهم لا تحمل الفن بمعنى الكلمة وذلك لأنهم لم يكن غرضهم بطبيعة الحال الاتجاهات الحديثة لوظيفة الفن .

والرسم عند المايا كان فنا مقدسا وكان تزينى أكثر منه تعليمى ، وربما أعم من ذلك كله انه لم يكن قاصر على فئة بعينها أو أنه عاما بين الناس إنما كان يمارس من أجل الالهة وربما لم يرى هذا الفن أحدا فيما عدا الفنان ذاته أو كبر القساوسة الذى يسمح لهم بدخول المعابد .

ومن الاشياء البارزة فى حياة هنود المايا والتى اجمع عليها كثير من دارسى هذه الحضارة هو الجمع فى فنهم بين الخطوط العاديه والحديثة كما يتضح من دراسة معظم اثارهم .

ويبدو من دراسة اثار يوكتان ومن الملاحظات الاولى التى تركها الاسبان عن هنود المايا ان امبراطورية المايا قد انفرط عقدها قبل وفود الاسبان . ففى

عام ١٥٢٧ حينما وضعت القوات الاسبانية تحت قيادة فرانسسكو دى مونتجو de montejo اقدامها فى يوكتان صادف هذا القوات ظروفا مختلفة عن تلك التى قابلت كورتز Cortz حينما وصل إلى امبراطورية الازتك . ففى الحالة الأولى صاحب الغزو الحربى غزو سياسى إذ ان قدوم الاسبان كان الشرارة التى اشعلت الثورة فى عديد من الممالك المحلية والتى كانت تحت سيطرة الازتك . فقد تمكن الاسبان من بسط نفوذهم عليهم ووقعت مساحات كبيرة عامرة بالسكان تحت حوزتهم فى فترة قصيرة ومن ثم لم تكن هناك أى فرص سياسية فى يوكتان .

فالحملة الأولى التى ذهبت إلى يوكتان صادفت مقاومة محلية تغلبت عليها ولكن لم تتمكن أبدا من ضم أى مجموعات هندية لصداقتها أو تعقد معها تحالف . وأكثر من ذلك فان هنود يوكتان كانوا متناثرين فى وحدات محلية بحيث أى تأثير على أحد المجموعات كان لا يعنى تأثيراً على الأخرى . ولهذا ما ان ترك الاسبان أى مجموعة مهزومة كان عليهم أن يعيدوا الكرة على مجموعة أخرى وهكذا . فحتى عام ١٥٤٥ أى بعد ١٥ عاما من المحاولة الأولى للغزو تمكن الأسبان من السيطرة حقيقة على أراضى يوكتان من قاعدة مريدا marida التى تمثل الآن عاصمة الدولة ونظرا لأنه كان من الصعب السيطرة على كل هنود يوكنان لذا فقد قسموا بين الأسبان فيما يسمى باسم Encomiendas حيث كانوا يؤدون الخدمات إلى هؤلاء لقادة فى نظير حمايتهم وتعلمهم الكاثوليكية والمواطنة .

ولم يتمكن الاسبان مطلقا من استغلال الامكانيات الزراعية فى يوكتان تحت نظامهم الذى وصفوه الاقطاعيات « Encomiendas » فقد كان الأساس الاقتصادى للمحلات الأسبانية الأولى يعتمد على تربية الماشية ولكن لم يتمخض

عن ذلك أى زيادة كبيرة فى السكـان الاسبان أو أى رخاء حقيقى ، إذ أن الهنود المتناثرين كان من الصعب حكمهم وحتى فى عام ١٨٤٧ قامت ثورة ضد حكم الرجل الأبيض والتى عرفت باسم حرب الطبقات War of the casts والــتى نجحت تقريبا وحتى بداية القرن الحالى عندما بدا نظام المزارع فى يوكتان او على الأقل فى مريدا Merida والاقليم المحيط بها دخلت هذا الجزء من العالم فى نطاق التجارة العالمية الحديثة . حيث يزرع فى هذه المزارع انواعا من نبات yucca التى تعطى خيوطا خشنة تستخدم فى عمل الاحبال والدوبار . هذا وتعد يوكتان الآن اكبر مصدر لهذه السلعة .

واعداد هنود المايا الذين لم يفروا من مناطق تواجدهم كان تأثرهم بطيئا بالحضارة الاسبانية غير ان ادخال نظام المزارع فى اراضيهم قد دفع بصورة عامة إلى تزايد السكان وتقدمهم الاقتصادى وكان نتيجة مباشره لذلك تحــول معظم محلات هنود المايا الريفية صوب الحضرية .

الانكا فى بـــيرو

The inca of Peru

الانكا

تضم جبال الانديز الوعرة فى جنوب غرب أمريكا الجنوبية أكبر مجموعة من الهنود الأمريكيين فى العـــالم الجديد . فمعظم سكان اكوادور وبيرو وبوليفـا ينحدرون لدرجة كبيرة من أصحاب الحضارات الراقية التى وجدت فى تلك المناطق لعدة قرون قبل وفود الأوربيين اليها . وقد كان خلاصة الحضارات البدائية مملكة الانـكا التى كانت دولة غنية وفى نفس الوقت على درجة من التعقد . فقد كانت دولة غنية بالمعادن التى سال لها لعاب الغازين الأول والتى مهدت لاحتلال أرضها كذلك فقد كانت ثرية بالرجال الذين ثاروا فى وجه الحكم الأجنبى وكانوا على درجة كبيرة من المهارة فى الزراعة والحرف اليدوية . وقد أصبحت الثروة النامية هى الأساسى الحقيق لأكبر مستعمرات الامبراطورية الأسبانية . وقد وجد عديد من الباحثين فى امبراطـورية الانـكا مثلا للاقتصاد المخطط لصالح الدولة أو للاقتصاد الاشتراكى أو الشيوعى أو أى مشروع مثالى يوضع تحت التنفيـذ . ففى اطار هذه الدولة لم يوجد عاطل أو غير مستفيد كما لم يوجد مسجونين وقليل من الجرائم وباختصار لا يوجد إلا قليل من الأمراض التى واكب ظهورها فى أوربا الاقطاع فى المدن العريقة والدول البيروقراطية الحديثة . ولهذا يبدو العديد من الأوربيين أن حياة المواطنين فى امبراطورية الانـكا كانت منظمة ومن ثم من المدهش أن يوجد تخطيط ناجح بين الهنود الأمريكيين .

وقد أصبحت امبراطورية الانـكا مع مرور الزمن من أكثر الحضـــارات البدائية التى جذبت انظار الباحثين لدرجة انها أصبحت تعد مثلا يضرب به حين المقارنة بين نظام سياسى قديم . وحضارة الانـكا لم تمثل على مقياس كبير وذلك أولا لأنه نظر اليها دائما فى إطار أفكار مصطلحات السياسة والإقتصاد الأوربية

وثانياً بسبب التخطيط الرياضي الذى وصفوه والذى يتضمن على أى شيء كوحدات كسرية . على أى حال فقد اكتسب حضارة الانكا بجميع مظاهرها سمة جيدة عبر القرون .

وتتسم البيئة الجغرافية التى قامت بها حضارة الانكا بانها بيئة غير عادية تتضمن مظاهر طبيعية مختلفة . فالمنطقة الساحلية الضيقة التى تمتد من جنوب اكوادور إلى شمال شيلى منطقة صحراوية بمعنى الكلمة، كما ان تيار همبولت التى يتجه من جنوب إلى الشمال على طول الساحل يجعل المحيط ابرد من اليابس ومن ثم تسقط الأمطار على البحر ، أضف إلى ذلك فلا ينمو فى تلك المساحات الرملية الكبيرة أى نباتات كما لا تقدم أى حياة حيوانية ، غير أن الأرض تقطع فى كل ٢٥ ميلا بانهار تشق طريقها أسفل الجبال فى خوانق واودية قادمة من حقول الثلج . وهذه الأودية النهرية المنعزلة خصبة جدا عندما تروى لذا فقد كانت مواضع لبعض محلات الحضارة الأولى فى أمريكا الجنوبية .

أما سلاسل كورديلرا الانديز التى تتوج السلسلة الجبلية الساحلية والتى تعتبر بعد جبال الهيمالايا أعلى نطاق جبلى فى العالم . توجد أسفل قمم هذه الجبال حقول الثلج المترامية التى تغطى كل أسطح المناطق المرتفعة والمنحدرات الهينة حيث تعتبر معلم طبيعى بارز فى جبال الانديز . وتعرف المنطقة باسم هضبة بونا Pana ويتراوح إرتفاعها ما بين ١٠ ألف و١٥ ألف قدم فوق سطح البحر ومن ثم فهى مرتفعة وفى نفس الوقت قريبة من المنطقة الاستوائية ولذا تختلف درجة الحرارة كثيرا فى أثناء النهار عن الليل كما تختلف من فصل إلى آخر . فالبرد طوال اليوم قد يؤدى إلى برودة شديدة أثناء الليل ولهذا ليس من المستغرب أن يكون الهنود الأمريكين من عباد الشمس . وقد يحدد الارتفاع النشاط البشرى .

فدوار الجبال المعروف باسم سوروش Soroche أمر شائع بين كل زوار المناطق المرتفعة السفلى كما أن السكان الذين يشكون من ضيق النفس أو ضعف القلب لا يمكنهم العيش هنا . والأمطار قليلة ومحصورة فى الفترة الممتدة من اكتوبر إلى ابريل ولذا فالمحاصيل محدودة اللهم إلا إذا اعتمدوا على الرى . كذلك يحدد الارتفاع توزيع المزارع ونوع المحصول الذى يزرع . فالحد الشمالى لزراعة البطاطس وهى أفضل المحاصيل التى تلائم المناطق المرتفعة هو حوالى ١٤ ألف قدم فى الانديز الوسطى بينما تصل إلى ١١ ألف قدما بالنسبة لمحصول الذرة . وأعلى النطاق الزراعى يوجد فوق الهيئة مراعى متناثرة تقيم بصعوبة أود حيوان اللاما والالبكا .

ظاهرة طبيعية أخرى بارزة فى جبال الانديز وترتبط أيضا بالارتفاعات الشاهقة وهى وجود الخوانق العميقة التى تشق طريقها فى الأطراف القريبة للهضبة المرتفعة حيث يصل عمق بعضها إلى ضعف عمق خانق اريزونا الكبير . والأنهار سريعة الجريان ولا يمكن تتبع أعاليها أو أدانيها كما أن جوانب الخانق صعبة لدرجة تحول دون معرفة عدد المجموعات البشرية التى تعيش فى بطون هذه الأنهار الصغيرة أو على جوانبها والتى تعتبر من أكثر الجماعات البشريه عزله فى العالم ، وهذا الجانب من الجبال هو أكثر أجزائها جفافا ولكن أكثرها استقرارا عند إستخدام الرى وعمل المدرجات .

أما الجانب الشرقى من الانديز فهو مختلف تماما . فالرياح المحمله بالرطوبه العاليه والقادمه عبر المحيط الأطلنطى لرى حوض الامزون ترتفع إلى طبقات الجو العليا الباردة بواسطه تيارات الجبال حيث يتكثف البخار ويبقى فوق المنحدرات الشرقيه ليكون مصدرا دائما للسيول المفاجئه . ويغطى هذه الأراضى

المرتفعة غطاء غابى كثيف مقطع بواسطة روافد مائية تتجمع فى شكل منابع مائية تشبه روافد نهر الامزون . وقد تمكنت امبراطوريات الأراضى المرتفعة من أن تتوغل عبر هذه الأراضى الصعبة ولكن لم تستطيع أبدا أن تقهر قبائل الغابة . ويبدو أن مثل هذه البيئة المتضمنة أراضى مرتفعة ومنحدر غربى منخفض وصحراء ساحلية عبارة عن عقبة حالية فى سبيل نمو الحضارة . فنقص الأنهـــار الصالحة للملاحة وفقد كل من الساحل والأراضى المرتفعة فى الحيـاة النباتية والحيـوانية وصعوبة النقل لم تقدم إلا القليل بالتأكيد للصائدين وجامعى الطعـام . غير انه بفصل المعلومات الزراعية ومعرفة الدورة الزراعية وفوق كل هذا الرى يبدو ان هذه المناطق كانت من أغنى مناطق الاستقرار . ففى بيرو يوجـد عديد من الامكانيات للزراع . فنقص مياه الأمطار حافظ على الثورة الطبيعية للتربة والممثلة فى العناصر المعدنية والتى ازيلت من المناطق التى تتعرض لأمطار غزيرة . كما أن الامتداد الكبير للعروض الأرضية سمح بإيجـاد مناطق ايكولوجية مختلفة وواسعة ولا تبعد بعضها عن بعض إلا بمسافات قصيرة وما ترتب على ذلك من إيجاد فرصة لتبادل المنتجات بين هذه الأقاليم الأمر الذى أدى إلى التخصص وإيجـاد تنوعات أكبر من الأطعمة . ذلك بالإضافة إلى أن منتجات المحيط وملايين من المخلفات التى تساعد على خصوبة التربة وتضع أساسا على الأقل لإنتـــاج كبير من الطعـام ولاستقرار مكثف .

ويوجد من الناحية التكنولوجية امران مكانا من الاستغلال المثمر لهـــذه الامكانيات . فالأدوات وطرق الاستقلال لاتقل أهمية عن تنظيم السكان لاستخدام هذه الأدوات والقيادة اللازمة لبناء مشروعات الرى من حفـر قنوات وتمهيـد للارض أو لتبادل المنتجات أو للدفاع عن الأقاليم ضد الغزاه . هذا التنظيم السكانى

فى الدولة يمكن النظر اليها على انها وجه تكنولوجى واقتصادى واجتماعى وسياسى إلى جانب كونهـا بناء دينى .

أما السؤال الآن فكيف أصبحت امبراطورية الانكا قصة مفيدة وذلك على ضوء الأعمال الأثرية الكثيرة التى كشفت فى بيرو ولاسيما فى الأودية الساحلية التى من المحتمل انها كانت موطنا للمراحل الاولى لحضارة الانكا وذلك قبل أن يكتمل تقدمها . فعلى النقيض من الادلة المستقاة من مناطق حضارة الازتك والمايا فى المكسيك وجوتيمالا حيث لم يكتشف مراحل نمو أولى لها فقد وجد عديد من المواقع الساحلية فى بيرو تنتمى لفترة ما قبل الزراعة هناك ومواقع أخرى لفترة الزراعة فخارها ونسيجها ثم أخيرا مواقع للمراحل المختلفة للنمو والتى أدت فى النهاية لظهور المدن الكبرى فى العهد المتأخر للامبراطوريه القليله وقد ارتبط بدايه الزراعه فى ساحل بيرو قبل بدايه المسيحيه بوقت قصير . وهذه الفترة التى يطلق عليها الاركولوجيون فترة التكوين Formative Period كانت هى الفترة التى وضعت فيها الاسس التكنولوجيه لحضارة الانديز والتى انتشرت فيها على طول الساحل . فقد ظهر نمط مميز فى المبانى وأعمال الفن والزراعه والنسيج والذى سرعان ما تبلور وانتشر إلى المناطق المرتفعه . ويعرف هذا النمط باسم شافين Chavin . وجاء فى أعقـاب فترة التكوين فترة أخـــرى حدث فيها تطور أقليمى وتخصص محلى واختلافا ربما كان موازيا أو نتيجه لظهور مقاطعات سياسيه صغيرة . وقد ظهر مثل هــــذا الاتجاه فى مناطق أخرى ولكن الانماط المميزة هنا توصى بأن مجموعات منفصلة لغويا ethtic groups قد ارتبطت بالتطورات الاقليميه المختلفه .

فعلى طول الساحل والمناطق المرتفعه فى جنوب بيرو بدأت حضارة تعرف

الآن باسم حضارة ناركا Narca تحل محل حضارة شافين . وفخار ناركا كان مميزا بصقله اللامع وتزينه بالطلاء . فقد إستخدم فى تكوين قدرة واحدة فى بعض الأحيان حوالى ١١ لونا مختلفا . وقد تطور فن النساجة فى هذه الحضارة أيضا واستخدم كل من صوف الابكا واللاما إلى جانب خيوط القطن وظهر منه التطرير . أما التعدين فلم يكن له نصيبا إذ أن الذهب كان هو المعدن الوحيد المعروف وكان طرق تشكيله تضمن ببساطة الطرق .(شكل ١٨)

أما المظهر الحضارى فى شمال بيرو حيث وجدت حضارة موشيكا Mochica فكانت أكثر وضوحا ، فالأهرامات الكبرى والمعابد والمقابر التى احتوت على ما ينبأ عن تاريخ ملوكها وبلاطهم ، والرى والطرق والأدلة الأخرى كلها توضح أن نظاما سياسيا كان سائداً . وقد إستخدم النحاس والفضة والذهب فى التزين ، وتقدمت النساجة ولكن خير الأدلة على التخصص الفنى ارتبطت بالفخار الأحمر والأبيض .وقد زين الفخار دائما برسوم ومناظر حقيقية تمثل الحياة اليومية والتى يمكن أن تتخذها دليلا على نظام الحياة انذاك فمن دراسة الفخار يتضح أن النظام الاوتوقراطى هو نمط الحكم وان حروب الاغارة قد وجدت لها سبيلا فى هذا النظام . فالموشيكانين أنفسهم قد هزموا فى النهاية حيث سادت فترة من الاضطراب السياسى عرفت فى شمال بيرو باسم العصور المظلمة Dark ages .

وقد ظهر فى هذه الاثناء امبرطورية جديدة فى مرتفعات بوليفيا بالقرب من بحيرة تيتى كاكا Tikicaca عرفها الاركولوجيون باسم Tiahuanaco حيث بسطت نفوذها وتأثيرها إلى المناطق الساحلية وحتى الأراضى الوعرة فى موشيكا. ولكن هى الأخرى بعد مضى عدة قرون على ازدهارها ذبلت وانطفأت كغيرها من الامبراطوريات الهندية . وقد اعتمدت كل من الحضارات المتتابعة



شكل (١٨) مجموعة من نساء الانكا تغزلن الصوف

السابقة فى تواجدها على الرى وعلى زراعة أنواع مماثلة من المحاصيل وتربية الحيوان وصناعة الفخار والنسج ، غير أن سقوط وموت أى امبراطورية من هذه الامبراطوريات إرتبط باضمحلال النظام السياسى وانصراف حياة السكان .

ومع قيام الامبراطورية الجديدة التى إمتدت فوق ساحل بيرو كله فى غضون عام ١٠٠٠ م . تكونت المظاهر الحضارية للدور الأخير من حضارة الانكا . وهذه الامبراطورية الجديدة التى عرفت باسم شيمو Chimu قد اختلفت عن الامبراطوريات الأولى من حيث حجمها فشبكة الرى قد شملت مناطق أكثر اتساعا الأمر الذى يأخذ على وجود نظام حكومى أكثر سلطة وتعقيدات ، كما ظهرت أيضا لأول مرة فى هذه الفترة نمو حقيقى للمحلات العمرانية الحضرية فبنيت المنازل فى كتل حجرية كبيرة كما وضعت على هيئة وحدات كبيرة أو متجمعة .

غير أن مصير كل الامبراطوريات الساحلية كان يقرر من الهضبة المرتفعة حيث كانت الأحوال مضطربه أكثر من الساحل . فكل المنطقة المرتفعة من الانديز شغلتها عدد كبير من القبائل المنفصلة والتى لكل منها لهجتها ولغتها .فأحد هذه القبائل التى تتحدث لغة الكيشو Quechua Language والتى تعرف حاليا باسم الانكا وذلك نسبا لاسم حاكمها قطنت بالقرب من مدينة كيزكو Cuzco الحالية فى بيرو والتى منها بداءوا فى حوالى ١٢٠٠ م فى بسط وتأسيس نفوذهم فى المنطقة . فمعالم أسرة الانكا الحاكمة ضئيلة حتى قدوم هؤلاء الغزاة .

أول حاكم تمكن من حكم المجموعات بالإضافة إلى قومه هو باشاكوتى انكا Pachacuti Inca الذى توج فى عام ١٤٣٨ .ففى عهده اندمج جيرانه المقهورين إلى

عناصر أكثر دواما فى دولته ، فقد كان ابن باشاكوتى يتولى قيادة جيش أبيه وساعد على إمتداد سلطاته إلى شمالا إلى كيتو واكوادور وجنوبا إلى شيلى وفى النهاية إلى الساحل حيث أبدأت امبراطورية شيمو مقاومتها المنبقية . وتعد فترة حكم ابن باشاكوتى المعروف باسم توبا انكا Topa inca من أكبر الفترات التى ضمت فيها ممتلكات إلى الانكا ، فقد استمر حكمه حوالى ٢٢ عاما إلى أن مات فى عام ١٤٩٣ ليحل محله فى الحكم ابنه هو ينا كاباك Huayna Capac ولتسير أمور بناء الامبراطورية سيرا طبيعيا حيث لم يحدث ما يثير الانتباه إلا الحملة الأولى لبيزارو التى وصلت إلى تومبز Tumbez فى عام ١٥٢٧ وهو العام الذى توفى فيها هونيا .

وبعد انقضاء أربعة أعوام على حملة بيزارو ولسؤ الحظ كانت فترة الحروب الأهلية كان هوسكار Huaacar نجل كاباك مرشحا لتولى الامبراطورية غير أن أخيه Atahuallpa الذى كان حاكما لكيتو قد ثار الأمر الذى دفع هوسكار إلى تقسيم الامبراطورية والاحتفاظ بجزئها الشمالى له ، وقد انتهت الحرب الأهلية بإنتصار اتاهو البا فى نفس السنه الذى قدم فيها بيزارو للمرة الثانية إلى بيرو .

وقد ضمت امبراطورية الانكا مايزيد على ٦ مليون مواطن وشملت عديدا من القبائل المتميزة لغويا وحضاريا وقد اختلف أساسه الحياة من أقليم لآخر غير أن التوزيع العام ظل من سلطة الدولة التى لجأت لإيجاد نوع من التساوى فى الموارد . فقد كانت البطاطس المحصول الرئيسى فى الأراضى المرتفعة حيث انه من الممكن زراعتها على إرتفاعات أكثر من أرتفاعات الجنوب بينما كان الذرة هو المحصول الأساسى فى مناطق السهول والأراضى المنخفضة . وربما كانت

البطاطس أكثر أهمية فى الحياة اليومية للأسرة ولكن نظرا لامكان تخزين الذرة كان هو المحصول الذى تعتمد عليه الدولة ومن ثم فكان له مركزا أعلى من المحاصيل الأخرى . وفى منطقة الهضبة أو البونا زرع فوق منطقة زراعة الذرة نوعا آخر من الحبوب وهو Puinoa . وقد كانت هذه الحبوب بالإضافة إلى البطاطس تأكل ، أما على شكل عصيدة أو نوعان من الخبز gruel مع ملاحظة أن الذرة كان يستخدم فى بعض الأحيان بطرق أخرى ، فقد كان يطحن دقيقا أو يأكل بدون طحن كما يصنع منه البيرة ، وقد زرعت أنواعا عديدة من النباتات فى المناطق الساحلية كالفول بأنواعه المختلفة والمانيوك والقرع والبطاطا والطماطم وأنواع عديدة من الفاكهة . كذلك زرع القطن على الساحل لإستخدام الياف فى النسيج .

وإستخدام هنود الانكا التبغ ولكن فى الأغراض الطبية والسحرية فقط وذلك على شكل نشوق . أما المشروب العام لديهم فكان الشيكا « Chicha » وهى نوع من البيرة المصنوعة من الذرة أو أى طعام آخر مخمر . ومن مشروبات هنود الانكا الشهيرة الأخرى الكاكاو الذى كانت تجفف أوراقه بعد احضارها من الغابات الشرقية . وحينما تمضغ هذه الأوراق بالجير تخرج منها كمية من الكوكاين . وقد إستخدم الهنود هذا الدواء حينما يبدو عليهم الاجهاد من العمل أو فى وقت الصعوبة أو نقص الطعام . ويستخدم هذا الدواء حاليا فى حياة الهنود .

ولم تكن اللحوم عنصراً رئيسياً فى غذاء الهنود ، فقد وجد قليل من حيوانات الصيد والطيور كما وجد فى المناطق المرتفعة حيوان الجوانكو وقليل من الأيائل . وقد لجأ سكان الساحل لصيد السمك والسحالف كما ربى سكان المناطق

المرتفعة الخنازير والكلاب والبط والتي اقتصر إستخدامها كغذاء فقط في المناسبات
أما اللاما والالبكا حيوانات الحمل الوحيدة التي إستخدمها سكان أمريكا الجنوبية
وكانت قيمتها كطعام أهم للانكا . فحينما يذبح حيوانات كبيرة كان تقطع لحومهم
إلى قطع صغيرة تجفف على هيئة بسطرمة حيث عرفت باسم شاركني Charqni .
أما اللاما فقد إستخدمت كحيوان للحمل على الرغم من أنها لم تستخدم في الركوب،
كما إستعملت أصـــوافها أيضا غير أن الالبكا وهو أصغر من اللامـا قد أعطى
أصوافا أجود ولذا فقد ربوا هذا الحيوان لذلك الغرض .

وقد قامت ترع الري الكبيرة بتوزيع المياه على الأراضي الزراعية الهضبية،
وكان ذلك بطبيعة الحال عمل مستمر لآلاف المواطنين على مدى عدة مئات
من السنين . ومن ثم فمن الممكن قياس الزيادة التدريجية في السكان وحجم المجتمع
وأتساع وتطور العمال والنظم السياسية ونمو الحضارة باختصار عن طريق نظم
الري الموجودة والتي تتابعه عبر القـــرون . ففي أبان فترة امبراطورية الانكا
إمتدت نظم الري التي قامت أساسا في المناطق الساحلية . إلى كل المناطق التي
يمكن ممارسة الزراعة فيها من الساحـــل وفي المناطق المرتفعة . كذلك كان انشاء
المدرجات حصيلة عمل إستمر عدة أجيال . فكثير من الأراضي الموجودة في
الساحل وفوق المرتفعات كان لا يمكن أن يكون لها قيمة إقتصادية بدون تحويلها
إلى مدرجات وتسويتها . وقد مهدت ودرجت كثير من المناطق التي كان لا يمكن
أن تروى وسبب ذلك هو الرغبة في الحصول على أقصى إستغلال للأرض الصعبة .
وعلى الرغم من أن هذا النوع من الزراعة كان كثيفا أكثر منه واسعا إلا أنه نوعا
غريبا بالنسبة للأمريكيين أكثر من الشرقيين . حتى المخصبـــات التي نادرا
ما إستخدمها الزراع البدائيين كانت معروفة لدى زراع الانكا . فالجـــوانو

Guano وهى مخلفات طيور المحيط الهادى كانت تستخدم كسماد حيث كانت توزعه الدولة فوق مساحة كبيرة من الأرض . كذلك إستخدمت بقايا الإنسان والحيوان والرماد والأسماك وكل مادة تمكن أن تزيد خصوبة الأرض كسماد ولكن على نطاق محلى . أما زراع البطاطس فى الجهات المرتفعة فقد اعتمدوا أكثر على نظام واجه الأرض لفترة من الزمن .

وقد كان مسئولية الدولة نحو توفير وتوجيه العمالة أمراً مميزا لنواحى عديدة من حضارة الانكا . فالقلاع الكثيرة والقصور والمعابد قد بنيت من كتل حجرية كبيرة وضعت فوق بعضها بدون إستخدام مونة أو مادة لاحمة . فحجم وضخامة العمارة حيث إرتفعت بعض الحوائط لأطوال تزيد على ١٠٠ قدم كان ظاهرة بارزة ، كما قامت شبكة معقدة من الطرق ربطت أنحاء الامبراطورية وكان أغلبها من صنع المجهود الضخم للعمال . بعض الطرق كان مرصوفا وبعضها شق وسط الصخـــور الصلدة والبعض الثالث قد مر فوق ممرات إذا ما كانت الأرض مستنقعية أو فوق كبارى عبر المناطق الجبلية .

وكل هذه المظاهر التى ميزت حضارة الانكا كانت من تنظيم الدولة للأيدى العاملة غير ان الإقتصاد المنزلى واقتصاد القرية كان بمثابة القاعدة لهذه الحضارة . واذا كان إنتاجها لم يكن بالدرجة التى تعنى باعداد السكان أو أن فائضها لم يسمح للدولة بتوزيعه لكان هنود الانكا مجموعات من القبائل البدائية المفككة . وعلى هذا المستوى المحلى فإن حقيقة ان الحياة اليومية للهنود لابد وأن تكون مماثلة لتلك الحياة الموجودة بين القبائل البدائية الأخرى الأقل تميزاً وحضارة ، فى الفترات التى تدخلت فيها الدولة فى حياة الهنود هى تلك الاونة التى ظهر فيها اضافات جديدة للحضارة والحيـــاة فى المجتمعات البدائية ترتبط أساسا بحياة

الأسرة والحدود التي وضعت كأطار للقرية أن الانسان المتحضر يمارس حياته فى نطاق أوسع من هذه الدائرة .

والقرية الهندية فى حضارة الانكا كانت تتكون أساسا من مجموعة من الانساب والتى يطلق عليها اسم ايلـــلو Ayllu . وقد كان لمجتمع القرية لكل ملكية الأرض والسيطرة عليها غير انها قسمت بين الايللو أو الانساب المختلفة والذين بسطوا نفوذهم عليها . فكل عائلة منفردة كانت تمتلك أجزاءا من أراضى الايللو أو النسب حيث تورثها فيما بعد إلى الذكور . وقد يظهر فى أى وقت من الأوقات ان الأسرة الواحدة قد تمتلك الأرض التى تزرعها ولكن يعاد توزيع أرض النسب مرة أخرى بحيث توزع الأراضى الايلو على كل العائلات حتى يحدث عدالة فى التوزيع . والأرض لا يمكن تباع كما أن العائلة لا تستطيع أن تتصرف فيها إذ أن إنتاج التربة كان من إختصاص العائلة التى تقدم بزراعتها . كذلك كان العمل اليومى فى الزراعة من إختصاص الأفراد ، غير أن العمل الأكثر صعوبة فى الزراعة والحصـــد وبناء المساكن وإصلاح قنوات الرى والطرق وما شبه ذلك كان يتم عن طريق العمــــل الجاعى الذى كان يطلق عليه اسم مينجا Minga .

أما نظام تأجير الارض على المستوى المحلى فهو يشبه ذلك النظام الذى يوجد فى قرى الزراعة البدائية . فنى منطقة الانديز كان يوجد أحواض وقطع زراعية غير خاضعة للملكية المجتمع . وفى بعض المناطق ولاسيما الاراضى المقهورة على طول ساحل الباسفيك أخذت أرض القرى باسم امبراطورية الانكا ولصالح الكنيسة . أما فى المناطق المرتفعة فقد لجأت الدولة لإستخدام نظـــام المينجا ففرضت على المجتمعات ضرائب تتمثل فى إستخدام نسبة من العمال سنويا .

وإستخدام السخرة فى العمل فى أغراض عديدة خلق أراضى جديدة عن طريق تمهيد وتدريج المنحدرات . وهذه الأراضى أصبحت ملكا للدولة ، وقد تعطى الدولة فى بعض الأحيان مثل هذه الأراضى لأشخاص على شكل ابعاديات وذلك حينما يقوم هؤلاء الأفراد بتأدية خدمات للدولة . ومثل هؤلاء الرجال هم الحكام المحليين Curaca أو أعضاء أسرة الانكا أو القواد الحزبيين والعمال الذين عملوا فى هذه الأراضى لم يكونوا عمـــال مستقرين بالأرض . فمنازل العمال فى المزرعة كانت مأوى لعمال الوردية فقط وشأنهم فى ذلك شأن نظام سخرة إستخدام العمال فى تشيد مرافق الدولة مثل الطرق والقنوات والقلاع وكنظام فإن هذا النظام يميز عن الاشتراكية . فالصفة المميزة لحكم الانكا هو أن الدولة لاتتحمل مسئولية معيشة المواطن العادى إذ أنها ليست دولة حرب . فالقرية الانكاوية مثل القرية البدائية تعتمد على نفسها اذ أن الاشتراكية أو الشيوعية كانت المشاع العام بين كل القبائل البدائية والقرى كما كانت أساس تعاون الأسر والانساب . تدخل الدول فى هذا النظام كان لا يتعدى حدود امكانها توزيع فائق العمالة تحت نظام السخـــرة .

أما عن التجارة وهى مظهرها ما فى نظام الانكا فلعبت الدولة دورا يشبه دور الملاحظين الأوربيين الذى أدى إلى تطور الاشتراكية إلى نظام . وقد كان السبب وراء ذلك ان التجارة لم تكن حرية بين الافراد فى البضائع الهامة كما انه لايوجد وسيلة للتبادل أو سوق إذ أن الطريقة التى لجـــأت اليها الدولة لتبادل منتجاتها كانت الطـــريقة البدائية المعروفة ولكن على نطاق كبير وهم فى ذلك يشبهون قبائل نوتكان Nootkan والملاينزين والبولينزين حيث يقوم رؤسائهم بجمع وتوزيع البضائع فى مناطق اختصاصهم . فوظيفة دولة الانكا فى التجارة

كان أساسا قائما على إعادة توزيع البضائع .

وعلى مستوى القرية ملئت المخازن والشون بالحبوب والملابس التى يمكن للمجتمع إستخدامها فى وقت التحط والمجاعة .

كذلك يسمح بإستخدامها للأفراد والاسرة غـــير النادرة . وهذه المخازن والشون قد خصصت لصالح الدولة عن طريق الخير وان كانت فى العادة هـذه وظيفة القرية أو النسب فى القرى التى يقطنها الجماعات البدائية . وسلطة الدولة على القرى فى هذه الحالة يضمن وضع أسس إقامة مخازن الحبوب أو المنتجات الاخرى التى تنتج من أراضى الدولة والكنيسة والتى إستخدمت لاطعام الجيش والمتخصصين والموظفين الذى يقطنوا المدنية الكبيرة

وربما كان أهم نتيجة اقتصادية لاعادة توزيع الدولة للبضائع هـــو التحكم فى انتقالها من اقليم أيكولوجى خاص إلى إقليم آخر كأرسال الحبوب إلى مناطق زراعـــة البطاطس ، وصوف الابكا مـــن المناطق المرتفعة إلى المناطق الساحلية وهكذا .

وهذا النوع من إعادة توزيع السلع كان الوظيفة الهامة لما سمى بالتجارة المحلية ولكن هذه وظيفة الدولة إذا ما تخذت كلمة اشتراكية بمعناها الفضفاض ونظر إلى المجتمعات البدائية على أنها دول اشتراكية . فرؤساء بولينزيا على سبيل المثال يقبلون هدايا فائض الطعام من كل أسرهم الذين أسعدهم الحظ فى وقت من الأوقات للحصول على هذا الفائض غير أنهم يعطون فيما بعد معظم ما حصلوا عليه إلى ذويهم حسب الكمية التى قدموا من قبل وقد يقال أن هذا تبعا لكرم الرئيس ولكن من الناحية الاقتصادية هذا مجرد اعادة توزيع .

فليس هناك استغلال فيما عدا جزءا بسيط يحجز للرئيس وعائلته وبعض أتباعه القلائل وحينما يحدث شيء مشابهة لهذا فى مجتمع الأنكا فقد يختلف مقياسه فعدة آلاف وعدد أكبر من العمال ساهموا ومن ثم فحصيلة الانتاج كانت أكبر لكى يمكن أن تقيم أود مجموعات أكبر من الأسرة الحاكمة والمتخصصين والجيش والقساوسة أو الكهنة . وقد أصبحت دولة الأنكا فى أوج عظمها دولة مستقلة إذ كان هناك ١٢ أسرة تمثل الطبقة الموسرة وعدد كبير من الحواريين والفنانين الذين لايؤدوا عملا سوا مساعدة الحكام فى الباسهم وتزينهم والرقص والموسيقى ذلك إلى جانب الكهنة وخدام الكنيسة .

فوقت العمل كان ناحية هامة فى النظام البدائى لإعادة توزيع المنتجات كما كان يعتبر شكلا من الضرائب التى لاتنفع العامل مباشرة . بمعنى أن الدولة كانت تحصل الضريبة من منتجات العامل وليس من العامل ذاته . فالملابس سواء كانت قطنية أو صوفية أو خليط من الاثنين معا يبدو أنها حفزت على الاهتمام الأول للدولة . وكما هو الحال فى بقية أجزاء الاقتصاد فقد وجدت طريقتين لصناعة النسج النشاط المحلى الاكتفاء الذاتى والنشاط القومى أو الدولى . فنساء القرى كانوا يقوموا دائما باعمال الغزل والنساجه وذلك من أجل توفيرها لأسرهم وثانيا لإنتاج كميات محددة للدولة لكى تستخدمها لجنودها وعاطليها . ونفس الشيء ينطبق أيضا على كل الحرف اليدوية حيث وجد فى الدولة بعض الرجال المهرة الذين يخضعوا فى صناعه منسوجات راقية للطبقة الحاكمة . ففى أوج حضارة الانكا كان الأفراد البارزين فى الأسرة الحاكمة كانوا يرتدون ملابس فاخرة وكانوا لايرتدون الثوب مرتين أبدا .

أما الفلاحون فقد ارتدوا ثيابا من أقمشه مغزولة فى المنزل ولكن فى المناطق

المرتفعه القاسية المناخ كان على السكان أن يرتدوا ملابسه ثقيلة ولذا فقد ارتدى الرجال فى العادة البنطلون القطنى والصديرى بدون أكمام وشال يوضع على الظهر ويربط بعقدة من الامام .

أما النساء فقد ارتدين باثواب تلتف حول أجسادهم من تحت الاذرع وحتى الاقدام وبها أجزاء عليا تلف حول الأكتاف وتربط بدبابيس مستقيمة كما وضع حزام فى الوسط . وقد ارتدى ايضا كل مـــن الجنسين الصنادل خارج المنزل .

أما الزينة فقد انحصرت لدرجة كبيرة فى أفراد الطبقة العليا الذين كانـوا يزينوا أنفسهم بالاساور والحلى الفضية والذهبية . وقد سمح لافراد أسر الانـكا بثقب أذانهم ووضع خراط كبير . وقد لاحظ الأسبان عند وفودهم إلى تلك المناطق مايسمو اباسم كبار الاذان The inca Kinsmen oreJones(Big ears)

والاريجون الذين يقطن معظمهم المدينة العاصمة كيزوكو قد أعفوا مـن الخدمة الحربيه والعمل ومثلهم فى ذلك مثل الطبقات الخاصة الأخرى فى المجتمع وقد كان الـكوركا Curacas نوعا مـن نبلاء المقاطعات والذين كانـوا فى وقت من الأوقات حكاما لأقاليمهم وقد وضعهم الأنكا ضمن مجموعة بيروقراطية الدولة كـكونهم حكام غير مباشرين ومع مرور الزمن تعلم أحفاد الـكوركا فى كزوكو عادات الانكا ومن ثم أصبحوا غير مميزين عـــن طبقات الانكا الاصلية كذلك تعتبر جماعة اليانا Yana من الجماعات المميزة فى مجتمع الانكا وذلك بالنسبة للتجنيد حيث يقضوا معظم وقتهم فى تخصصاتهم المختلفة كخدم أو موسيقيين أو راقصين أو أصحاب حرف يدوية متخصصة وغيرها من التخصصات التى تخدم الحاكم .

أما الاكلا Aclla والذين يسمـــون خطأ باسم عـــذارى الشمس

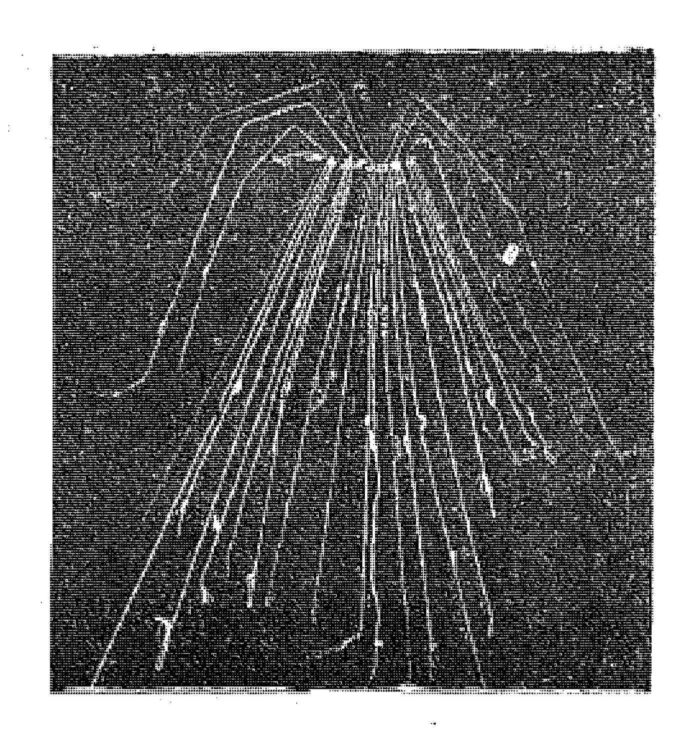
" Virgins of the sun " فكانوا عبارة عن الاناث الموازين لجماعة اليانا والذين يعمل بعضهم فى خدمة الكنيسة ولكن أغلبه كان خدام أونساج مهرة .

وأحد الحرف الاخرى التى تستحق للذكر فى مجتمع الانكا حرفة السكيبو quipu الذى يقوم بتسجيل أعداد السكان والضرائب ونظرا لأن الأنكا كانوا يفتقرون إلى الكتابة والحساب ولذلك فالشخص المتمرن فقط هو الذى يستطيع أن يقوم بعملية التسجيل . ومثل هذا الشخص الذى يتمرن على تقويه الذاكرة يعرف باسم كيبو حيث يربط بهعدد من الحبال أو السلاسل ذات العقد (شكل١٩) وهذه كانت ملونة فى العادة لتمثل عناصر متعددة كالسكان أو الضواحى أما العقد الموجودة بها فكل واحدة منها تمثل الاحاد والعشارات والمئات والألوف وهكذا

وقد اعتقد بعض المدلقين الإسبان الأوائل أن كل مجتمع الانكا ينقسم إلى وحدات من السكان تبدأ من مجموعات عشرية إلى وحدات مئويه ثم إلى وحدات ألفية وهكذا ولكن نعرف الان أن هذه طريقة احصاء ارتبطت بطريقة بسيطة للعدد أكثر من تنظيم وظيفى للمجتمع . وأكثر من ذلك فإن هذا العدد ينحصر فقط فى الاسر وليس الأفراد فالشخص الأعزب مثلا ليس له خدمة للدولة .

وقد تمتع النساجون والمعدنيون من جماعة اليانا بصيت واسع فى انتاجهم الجيد . فالمنسوجات المزينة بالصور والتى صنعها نساجو الانكا فاقت كل ما هو معروف باوربا ، كما أن الصهر الحقيقى للنحاس والفضة كان معروف بل أيضا توصلوا لصناعة البرونز على الرغم من أن حضارة الانكا لاتعتبر من بين حضارات البرونز وذلك لأن المعدن لم يستخدم فى صناعة الأدوات والأسلحة .

كما أن وفرة المعادن الثمينة ولاسيما الذهب كان عاملا لجذب الاسبان غير أن قيمة الذهب لدي الأنكا كانت تنحصر فى امتلاكه بغية استخدامه فى الزينة وعمل



شكل (١٩) الكيبو Quipu

لتزين المنسوجات بها فقد كانت مدينة كوزكو حقيقة مدينة الذهب فقد كان للقصر أفريز ذهبي وأعمدة من ذهب وفضة كما أن معبد الشمس الشهير كان له حديقة مليئة بنباتات وحيوانات صنعت جميعها من الذهب المطروق .

وقد كانت الموسيقى أحد الفنون الراقية لدى الانكا كما كانت أكثر تعقيدا وتطورا عن تلك الموجودة فى معظم المجتمعات البدائية . ومن بين آلاتهم المميزة مصفار الارض حيث يتدرج كل واحد من هذه المزامير فى طوله ونغمته وذلك بالاضافة إلى الفلوت وأنواع عديدة بين الطبل والأجراس . وقد كان تكون السلم الموسيقى بين خمس نغمات استخدمت فى الغناء ، كما أن أغانى الحب العربية مازالت تسمع حتى الان فى بعض القرى الهندية . وقد صاحب الموسيقى فى معظم الاحيان الرقص الذى مثل فى بعض الاوقات دراما بسيطة.

وقد بينت دراسة الاسبان عادات وثروة وحجم بلاط كوزكو بوضوح إذ تصوروا أن حكومة هؤلاء الحكام كانت قوية ففى الحقيقة لم يقم حكام الانكا فى كوزكو إلا بدور ضئيل فى الحكم . فاتساع الحدود وحوزة اعداد من السكان داخل الاقليم كانت ذات أهمية كبيرة جدا للدولة البدائية إذ أن هـذا البسط يرتبط بزيادة الدخل الذى يساعد على تطوير وعظمة المدينة العاصمة غير أن التقاليد المحلية للاقليم المغلوب على أمره كانت لاتتغير أساسا إذ كان على حكامها المحليين الخضوع فقط للسلطة الجديدة ومن ثم تسير بقية الحياة على منوالهـا . وهكذا لم يغير حاكم الانكا المحلى غير المباشر الاشكال المختلفة للعادات التى توجد فى مكان حدوثها . فلم يكن هناك نظام مستقلا للعدل فى مملكة الانكا .

فالقانون العام وضع أساسا لمنع الاعمال التى تهدد النظام القائم وأن أغلبية الجرائم القليلة التى حدثت وعاقبت عليها الدولة هى تلك التى اقترفها عدد من بيروقراطية

الدولة . فالخيانة العظمى كانت فى قمة الجرائم ثم يليها بعد ذلك السلوك الوظيفى السيء ، والامتناع عن الضرائب ثم القتل . والغرامة لم تكن معروفة كذلك لم تبنى أو تشيد السجون إذ اقتصر العمل الجبرى فى المناجم على أصحاب الجرائم البسيطة أما الموت فكان عقوبة الجرائم الاخرى . وبعض الجماعات التى عرفت ميتيما Mitima كان عليها أن تخدم جزءا من وقتها فى الجيش فى المناطق المفتوحة حديثا غير أن المعلومات غير واضحة عما إذا كان هذا العمل كنوع من العقوبة لجرائم ارتكبت أم كنوع من التجنيد أو شكل من أشكال التطوع .

وقد انشطرت الحياة اليومية للفلاح بين العمل فى الحقل والمنزل، حيث لم يقطع ذلك الروتين إلا فى أثناء احتفالات وشعائر القرية . والمنزل العادى فى الأراضى المرتفعة فى بيرو كان صغيراً على شكل مربع أو مستطيل بنيت حوائطه من أحجار الحقل أو الطين أو الطوب النيء كما صنع سقفه من الأشجار والحشائش ولم تكن له مداخن أو حتى نوافذ ومن ثم فكان المنزل مظلما كئيباً مليئا بالدخان والأثاث فيه متناثر ويتكون من مصطبة مرتفعة قليلا عن الأرض وفى بعض الأحيان وجد مقعد للجلوس ، إلى جانب موقد من الصلصال وقليل من الأوانى الصلصالية والأطباق . ويخزن الطعام والملابس الزائدة فى قدور كبيرة وفى العادة تبنى المنازل التى ينتمى أصحابها إلى نسب واحد فى مكان واحد حيث يحاط بسور وقد شيدت هذه المجمعات السكنية على جوانب التلال حتى لا تشغل أراضى زراعية قيمه . ولذا فشكل القرية كان شاذا بفضل المجمعات السكنية المختلفة التى كانت تتباعد عن بعضها بمسافات كبيرة . ومثل هذه القرية المفتوحة كان من الصعب الدفاع عنها غير أن السكان كان لديهم قلعة أو ملجأ عند قمة التل المجاور يمكن التراجع إليه لحماية أنفسهم .

وقد ارتبطت العائلة الممتدة كوحدة مع مجموعة من العائلات فى نقاب أكبر أو أولو Ayllu أو مجموعة العشيرة المحلية . وقد سمح للشخص أن يتزوج من بين أفراد مجموعته لذا فعضوية الأطفال فى الأولو قد تكون عن طريق الأب أو الأم على الرغم من أنها اعتبرت فى العادة أبويه وربما كان سبب ذلك أن الممتلكات تورث للذكور والاولو ليست عشيرة كتلك التى توجد بين عديد من قبائل الهنود الامريكيين كما أنها لم تكن أحادية الجانب أو خاصة بالزواج من الاباعد Exogamous أو طوطمية Totomic إنما كانت تشبه سلالة كتلك التى تظهر بين مجموعة البولينزيين على الرغم من أن المعلومات المحددة عنها ناقصة .

ونظام القرابة المتعلق بالجانبين وغير الاباعدى ساد فى الاولو . فمصطلح أخ وأخت امتدا ليشمل كل أبنـــاء الاعمام ، كما أن التميز بين أبناء العمومة اللزم والفرع والمتوقع أن يكون فى الاولو لاوجود له . فالعم يطلق عليه مصطلح والد كذلك الخالة تلقب بالام إذ أن فى مجتمع الاولو أو النسب يلعب هؤلاء الافراد دورا مثل دور الاب أو الام غير أن العمة والخالة يميزوا عنهم ويؤكد نظام المخاطبة الفروق الجنسية حيث تستخدم مصطلحات خاصة تبعا لنوع المتحدث والشخص المخاطب كذلك تعكس المخاطبة التأكيد على الإختلاف فى الجيل أو السن .

ويعتبر ألانكا الاطفال عامل اقتصادى هام كما هو الحال فى معظم المجتمعات البدائية ولذا فالاطفال مرغوبين بأعداد كبيرة شريطة أن يأتوا بعد فترات مناسبة . ولا يوجد إلا قليل من المعلومات عن ميلاد الاطفال عند ألانكا . ولكن يبدوا أن « الداية » أو القابلة كانت تستدعى لمعاونة الام فى حالة الوضع وبعد الميلاد تأخذ الام طفلها إلى النهر لتغتسل هى وابنها وبعد أربعة أيام يوضع

الطفل فى القماط جيـــدا ويربط فى لوحة المهد والتى تحملها الام خلف ظهرها ويظل الطفل بها إلى أن ينمو ويستطيع السير وحينما يبلغ الطفل من العمر عامين يفطم ويقص شعره فى احتفـال يحضره أقارب وأصـدقاء الاسرة الذين يحملون معهم هدايا بهذه المناسبة . ويقوم الخال الاكبر للطفل بعملية قص الشعر وتقليم الاظافر التى يحتفظ بها ويعطى للطفل إسما يظل محتفظا به حتى يعطى إسما آخر عند الاحتفـال ببلوغه . وفى خلال المرحلة البـاقية من الطفولة يلعب الاطفال سويا بمساعدة الآباء غير أن التربية الرسمية تقتصر على أبناء الانـكا والـكوراكا Curacal والبنات المختارات اللاتى سيذهبن للـكنيسة أو سوف يصبحوا أكلا Aclla فى كوزكو .

وعند بلوغ الصبية ١٤ عاما يتام احتفـال بلوغ لهم يتضمن إعطـائهم بنطلون الحرب وإسما جديداً وربما عد هذا أمراً بسيطاً فى القرى حيث كان يعقد مرة واحدة فى العام للشباب الذين بلغوا هذا السن غير أن أبناء ألانكا قد يلحقوا باحتفالات تستمر لعدة أسابيع حيث تشرب فى أثناء الاحتفـــالات مشروب الشيـكا Chicha وتنحر اللاما كتضحية بأعداد كبيرة كما يخضع الأولاد لاختبارات قوة تحمل ، وتزار عديد من الأضرحة المقدسة . وبعد ذلك يعطى الاولاد بنـــاطيل الحرب والأسلحة ثم أخيرا تشطر الاذان ليوضع فيها قرط ألانـكا الذى يعطيه المركز الجديد كمحارب . كذلك يخاطبوا بعد ذلك بأسمائهم الجديدة كما تمنح إليهم ألقاب الرتب فى هذا الاحتفال أيضاً .

أما احتفال بلوغ الفتيات لمرحلة النضج فيقـام مبـاشرة بعد الحيض الأول ومن ثم فقد كانت احتفـالات فرديه أكثر منها جمـاعية . فتظل البنت فى عزلة لمدة ثلاثة أيام بعدها تأخذها والدتهـــا إلى الاستحمام وتمشط شعرها وتلبسها

ملابس جديدة ثم تخرج بعد ذلك إلى الأقارب للاحتفال حيث يعطيها خالها الاكبر إسما جديداً ويقوم الاقارب بتقديم الهدايا .

وبين الفلاحين كان الزواج ممنوعا بين الاقارب فى حدود ابن العم الاول ، فأبنـاء العمومة الاوائل تزوجوا فقط إذا ماكانت الزوجة هى الزوجة الاساسية ، فزواج الاقارب الغرباء كان يعتبر جريمة شنعاء . على أى حال فقد تمكن أباطرة ألانكا المتأخرين من جعل أحد شقيقاتهم زوجة رئيسية كما أن آخرون تزوجوا اخوات لهم من الام أو ألاب . وقد فسر هذا الشذوذ عن القاعدة بأنها محاولة من ألانكا لبيان كيف أنهم كانوا فوق مستوى الرجل العادى وفوق القانون . وقد سادت نفس العادة فى مجتمعات شبيهة التنظيم كما كان فى هاواى ومصر والتى ربما كان لها صلة كبيرة بالميراث لدى الحاكم إذ أن تثبيت السلطة وقوة الدولة قد يرتبط بهذا النوع من الزواج .

والزوجات الثانويات كانت من الأمور الشائعة بين النبلاء والطبقة الراقية غير أن الفلاح نادرا ما استطاع أن يفعل ذلك . فكل الناس البالغين من المفروض أن يتزوجوا ولا يعتبر الشخص بالغاً حقيقياً إلى أن يستقر أو تستقر فى منزله أو منزلها الخاص . وفى مجال الاختيار المسموح فى الزواج وضعت بعض القيود فى القرية إذ كان على الشخص أن يختار زوجه غير أن الرأى النهائى كان للوالدين .

وقد أقام ألانكا للزواج احتفالين بطريقتين متميزتين الاول احتفال مدنى يحضره الحاكم أو ممثله ليشهد الزواج وربما كان ذلك من وظيفة المحصى أو العداد أما الحفل الثانى فهو حفل الزواج العادى الذى تنظمه عائلتى العروسين طبقاً للعادات المحلية التى تتضمن تبادل الهدايا وإقامة المآدب والطلاق محرم وذلك لان الامبراطور حضر وأشهر الزواج والارملة لا تستطيع أن تتزوج أى شخص

فيما عدا شقيق زوجها . والرجال لهم أكثر حرية من المرأة غير أن الارمل عليه أن يتزوج شقية زوجته المتوفاة .

ويعتقد سكان الانديز أن الأمراض تسببهـــا قوى طبيعية خارقة ، وأن السلوك السيء وإهمال الطقوس الدينية قـد يغضب الآلهة ، وأن قوى طبيعية معينة تكمن فى الينابيع أو أن الرياح ربما تسبب المرض وذلك عن طريق إدخال أجسام غريبة إلى جسم الإنســان . وأحد المعتقدات المعينة التى آمن بها ألانـكا وما زالت حتى الآن موجودة فى بعض قرى الانديز هى فـكرة أن الخضة المفـاجأة قد تدفع الروح إلى الخروج من الجسد وتترك الشخص فى حالة ضعف شديد الهم إلا إذا أمكن إعادة الروح .

أما المطببون أو الشامانيون فـكانوا مجموعة من النـــاس اعتقدوا أن لديهم معرفة ومهارات خاصة تمكنهم من التأثير على القوى الطبيعية . وبهذا المنطق فإنهم يمارسون وظيفة السحر والتطبيب كما أنهم يستطيعوا تقرير إذا ما كانوا يرغبون فى استخدامهم سلطانهم لإلحاق الضرر بالناس . وقد استخدم ألانـكا طرق الشفاء الموجوة بين الهنود امريكيين إذ يبدأ الشامان عمله بتقديم الاضحية إلى الروح التى تسبب المرض ثم إذا ما اكتشف بعد ذلك العضو المصاب يقوم بتدليكه وحكه إلا أن تعود إلى مكانها وإذا ما قرر أن هناك شيئاً غريباً موجوداً فإنه يستخرجه عن طريق المص ويعقب ذلك وضعه ما يشبه المرهم على موضع الداء وقد أجريت عمليات التربنة فى الرأس إبان الغزو وذلك من أجل الشفاء آلام الرأس . فقد عثر الأركولوجيون فى رواسب بيرو على جماجم اتسمت بوجود ثقوب صغيرة محفورة بها أو قطاعات صغيرة محفورة بها . أو قطاعات صغيرة منشورة. وبعض الجماجم كانت معراة والبعض الآخر أجرى بها أكثر من عملية .

ويخاف سكان قرى الانديز كثيرا من السحرة أذ يعتقدوا أنهم يسببون الموت عن طريق ممارسة السحر حيث ذكروا أن السحرة يمكنهم عمل صورة للضحية ثم حرقها أو قتلها أو ربما يحصلوا على خصلة من شعر الضحيه أو الأظافر لإستخدامها فى نفس الغرض. وقد مارس السحرة عملهم فى سرية كاملة حتى لا يتعرضوا للموت ومن ثم فنتيجة لذلك فلا يعرف أحد على وجه التأكيد من هو الساحر وأن الشخص الذى يدعى على آخر بممارسة السحر يكون من السهل أن يصاب بالضرر أكثر من غيره .

وموت أحد أفراد الأسرة يؤدى إلى التجمع الفورى للأصدقاء والأقارب الذين يرتدوا ملابس سوداء ويؤدون مصاحبة بقرع الطبول والغناء. أما الأقارب من النساء فيقمن بقص شعورهن ووضع الحجاب فوق رؤسهن. وقد يستمر المأتم بين الأقارب لفترة طويلة تصل إلى عام وذلك إذا ما كان المتوفى شخصاً ما. وتلف الجثة بالقماش حيث تدفن مع ممتلكات الميت الثمينة إذ أن بقية أغراضه تحرق. وشعائر موت ألانكا بسيطة غير أن الترتيبات تستغرق وقتاً أطول كما أن عدد من الخدم يضحى بهم حيث يدفنوا معه. ومقابر ألانكا العادية كانت عبارة عن حجرة بسيطة من الحجر توضع فيها الجثة فى وضع الجلوس وقد تزال فى بعض الأحيان الامعاء وذلك كمحاولة للتحنيط. وقد دفن الملوك فى قبور أقيمت فى الأقاليم الساحلية وذلك فى الفترة السابقة للانكا كما أن مقابرهم معروفة جيداً للاركولوجيين. ومحاولات التحنيط كانت أكثر لديهم وساعد على ذلك جفاف المناخ الساحلى. أما مقابر ألانكا المتأخرين فى كوزوكو فغير وفيرة ولكن بعض الأدلة التى عثر عليها تشير إلى أن ألانكا استمروا فى عمليات التحنيط .

وقد اعتقدوا أن روح الميت قد تسكن بعد صعودها من الجسد فى أحد

الاشياء الطبيعية سواء كانت مظاهر طبيعية أو نبات أو حيوان .. وبعض الآلهة المعينين والأرواح الطبيعية وأرواح الأجداد البـــارزين قد تقدس فى أماكن تواجدها المعروفة باسم هوا كاس Huacas والذى كان قريب الشبه من الأضرحة الرومانية . وقد يكون الهوا كاس أى شيء ، قد يكون مدينة كاملة مثل كوزكو أو حجر أو ينبوع أو جبل . واعتقد الهنود كذلك فى عديد من الأشيـاء التى ترتبط بقوى طبيعية خارقة ويمكن حملها ومن ثم فقد تكون على هيئة حصى أو أحجار أو بعض البلورات ذات الأشكال والالوان غير العادية والتى تجلب لب صاحبها . وتحمل هذه الاشيـاء لجلب الحظ وتوضع فى العادة فى حقيبة صغيرة شأنها فى ذلك شأن رابطة الادوية لدى سكان سهول أمريكا الشمالية :

ويمثل كل « أولو Ayllu مجموعة حضارية وثقافية تعبد سلفها بطرق وشعائر خاصة ومختلفة إذ أن كل أفراد قرى إقليم الانديز يشتركون فى مفـــاهيم عامة بالنسبة للأسلاف والارواح الطبيعية والآلهة الخاصة لافراد الانساب والقرى . أما حكام الانـكا فقد فرضوا على رعاياهم المحليين معتقدات بالـكنيسة القومية والتى تضمنت فى جزء منها المعتقدات الخاصة للرعية واعتمدت أساسا على نظام التراضى لـكهنة الـكنيسة ، ومن ثم تضمن الـكهنوت نظـــام الحـكومة ذاتها إذ أن حـكومة الانـكا كغيرها من المجتمعات البدائية كان تنظيمها أوتوقراطى أو ذاتى .

ومعتقدات الانكا التى وضعت أساسا الدين الدولة ارتكزت على الاعتقاد فى الخالق Creator حاكم عالم ما وراء الطبيعة وذلك فى أصل مفهوم أن أمبراطور الانكا يحكم الارض . والخـالق ليس له إسماً غير أن الانكا خاطبوه بسلسلة طويلة من الالقاب والتى من بينها لقب فيرا كوشا Viracocha (اللورد) والذى

استعاله الاسبان للاشارة إليه ، وهو نفس المصطلح الذى كان يستخدمه الهنود فى مخاطبة الأسبان الأوائل الذين خافوا من ملامحهم الغريبة عليهم. وقد كان فيرا كوشا نوعاً من حضارة بطل ، حيث اعتقدوا أنه خلق العالم والبشر ثم رحل حوله بصحبة الناس ليعلمهم الطريقة الصحيحة لعمل الاشياء . وبعد ذلك اعتزل وسمح لآلهة أصغر لرعاية الكون الذى خلقه . وكانت الشمس أهم هذه الآلهة وأنشطها كما أنها كانت سلف أسرة ألانكا وكما هو الحال فى عديد من المجتمعات كان إله الشمس على هيئة رجل وكان المسئول عن نمو المحاصيل أما إله الرعد فقد تلى فى اهميته الشمس حيث كانت تقام له الصلوات من أجل سقوط الأمطار . أما إله القمر فكان على هيئة أنثى فهى زوجة الشمس وهى هامة لأن مظهرها التقويمى كان أساساً لحساب الوقت طول العام ولنتيجة الأعياد . أما الأرض والبحر فقد نظر إليهما أيضاً على كونهما أنثى ، كما أن بعض النجوم والاجرام كانت أصول بعض الأنشطة المعينة . وعلى النقيض من معظم الجماعات البدائية أقام ألانكا الصلوات لهذه الآلهة وقدموا القرابين وقد شكلت القرابين جزءا هاما فى معظم الإحتفالات فى معظم الأحيان كما أنها واكبت زيارة الناس إلى الأضرحة . حيث كانت الخنازير وحيوان اللاما تنحر كضحية إلى جانب الأطعمة وشراب الشيكا التى تقدم دائماً بالإضافة إلى الملابس . أما البشر فقد كانوا أغلى الأضحيه وهم نادرون فلا يقدموا إلا فى شعائر الدولة أثناء حدوث مجاعة أو قحط أو إبان الهزائم الحربية أو تولى أمبراطور جديد وهلم جراً .

وفترات الإحتفالات العامة الكبرى كانت تتفق تماما مع مجتمع زراعى يعبد الشمس فالسنة الشمسية امتازت بوجود احتفال كبير للشمس فى نهاية الشتاء ٢١ يونيو والقمر فى ٣١ سبتمبر والصيف فى ٢١ ديسمبر حيث كان يعقد في هذه الآونة احتفالات بلوغ شباب النبلاء . وقد أقيمت كل هذه

الاحتفالات فى الميدان الكبير فى كوزكو حيث حضرها الامبراطور وبلاطه . وقد أقيمت احتفالات أخرى فى فترات منقطعة من التقويم وربمـــا كان أهمها احتفال ايتو Itu الذى كان يعقد فى الوقت الذى يحتاج فيه ألانكا لمساعدة الآلهة وذلك فى أثنـــاء الحرب أو الجفاف أو الأوبئة . والمظاهر الرئيسة لهذا الاحتفال كانت شابيهة بالإحتفـالات الأخرى إذ تتضمن صوم الناس ليومين قبل الآحتفال ثم إخراج للكلاب من كوزكو ووضع صور الآلهة فى الميدان الكبير ثم إقامة الصلوات وتقديم الأضحية . ويعقب هذا اليوم العـــادى يومين آخرين للمرح والشرب والرقص .

والتقاليد الدينية للقبائل المتفرقة فى أنحاء الأمبراطورية لم يغيرها ألانكا ، فكما هو الحال فى نواحى الحضارة الأخرى فقد أضاف الحكام بعض الأشياء إلى نقط معينة الأمر الذى ساعد على إعطـــاء الحضارة المحلية دفعه الإستمرار عبر الزمن وقد كان تأثير سياسة ألانكا فى الحكم غير المباشر قوى لدرجة أن الاوربيين فكروا حين وفدوهم لتلك المنـاطق الإستمرار على نهجهم حتى لو اقتضى الامر أن يوضع بعض ألانكا فى مراكز إدارية غير أن سياسة الاسبان هدفت لخلق وحدة دفاعية بين الهنود والتى أصبحت كاملة فى النهاية بعد أن تقدمت اللغات المحلية وبعض التقاليد نحو توحيدها مع مرور الزمن ومنذ القرن التاسع عشر أصبحوا هنود بيرو وحدة لغوية وشعبياً .

فالقوة الاسبـانيه تحت قيادة بيزارو تمـكنت بعد ١٥٢٧ من العودة مرة أخرى لقهر أمبراطوريه ألانكا وكانت تتكون من ٢٠٠ رجلا بصحبة ٢٧ حصاناً . ومن حسن حظ بيزارو كانت امبراطورية ألانـكا ممزقة بالحرب الاهلية ومن ثم فقد تمكن الاسبان من القضاء على الامبراطورية نهائيـاً فى الفترة ما بين ينـاير

عام ١٥٣١ ونوفمبر عام ١٥٣٢ . وقد كانت المقاومة للغزاة ضعيفة وغير منظمة وذلك بعد أن قبض بزارو على الامبراطور أتا هوالبا Atahualpa الذى فاز بالحرب الاهلية وأعدمه . وقد استخدمت طريقة القبض هذه على رأس تنظيم المقاومة بنجاح فى أيام الغزو الاولى للمكسيك .

وقد قبل سكان بيرو الاصليين الحكام الجدد بسهولة لفترة من الزمن غير أن العلاقة بين القرى الريفية والسلطة المحلية كانت مضطربة بسبب الفوضى وفى بعض المناطق الحساسة مثل وادى كوزكو تمكن الغزاة من حيازة أفضل الاراضى كما كان الإقليم الساحلى مركزاً لنشاطهم . وهكذا أسست مدينة ليما عاصمة الاسبان وميناؤها كالاو Callao فى عام ١٥٣٥ حيث تطورت مدينة ليما لتصبح من أغنى المدن آنذاك ولتكون مقعداً لحضارة الاسبان وحياتهم الاجتماعية ومركزاً للحكومة .

كذلك عمرت أجزاء عديدة فى المناطق المرتفعة بالقرى الزراعية . ووزعت كإقطاعيات Encomiendas للأسبان كما حدث فى الاجزاء الاخرى من أمريكا الاسبانية . وقد اعتمد هذا النظام على نظرية الالتزام من الجانبين فعلى الهنود أن يقوموا بدفع التزاماتهم السنوية من البضائع والطعام فى مقابل التزام الاسبان بحمايتهم وفض المنازعات بينهم وتعليمهم المسيحية . ولم يطلب الاسبان أى حقوق لأى أرض فى أى مكان إذ أن حكم الهنود ارتبط بحياة الغزاة وورثتهم الاول حيث شعر التاج الاسبانى بعد ذلك أن الهنود قد تعلموا وأنهم يمكن أن يعتمدوا على أنهم وقد وضعت عدة حواجز بين الغزاة والهنود وكان هدفها حماية الهنود من استغلال سادتهم .

غير أن هذا الإتجاه الاسبانى لم يكن مقبولا لبعض الغزاة الاسبان الذين طمعوا أن يصبحوا ملاك ارستقراطيين وسعوا إلى ذلك لكونهم من أصول

متواضعة حتى ابن بيزارو كان مجرد راعى فى ضيعة أسبانية. فى وقت من الاوقات نشأت إقطاعيات أو كما عرفت باسم Latifundios ضمت بعضها مساحات كبيرة وصلت إلى عدة آلاف مربعة من الأميال عمل بها الهنود الذين جلبوا من مناطق خارج مناطق تواجدهم . وقد نمت مزارع حديثة حقيقية فى قليل من المناطق حيث تخصصت فى زراعة محصول معين للسوق التجارى كذلك ربيت قطعان الماشية فى مزارع أخرى كبيرة اقتطعت من الهنود. على أى حال ففى وقت من الاوقات أصبحت السمة المميزة للنظام الموجود فى الأراضى المرتفعة هى الضيعة Hacienda . فى هذه الاقاليم استمرت قرى الهنود تستخدم أرضها بطريقة الشيوع التقليدى مع دفع العائد إلى صاحبها وذلك فى العادة المحاصيل الاوربية مثل القمح الذى يستخدمونه لانفسهم . غير أن مالك الارض لم يكن دائما من القواد الاسبان إذ كان من أصحـــاب الاعمال . فالمجتمعات الهندية كانت هى المسيطرة على الارض وذلك بسبب التقاليد التى تربط القرى وبسبب الرابطة القانونية التى تفرض عليها البقاء مادام عليهم دينا لصاحب الارض. وحينما تباع الضيعة فإن القرى الداخلة فى حوزتها تنتقل إلى الملاك على اعتبار أنها تكون جزءاً ثابتاً من الموارد .

وقد كان هناك أمران هامان أثرا كثيرا فى سكان بيرو الأصليين فى خلال الفترة الأولى للاستعمار الأولى هى إجبار أعال ألانكا على العمل فى منـــاجم الفضة فى ظروف غير صحية الامر الذى أدى إلى أن يقضى عدد كبير منهم نحبهم أو يفروا من التجنيد . أما العامل الثانى فهو انتشار الأمراض المعدية كالجدرى الذى أحضره الأوربيون معهم فقد قدر أن عدد السكان الأصليين قد تقلص بمقدار النصف فى غضون قرنين من حكم الأسبان ، كما أن عدم الاستقرار فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية قد واكب صراع وإضراب من نوع آخر . إذ

أن حكومة المستعمرات والتى هدفت أساساً لتعليم المسيحية لم تجد أن عملها سهلا ومن ثم فقد شنت حملات تخريبية ضد الدعارة التى لم يجدى التعليم فى منعها ، كما أن معبودات السكان الأصليين فى بعض الجهات عزلت كما أحرقت فى البعض الآخر وبصفة عامة فقد دمرت حياة ثقافية وحضارية لهم .

وأخيراً بعد مضى ١٥٠ عاما حدث توافق بين حضارتى السكان الأصليين والمستعمرين إذ تدهورت الأراضى فى مناطق المرتفعات تدهورا كبيراً لدرجة أن أصبح أمام الهنود لا مفر من قبول التغير حيث أن النظام فى الضيعات قد وضع الفلاح فى وضع سيء كما أن الثورات كانت تقابل بعنف وتمخض عنها آثار سيئة فقد جمعت الحكومة عديد من القرى فى وحدات كبرى عرفت بإسم Reducciones ، حيث مهد هذا التوحيد إلى تخطيط المدن الأسبانية والتى قامت على الخطة المستطيلة ذات الشوارع المتقاطعة وحيث يوجد فى منتصفها ميدان عام وكنيسة كبرى . كذلك دخلت إلى المـــدن بعد أن وضع الأسبان نظامهم عمل السكان المحليين فى بعض المناصب الإدارية وتبدو درجة سيادة المستعمرين للسكان المحليين سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العامة للحضارة من الثورة التى قام بها جبريل كوباك امارو Jose Gabrel Tupac Amaru فى عام ١٧٨٠ إذ كان هدف الفلاحين تحسين الوضع الاقتصادى الذى انهار بسرعة تحت سلطة الاسبان إلى أن أصبحت بيرو أفقر عن ذى قبل . وقادة هذه الثورة كانوا من سلالة الانكا وجماعات أ كتورا كامى الذين كانوا يأملون فى أن يعودوا إلى سلطتهم ومركزهم القديم . ولكن عدل الثوار ولائهم بوضـــوح نحو الكنيسة والتاج بحيث قد بدى أنه ليس هناك ثمة رغبة فى عمل أى شيء أ كثر من إصلاح بعض الأشياء الخاطئة التى جاءت مع الحكم الاسبانى .وحتى فى أثناء حرب الإستقلال الأخيرة بين عامى ١٨٢١ و ١٨٢٤ أبقى الهنود الأمريكيين على ولائهم

للتاج أكثر من ولائهم للجمهوريين . وقد كانت نتائج هزيمة الثوار على قدر من الاهمية إذ تمت عدد من الاصلاحات الدورية لصالح الهنود وأن فرضت فى نفس الوقت بعض القوانين التى تحد من حضارة الانكا أضف إلى ذلك فإن مناجم التعدين أصبحت أكثر وفرة كما أن سخرة العمال والميتا Mita أدت إلى انهيار الاقتصاد الاسبانى . وهكذا تم الالتحام النهائى والاستقرار بين المستعمرين وحضارة الاهالى كما بقيت العلاقة على حالها فى بعض المناطق دون تغير حتى يومنا هذا .

ومنذ الحرب العالمية الثانية فقط أصبح التغير فى نمط حياة الانكا القديم واضحا إذ أن الوضع السياسى للشعوب الزراعية الصغيرة قد شهد زيادة التمثيل فى الشئون الاقتصادية العالمية وكان نتيجة لبداية حركة تصنيع محلية وإن كانت قزمية إلا أنها كانت ذات أهمية لتلك الشعوب . ومعنى ذلك أن العمل الاجرى زادت أهميته للقرويين كما أصبح التعليم نافعا ، وتحرك السكان صوب المدن أو إلى مراكز الصناعة الامر الذى أدى إلى توسيع عالم الفلاح وإيقاظه من سمات التخلف التى كان يتصف بها فيما سبق فلاح بيرو .

ولعل من أكثر نواحى التغير الاجتماعى إثارة فى الماضى والحاضر وذلك بالنسبة لمركز الفلاح وإعطائه قدراً أكبر من التمثيل فى العالم الحديث ما حدث نتيجة الاختلاط السلالى . فمصطلح مستيزو Mestizo والذى يعنى لغويا خيط الهنود البيض يعنى أيضاً بمفهوم أوسع هندى العالم الابيض . وبالتدريج نجد أن المفهوم الثانى أصبح المعنى المعتاد ومن ثم تحرك هنود أكثر صـــوب الفلك الاقتصادى للعـــالم الحديث وذلك عن طريق التخلى عن الملابس التقليدية للفلاح وعن لهجته وعاداته وتقاليده لدرجة أن المصطلح يشير فى الوقت الحاضر أساساً

إلى الاحوال الاجتماعية والحضارية أكثر من اشارته إلى وضع سلالى معين .

وبالمثل فإن مصطلح هندى أصبح يتفق مع معنى فلاح . ففى تعداد بيرو فى عام ١٨٧٦ كانت نسبة الهنود حوالى ٥٧٫٦ ٪ من مجموع سكان بيرو ، وفى عام ١٩٤٠ أعطى التعداد ٤٠ ٪ فقط من جملة السكان للهنود، وكما هو الحال فى بقية أجزاء أمريكا الاسبانية فقد أصبح الهنود مختلطين أو مستيزو وربما بدرجة أسرع عن ذى قبل . وبطبيعة الحال جزء من هذا الظاهر صاحب الإختلاط الجنسى ولكن الشيء المهم هو تناقص فى نسبة الفلاحين والهنود الذين انغمسوا نسبياً فى الحياة السياسية والاقتصادية لبيرو وزيادة أعداد المواطنين أو المتحضرين فى العالم الجديد . فالجماعات التى تعتقد فى نفسها ألانكا أو الكيوشو أو الهنود أصبحت أعدادها أقل بينما زاد أعداد سكان بيرو . وإذا ما استمر الاتجاه الحالى وإذا ما استمر التقدم الصناعى وزادت نسبة المتعلمين واستمر الرخاء فإن بيرو سوف تصبح أمة حديثة تتسم بوجود طبقات اجتماعية وحرفية واقتصادية مميزة غير أنها لا تستند على أى معاير يفترض أنها بيولوجية ولا يستطيع أحد التأكد عما إذا كان وضع بيرو فى الإقتصاد العالمى سوف يستمر فى اتجاهه الحاضر ..

أهم مراجع الباب الثالث

1 — Barton, R. F., The Kalingas : Their institutions and Customs law, Chicago, 1949.

2 — Keesing, F.M., Taming philippine Headhunters, Stanford, 1934.

3 — Kroeber, A.L, peoples of the philippines, Newyork, 1958.

4 — Worcester D.C., headhunters of northern luzon, National geographic Magazine, Vol. 23, No. 9, 1912

5 — Gann, T.W.F., Maya cities, A record of exploration and adventure in Middle america, London, 1927.

6 — —————, History of the Mayas, New York, 1931.

7 — Hay, C.L., The Maya and their Neighbors, New York, 1940.

8 — Stephens, J.L., incidents of Travel in central america, chiapas and Yucatan, New York, 1841.

9 — Thompson, J.E, The rise and fall of May a civilization, Normon, Okla, 1954.

10 — Bennett, W.C., The archeology of the central andes, In J.H., Steward handbook of South american indians, Washington, 1946.

11 — —————, andean culture history, american Muesum of natural history, Handlook No. 5. New York, 1949.

12 — James, P.E., latin america, New York, 1942.

13 — Means, p.A., ancient civilization of Andes, N.Y, 1931.

الباب الرابع

جماعات المجتمعات الحديثة

١ - قرية مراكشية

٢ - قرية هندية

قرية مراكشية

قرية مراكشية

يمتد ذلك الجزء من العالم العربي والذى يعرف جغرافيا بشمال إفريقية على طول الحدود الجنوبية للبحر المتوسط ابتدأ من المحيط الاطلسي غربا إلى حدود مصر شرقا . وهذا الشريط الخصب الذى يفصل منطقة الصحراء الكبرى عن البحر يحتوى فى أرضه مجموعة من الدول العربية تضم مراكش وتونس والجزائر وليبيا . وبصفة عامة تتمتع هذه المنطقة بمناخ البحر المتوسط بفصلية المميزتين فمن شهر أكتوبر وحتى شهر مارس يكون الشتاء باردا مطيراً .

أما فى الصيف أى فى بقية العام فالمناخ حار جاف . والزراعة هى أهم الموارد الإقتصادية فى المنطقة كما أن غالبية السكان من المسلمين وان كانت شمال إفريقية ومنطقة الشرق الاوسط قد شهدت عبر التاريخ هجرات متعددة وغزوات مختلفة وضعت أساسا للمجموعات السكانية فى هذه المناطق . بمعنى أن التجانس الظاهر بين سكان العالم العربى هو نتيجة لتاريخ حضارى وسلالى معقد .

أما مراكش التى تحتل الركن الغربى القصى من شمال إفريقية فقد كانت خاضعة لحكم السلطان حتى بعد إستقلالها عن فرنسا إذ يمارس السلطان وظيفته أساسا كقائد وزعيم دينى للسكان المسلمين . أما إداريا فقد انقسمت المملكة فيما معنى إلى ثلاثه أقسام وهى مراكش الفرنسيه التى كانت أكبر الاقسام الثلاثه ومراكش الاسبانيه التى كانت محميه أسبانيه ثم منطقه طنجه . وحتى فى عصر البلايستوسيين كانت شمال إفريقيه منطقه حديه للحضارات الراقيه التى نمت فى أماكن أخرى فأول التأثيرات الحضاريه التى وفدت إلى المنطقه صاحبت جماعات البحر المتوسط التى حملت الزراعه وقدمت من منطقه الهلال الخصيب

فى غضون الالف الثالثه ق.م وحملت معها القمح والشعير والخضروات والماعز والاغنام والخناير وقطعان الماشيه . ويعتقد أن هؤلاء الوافدين كانوا هم أسلاف سكان البربر الحاليين .

وفى حوالى عام ١٨٥٠ ق.م تمكن الفينقيون من تأسيس مدينه قرطاجنه التى تقوم مكانها الآن مدينه تونس ، وربما كان لهم علاقات تجاريه مع السكان المحلين غير أنهم لم يؤسسوا مستعمرات ثابته لهم هناك. إذ ان الإنتشار الرومانى قد حطم نهائيا قوة قرطاجه أثناء الحرب اليونانيه حيث أصبح الرومان بعد عام ١٤٦ ق.م هم سادة شمال إفريقيه. وفى عام ٤٢ م. أسست موريتانيا (مراكش) كمقاطعه ، إذ تكونت المستعمرات وقدمت إلى المنطقه عديد من الحضارات . وربما بسبب رغبه الرومان فى السيطرة على تجارة البحر المتوسط أقاموا مدنا عديدة فى المنطقة غير انه مع القرن الرابع الميلادى خبأ ضوء الامبراطوريه الرومانيه من شمال إفريقيه وأنقسمت أراضيها إلى ممالك عدة .

غير أن الفراغ السياسى والتجارى الذى خلفه الرومان سرعان ماملاءة المد الإسلامى الكبير فى غضون القرن السابع الميلادى إذ وفد العرب من الشرق وسرعان ما غذوا المدن والمراكز التجاريه . وهكذا وجد سكان مراكش وحتى عامه الشعب فى القرأن دستورا فأقبلوا عليه ، ثم حدث بعد ذلك الغزوه الثانيه الكبرى للمسلمين فى غضون القرى الحادى عشر الميلادى وضمت هذه الغزوة اعداد كبير من القبائل البدويه التى وفدت من شبه الجزيره العربيه حيث استقرت فى المناطق الزراعيه فى شمال إفريقيه واختلطت إلى حد كبير بسكان البربر الاصليين ونتج عن هذا الاختلاط السكان العرب الحاليين الذين يعيشون

فى ريف شمال إفريقية إذ أن بعض البربر لم يتقبلوا الوافدين الجـــديد ومن ثم انسحبوا صوب الجنوب إلى المناطق الصحراوية والجبلية وإلى أعالى الأنهار وهى نفس المناطق التى يتواجدون فيها فى الوقت الحـــاضر . وبعض هؤلاء القوم مستقرون يمارسون نوعا من الزراعة البدائية الجافة كما إن البعض الآخر رعاة بدائيون . ويعرف هؤلاء بأسماء متعددة إلا أن أكثرها شيوعا الشوايا والقبائل والشلوح والريف . وفى مناطق الصحراء أصبح البربر رعاة جمل وهم الذين يطلق عليهم اسم الطوارق .

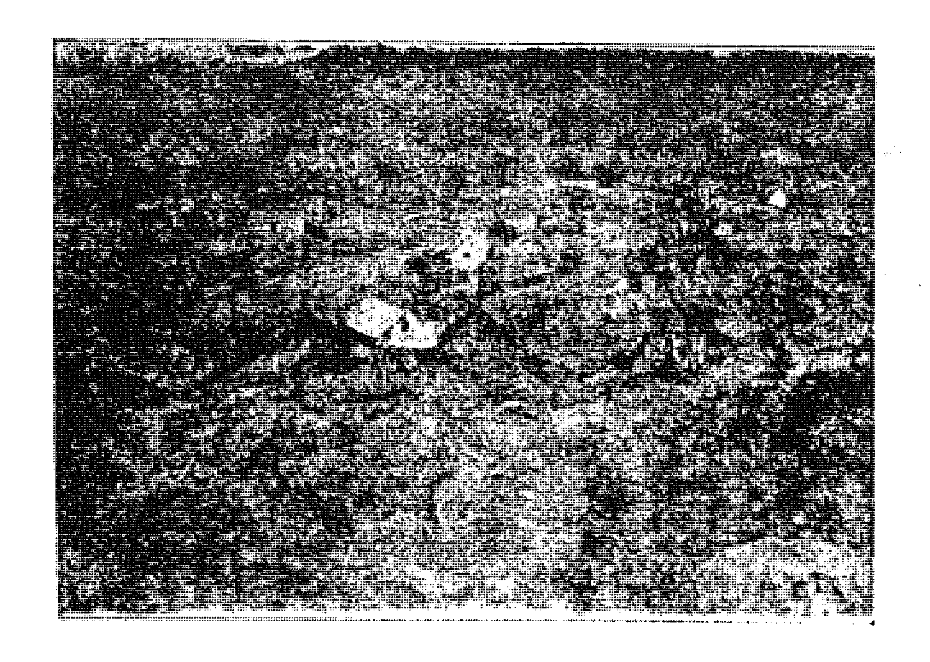
وقد وصل التوسع الإســـلامى إلى أسبانيا فى عام ٧١١ م ومنذ تلك الفترة وحتى دخول المسيحية لأسبانيا فى خلال القرن ١٥ شهدت المنطقة حضارة كبيرة وذلك بالمقارنة بالمراكز الأخرى فى العالم العربى . وقد أطلق على عرب أسبانيا أسم المور وذلك نسبة إلى موريتانيا فى شمال إفريقيـــة ومن ثم فكلمة المور بالإنجليزية تعنى مملكة مراكش الحالية . وقد طرد عديد من المور واليهود من أسبانيا بعد عام ١٤٩٢ حيث استقروا فى مراكش كما أن بعض المور الأسبان تجمعوا فى بعض مناطق معينة كما فعل نفس الشىء يهود أسبانيا والذين يتحدثون لهجه اندلسيه أسبانية قديمة .

ويعود بداية النفوذ الأوربى فى شمال إفريقية إلى إحتلال الفرنسيين للجزائر فى عام ١٨٣٠ ثم التونسى فى عـام ١٨٨١ . وفى عام ١٩٠٧ بدأ الفرنسيون يغزون مراكش كما بدأ الأسبان يوسعون قبضتهم على عديد من مدن المستعمرات ومن ثم كانت مراكش آخر دول العـالم التى استعمرتها القوى الأوربية . وقد حارب المراكشيون الأسبان والفرنسيون حـــرب العصابات تحت قيادة ثائر الريف المعروف عبد الكريم بحيث لم تخضع كل أراضى أسبانيا للقوى الفرنسية إلا بعد عام ١٩٣٠ .

وتعتبر مراكش اليوم من أكثر الدول العربية إستقراراً ، وتأثير الحضارة الأوربية على شمال إفريقية مختلف ومتنوع كما أنه ليس مجرد تأثيراً سياسيا . فكل الغزاة السابقين للأوربيين كانوا على مستوى تكنولوجى واحد غير أن الإختلاف كان يكمن أساساً فى التنظيم السياسى والتجارى والحربى غير ان آخر الغزاة كانوا يمثلون التكنولوجيا الصناعية الأوربية ومن ثم كانوا قادرين على تقديم العناصر الكفيلة بتطوير أحوال الحياة لدرجة لم تشهدها دول شمال إفريقية من قبل .

وتعكس قرية المديونه التى تضم ما يقرب من ٣١٥ شخصيا فى منطقة طنجه الدولية النتائج الحضارية الرئيسية المختلفه فى تاريخ مراكش . فقد اختلط البربر والعرب هنا مع اللغه العربيه والديانه الإسلاميه والحضارة السائدة هنا كغيرها فى بقيه المحلات العمرانيه المراكشيه . والملامح الطبيعيه للسكان بربريه أساسا وتتصف بالقامه الصغيرة وبناء الجسم الثقيل والوجه المربع والعضلات القوية والشعر البنى الداكن واللحيه والشارب الطويل ولون البشرية أبيض تشوبه السمرة من فعل الشمس . وتسود اللغه العربيه بين السكان ولا يتحدث أحد باللهجه البربرية . وقد درس قرية المديونه الدكتور وليم شورجر فى عام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ومن ثم فوصف القرية يعتمد على المعلومات المستقاة من دراسته فى هذا الوقت . (شكل ٢٠)

تقع هذه القرية على بعد ميل من ساحل المحيط الأطلسى وتنفصل عن الساحل بسهل فيضى يستخدم الزراعه والرعى . والمظهر العام للأرض يذكرنا بجنوب كليفورنيا وأجزاء من ساحل البحر المتوسط الاسبانيه حيث يميل الجو إلى الدفء والجفاف وتسود النباتات الشوكيه والنباتات التى تتحمل الجفاف مثل



شكل (٢٠) قرية المديونه

Palometto والكمثرى التى أحضرها الأسبان من أمريكا . والمورد والهام هنا الأرض الخصبة بالإضافة إلى الصخور المتجمعه التى يصنع منها القرويون أحجار الطواحين اليدوية التى تعتبر فى الاقليم إنتاجا متخصصا يباع فى الأسواق الخارجية . ومن الصفات الخاصة الأخرى التى ترتبط بالمنطقة الرياح إذ ان اتجاه الرياح له أهمية فى مراكش وفى معظم الاقليم الغربى للبحر المتوسط فالرياح هنا رياح غربية محملة بالأمطار أما الرياح الشرقية والمعروفة باسم السيروكو فتسود فى فصل الجفاف وذلك بعد أن تقطع مسافات طويلة فوق أراضى حارة الأمر الذى يجعلها تحمل إلى طقس المنطقة حرارة وجفاف أكثر من المعتاد . وتهب رياح السيروكو بعنف وقد يستمر هبوبها بضعة أيام ترتفع فى أثنائها درجة الحرارة إرتفاعا كبيرا كما تجفف المياه وتحرق الحشائش والمحاصيل وتخلق فوق ذلك كله توترا فى الأعصاب بين السكان واذا يحرص المور فى أثنائها على التواجد داخل المنازل والأقلال من العمل كلما استطاعوا ذلك .

وتعتبر الزراعة والرعى الحرف الرئيسية لسكان القرية ، أما قطع الأحجار فهذا عمل ثانوى متخصص يعتمد عليه كدخل نقدى يستعمله سكان القرية فى الحصول على ضروريات حياتهم من خارج محلتهم العمرانية . وسكان هذه القرية مثل أى قروين أخرين فى أى مكان مكتفين ذاتيا لدرجة كبيرة مع وجود روابط سياسية وإقتصادية بالدولة بالقدر الذى يجعلها جزءا منها . وعلى الرغم من القرب من البحر إلا أن السكان ليس لديهم أى توجيه إقتصادى نحوه فليس لديهم قوارب كما أن كل تقاليدهم تتجه نحو اليابس .

والتنظيم السياسى للقرية يشبه تنظيمها الإقتصادى يتصف بقدر كبير من الذاتية فكل ١١ قرية يحكمها شيخ وكل قرية يرأسها مقدم الذى يختار فى العادة

عن طريق مجلس القرية الذى يقوم بدون رؤساء العائلات، وإلى جانب المقدم توجد وظيفة أخرى واحدة وهى وظيفة المأذون والذى يعينه مجلس القرية للعناية بالمسجد وإقامة شعائر الصلاة .ولا تأخذ الأصوات فى المجلس لاى قرار إذ يتبع الإتجاه العام أكثر من القاعدة . فبحكم القانون لقاء المجلس مفتوح لكل السكان وفى العادة يعقد خارج المنازل وللتشريعات نادرة جدا إذ أن الإجتماعات تعقد فقط من أجل النظر فى حالات السرقة أو الاعتداء وذلك بناء على طلب المجنى عليه . ولا يوجد هناك إتجاه للجريمة ضد المجتمع حيث لا يوجد شخص مجنى عليه أو متضرر .فإذا ما خرقت تعاليم الإسلام فليس هناك من متضرر ولكن عقاب ذلك سوف يتلقاه الفرد يوم الحساب .

وملكية الارض فردية ، ومعظم الحقول والاراضى الخصبة يمتلكها الاهالى الذين يعملون بها . وفى بعض الحالات قد يعمل بعض الافراد فى الارض على أساس المشاركة فى المحصول أو نظير التأجير النقدى إذ أن الربا والفائدة . من الامور التى منعها القرآن .وقد يتبع الجامع قطعة صغيرة من الارض يتخذ دخلها لتغطية نفقات المسجد . ويمتلك سكان من خارج القرية حوالى $\frac{1}{4}$ الاراضى التى تقع حولها ، ومعظم أراضى الرعى مشاعة تمتلكها القرية ككل وحرية الرعى فيها كفيلة لاى فرد . وهذه أراضى حدية ليست فى جودة الاراضى التى تستخدم فى الزراعة غير انها قادرة على الإنتاج ويمكن إستخدامها لزراعة المحاصيل لاى شخص ليس لديه أرض . وبعد مضى عشر سنوات من الممكن للفرد أن يعلن عن ملكيته لهذه الارض ، ومن ثم لا توجد أى عائلة لا تمتلك أرضا فى القرية كذلك مصادر المياه ملكيه مشاعة فيمكن لاى فرد أن يستغل مياه ينابيع القرية كما يسمح لاي شخص أن يروي زراعات حديقته ،

وأهم محاصيل الحقل الذرة الرفيعة والقمح إلى جانب محاصيل أقل أهمية مثل الحمص والفول والشعير والذرة . وقد تتبع دورة زراعية غير أنه لا تستخدم مخصبات فى الحقل . وقيمة السماد البلدى معروفة لذا يستخدم فى الحدائق غير انه كاف لإستخدامه فى الحقول الكبيرة . وتزرع محاصيل الحقل قبل بداية موسم الامطار الشتوية وتحصد مع الربيع حيث تعطى محصولا سنويا واحدا . أما القطع المخصصة للحدائق فتروى وتعطى محاصيل مستمرة وكلها تقع فى مناطق تسمح مياهها الجوفية فى أن تتدفق على هيئة ينابيع يمكن إستغلالها فى الرى ، ومن ثم فهى محددة وكل مواقعها مستقلة . وأهم منتجات الحدائق الفجل والبطاطا والطماطم والبذنجان كما أن التين والكمثرى هما أشهر الفاكهة التى تزرع إلى جانب التفاح والبرقوق والعنب غير أن هذه المحاصيل لا تلقى عناية خاصة .

ويتطلب الحرث والبذر مجهودا كبيرا ولكن ما أن تنبت المحاصيل حتى يقل الجهد إلى أن تأتى فترة الحصاد . وعملية الحصاد تقوم بها النساء حيث تذهبن بصحبة الفتيات لقطع القمح أو محصول الحبوب ثم حملة إلى مكان عام خصص للدرس . وهناك توضع أكوام نبات القمح على الارض ثم تقوم الابقار بجر النورج الذى يقطع النبات ويفكك الحبوب وبعد ذلك يقوم الرجال بذر الحبوب حيث يتطاير التبن ويبقى القمح وذلك بواسطة المذراة . ويستخدم التبن كغذاء للحيوان بينما تنقل الحبوب لتخزن فى المنازل وذلك بعد تنظيفها .

وأهم الحيوانات المستأنسة الماشية حيث تحلب الابقار وتستخدم الثيران فى حرث الحقول . أما الحقول والبغال فقد تستخدم أحيانا فى عمليات الدرس ولكن لا تستخدم أبدا فى عمليات الحرث . والاغنام والماعز والطيور والكلاب حيوانات أخرى يستخدمها الاهالى والخنازير محرمة تربيتها خلال العالم الإسلامى كما أنه

ينظر إلى الكلاب على أنها غير نظيفة إذ لا تعامل كما يعاملها الأوربيون. وتحلب الماعز فى نفس الوقت الذى تعتبر فيه الأغنام مصدرا هاما للصوف وكلها تستخدم لحومه كطعام على الرغم من أن لحوم الأغنام تفضل عن لحوم الماعز .

ويعتبر الحمار فى عالم البحر المتوسط ذات أهمية إقتصادية كبيرة لأنه هو وسيلة المواصلات الوحيدة لأغلبية العائلات هناك كما أنه من السهل تربيته وذلك على النقيض من الخيول الباهظة الثمن فى شرائها وتربيتها والتى تمتلكها الاسر الموسرة فقط ويكون إمتلاكها كنوع من الوجاهة أكثر من الناحية العملية أما البغال فهى أصلب وأنفع وإستخدامها أكثر.

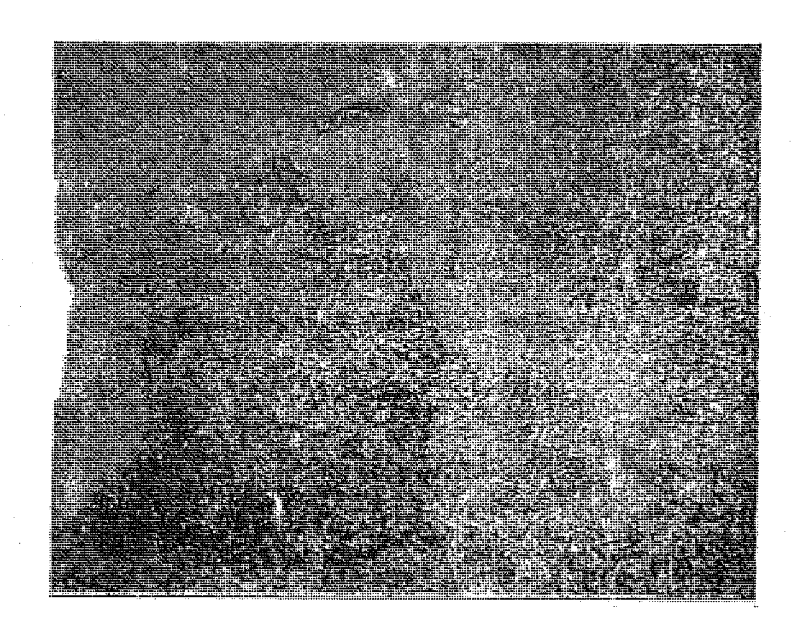
وصناعة التحجير صناعة محلية متخصصة فى المديونة حيث تعتبر هذه القرية المصدر الذى يمون كل شمال غرب مراكش بالاحجار فأغلبية سكان مراكش مازالوا حتى الآن يطحنون حبوبهم على الرحى الحجرية وقرية المديونة كانت مصدرا هاما لإستخراج أحجار الرحى منذ العصر الرومانى على الاقل وذلك نظرا لوجود نوعا من الصخور الجمجمة التى تصلح لصناعة هذه الرحى . ويعرف كل رجال القرية البالغين تقريبا طريقة قطع هذه الاحجار وتصنيعها حيث يلجأون إلى هذا العمل كلما إحتاجوا إلى نقود بمعنى أن هذه الحرفة وقتية ولا يوجد بها محترفين يعملون كل الوقت .

والفرص الإقتصادية محدودة جدا فى المديونة وذلك خارج العمل الزراعى وقطع الاحجار . والاتصال التجارى للفلاحين قاصر على السوق الذى يقع قريبا منهم فى مدينة طنجه فالقرية ذاتها لا يوجد بها محل أو سوق ولا مقهى . إذ أن القرويين يستطيعوا أن ينتجوا معظم حاجاتهم الضرورية من طعــــام ومأوى وصوف خام لملابسهم . أما الملابس الاخرى والادوات المعدنية وآنية المطبخ

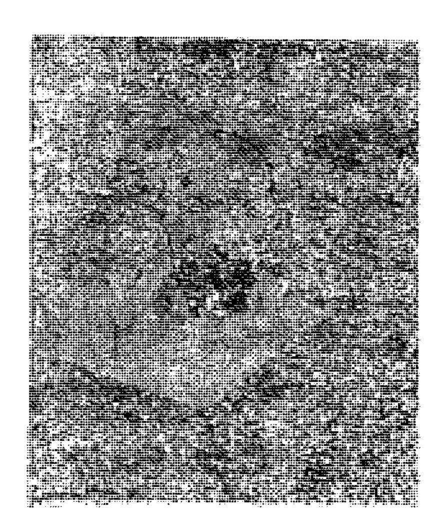
وبعض الاطعمة المرغوبة كالتوابل والشاى والسكر والسمك وزيت الزيتون فكلها أشياء تشترى . وليس هناك حاجة للقول انه لايوجد شخص هناك لديه كل الاشياء التى يرغب فى شرائها والتى توجد فى محلات وسوق المدينة .

ولباس القرويين هو اللباس المعتاد عند العرب ويشترى جميعه من المدينة فيما عدا العمة واللاسة فتصنع محليا . ويتكون رداء الرجال من بنطلون واسع صنع من أقمشة قطنية ملونة بألوان داكنة وقميص ذات أكمام يرتدى فوقه صديرى ملون مطرز بعديد من الازرار الصغيرة . وفى بعض الاحيان يوضع قميص آخر من القطن الابيض فوق الصديرى . وهذا القميص الثانى ليس له أكمام أو كوله ويشد غطاء الرأس إليه بواسطة رباط . وإذا لم يلبس القـــروى عمامة أو قبعة مصنوعـــة من لسعف فانه يضع فوق رأسه لاسة من القطن يبلغ طولها ما بين ١٨ و٢٠ قدما . ويرتدى سكان القرى بلغ أو نعال مصنوعة من جلد الماعز ويغلف كل اللبس السابق الذى يرتدى خارج المنزل روب صوفى ذو أكمام قصيرة وهود . ويرتدى هذا الروب أو الجبة على مدار السنة ففى فصل الشتاء يحمى صاحبه من الامطار والبرد وفى الصيف يقيه حرارة الشمس . وكذلك يحمى الهود مرتديه ويستخدم عند ارتدائه كمكان لوضع حافظة النقود . (شكل ٢١، ٢٢)

وتعد هذه الجلابة Jelaba كما تعرف فى المغرب رمزا لمركز الشخص . فالعمال والفلاحون على سبيل المثال يرتدون أروابا أو جلبيه بنيه لاتظهـــر فيها الاوساخ بينما يرتدى طلاب المدارس وكبار الرجال أروابا بيضاء . ومعظم الرجـــال ولاسيما وهم مسافرون يحملون معهم مظاريف جلدية كبيرة تحت الارواب تعلق بشريط فى أكتافهم وذلك ليضعوا فيها الاشياء القيمة والاوراق والنشوق أو المعسل .



شكل (٢١) ملابس الفلاح



شكل (٢٢) مغربي من قرية المديونه

ورداء النساء كما هو الحال فى بقية الدول أكثر تنوعا من الرجال غير أنه فى مراكش نجد أن خطوطه العرضيه تشبة ما لدى الرجال فهى عبارة عن بنطلون واسع وبلوزه وصديرى عادى بالإضافة إلى قليل من الأشياء التى تميز ملابس النساء . حيث تلف حول الوسط قطعه كبيرة مربعة من الأقمشة القطنية كقميص وتوضع قطعة أخـــرى فوق الرأس تعرف باسم بابوشكا أو ربوزد **Rebozo** بالأسبانية وهى تستخدم لأغراض حماية الرأس كما تستخدم أيضا فى حمل الاطفال وتستخدم النساء أيضا الحنة فى تلوين أيديهم وأرجلهم كما يستعملوا الكحول .

ويحلق الرجال رؤسهم غير أنهم يطلقون شواربهم مبكراً كلما أمكن ذلك ، أما ترك اللحية فصفة لمركز كبار السن. أما قص شعر النساء فليس له أهمية إذ أن تعاليم الإسلام تقضى بأن تغطى النساء رؤسهن . وترتدى النساء فقط المجوهرات التى تصنع أساساً من الذهب وتشمل الحلقان والعقود والاساور . وهـــذه المصوغات تعتبر ثروةالمنزل وتدل على مقدار ثراء الأسرة ، وهى تباع وتشترى تبعا للظروف الاقتصادية للأسرة .

والأسرة فى قرية المديونه والتى تضم الزوج والزوجة والأبناء وفى بعض الأحيان الأقارب المسنين تعتبر أساس أساس الوحدة الاقتصادية . فكل أسرة مكتفية ذاتيا ، والقرية فى حد ذاتها عبارة عن تجمع غير منظم لمنازل الأسر وكل منزل مسور يشمل داخله المنزل وحظيره الحيوان والمطبخ ومكان تربية الدواجن ثم فرن خارج المنزل . ويبنى السور من الاقصاب وهو مرتفع لدرجة يصعب منها رؤية ما بداخله .

والإحساس العام الذى يوحى به مظهر القرية انهـا تتكون من مجمعات خاصة تبعد كل البعد عن التخطيط ولتكون مجرد تجمع سكانى .

وقد صمم المنزل من أجل الحماية من الطقس أكثر من كونه بيئة اجتماعية جيدة فهو فى العادة يشبه الكهف ذات الشكل المستطيل ، حوائطه قوية وسقفه منحدر وبه نافذتان صغيرتان فى الحائط الأمامى . وتتكون عديد من المنازل من حجرة واحدة تبلغ مساحتها ١٠ × ١٥ قدما بنيت من كتل حجرية غير منظمة بواسطة مونه من الطفل . وتتكون بعض المنازل من حجرتين أحدهما أماميه والأخرى خلفيه . وقليل من المنازل التى تمتلكها الاسر الكبيرة أو الغنية تتكون من أربع حجرات . أما منازل الاثرياء فتدهن من الداخل كذلك تدهن الحوائط الخارجية التى تواجه الرياح .

وتؤكد تعاليم الإسلام الفصل النوعى فى كل الامور ومن ثم فى تنظيم المنزل يراعى ضرورة وجود مكان منفصل لتجمع الرجال ، كما لا بد وأن تختفى النساء فى أثناء زيارة ووجود الرجال وإذا ما كان المنزل يتكون من حجرة واحدة فلا بد وأن يكون هناك كوخا ملحقا بالمنزل تقوم النساء بالعمل به والجلوس فى أثناء وجود غرباء بالمنزل . أما إذا كان المنزل يكون من وحدتين أو أكثر فيخصص نصفه لإستعمال الرجال والنصف الآخر للنساء .

وهنا يجب ملاحظة أنه حتى فى خيم البدو فى المناطق الصحراوية العربية يخصص جزء من الخيمة للحريم بوضع ستار حاجز .

والمنازل دائمة ومستقرة ولا يتذبذب السكان كثيراً وقد تبنى منازل جديدة غير أنها نادرة وحينما يبنى منزل جديد يحتفل بانتهائه عن طريق ذبح شاه وتلطيخ بعض دمائها على الباب وذلك من أجل طرد الارواح الشريرة وعند الانتقال إلى منزل جديد يحتفل صاحبه بدعوة أصدقائه وأقاربه لتناول الغذاء والذى يسبقه تناول اللبن المخلوط بالعسل أو زيت الزيتون واللذان

ينثرا أيضا فى أركان المنزل لطرد الارواح الشريرة .

وأثاث المنزل ضئيل أو معدم إذ يجلس الناس على حصير وضع على الارض وفوقه بعض الوسائد أو جلد الماعـــز . أما الاسرة فعبارة عن مرتبه محشوه بالقش ترتفع قليلا عن سطح الارض . وقد يشغل حيـزا كبيرا من الفراغ فى المنزل صناديق التخزين وجوالات الحبوب المخـــزون والبصل والثوم المعلق وبعض الممتلكات الشخصية . أما أدوات الطهى فتخـــزن خارج المنزل فى مكان الطهى .

وتتناول الاسرة فى المديونه ثلاث وجبات خلال اليوم وجبتان خفيفيان عند الفجر والظهر وأخرى أكثر دسامة عند المساء ويصنع أنواعاعديدة من الخبز من خليط القمح والشعير كما أن الذرة غذاء أساسى . واللحوم غاليه ومن ثم فاستعمالها قليل . وهى تقلى فى زيت الزيتون وتشوح كما تقدم الخضروات .

أما المشروبات المستعمله فهى المياه واللبن ولكن لا يشرب احد اثناء الطعام ، ويقدم الشاى دائما فى المناسبات الاجتماعية . ولا تستخدم مشروبات روحية بسبب تحريم الإسلام لها .

وتبدأ الطعام عادة بالبسمله وكل وجبه طعام تقدم فى وعاء واحد يوضع فى وسط الذين سوف يتناولوا الطعام حيث يقوم كل واحد منهم بأخذ نصيبه بيده ومن قواعد الاداب أن تستخدم اليد اليمنى فحسب فى الطعام وإذا ما وجد ضيفا فمن عادة المضيف أن يختار من الطعام قطعه جيده ويقدمها للضيف. ويعمد المور دائما بغسل ايديهم جيدا قبل تناول الطعام ولا يرغون فى استعمال الشوكه لانها غير نظيفة إذ يستعملها أناس عديدون .

وعادات الكرم ولاسيما بالنسبة للمشاركة فى المشرب والمأكل تعتبر من أهم الالتزامات فى عرف الاسلام إذ يعتبر المسلمون أن هذا فرقا جوهريا بينهم وبين غيرهم فالرفض أو الامتناع عن مشاركة الضيف أو الفقير فى الطعام عمل لا يرضى عنه سبحانه أو البشر . كذلك فرفض ما يقدم اليك من طعام يعتبر أهانه . وعند تناول الطعام فى حضرة ضيف يأكل الرجال أولا ثم النساء والأطفال .

وتتحدد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فى القرية لدرجة كبيرة بالاتجاه العام فى السن والنوع والقرابة فمعظم سكان القرية متصاهرين بطرق معقدة إذ أن الزواج المفضل فى العالم العربى هو زواج الأقارب ولاسيما ابناء العم إذ يفرض على الولد أن يتزوج ابنة عمه . والزواج ليس محدد تحديدا صارما فى قرية المديونه وذلك لصغر المجتمع ولقربه من المجتمعات الأخرى ومن المدينة ولكن رغم ذلك فإن ٧٩ ٪ من حالات الزواج تتم من داخل القرية ويعيش الأزواج الجدد فى منازل خاصه بهم فى أى مكان ومن ثم فلا يوجد تكدس وتنظيم الأقارب فى منازل متجاورة أو أحياء فى القرية وإذا ماتزوج رجل أمراة من خارج القرية يكون الزواج ابويا بمعنى أن الأطفال لابد وأن ينشؤا فى قريه أبيهم ولكن مرة أخرى لاتكون القرية ذاتها سببا لسكن الأقارب ولهـذا السبب فان أبناء العمومه لايفرق بينهم السكن .

وحقيقة أن الملكية فردية وأن الاسر النوويه تنفصل عن بعضها بما يتناسب مع نمط مصطلحات القرابة . فوالد الشخص يلقب بمصطلح مختلف تماما عن مصطلح العم كما أن الخال له تميز آخر . وبالمثـل الأم والخاله والعمه كل منهم يلقب بلقب مختلف عن الآخر ، وإذا كان الشخص من نفس الجيل فاطفـال هؤلاء العمات والخالات والخـلان كل منهم له مصطلح خاص . بمعنى أن ابن الاخت يميز عن

ابناء الأعمام كما ان أولاد العم يميز بينهم على أساس نسبهم لاعائلة الأب أو عائلة الأم . وهذا النوع من العزل يستمر ايضا فى جيل الأطفال غير انه فى حالة جيل الاجداد والاحفاد فتترك مصطلحات القرابة بدون تميز .

وعلى الرغم من حقيقة أن كل أفراد القرية متقاربين إلا أن السلوك الاجتماعى والذوق يتقرر أساسا تبعا لدرجة القرابه وتبعا للسن والنوع . فبين الأقارب نجد ميلا بين الشخص وخالة فى المعاملة ببساطة أكثر من ميله نحو عمه الذى يعد فى منزلة والد آخر ولكن لاتوجد حواجز أو مسافات اجتماعية يمكن ملاحظتها بين المجموعات المختلفة من الأقارب بالدرجة التى توجد بين القبائل البدائية . ولكن بين النوعين ولاسيما إذا كانا بعيدا القرابة أو غرباء تكون الكلفه شديدة لدرجة ليس لها مثيل فى أى حضارة آخرى فى العالم . ووجهة النظر العربية أن الرغبة الجنسية لا يمكن مقاومتها إذا أن النساء تجذبن فى العـــادة الرجال الذين لايستطيعوا المقاومة ولهذا يفصل الصبيه عن الفتيات إذا مابلغوا مرحلة النضج وفى العادة يبعد النساء عن الرجال أكثر من بعد الرجال عن النساء . فقسم الحريم فى المنزل خصص أساسا لتأوى اليه فى حضرة الرجال إلى المنزل . وإذا ما كان هناك ضرورة لخروج السيده إلى الشارع فلابد وأن تغطى وجهها عند المرور على الرجال . وفى قريه المديونه لا يرتدوا الحجاب ولكن يوضع على الرأس شال يقوم مقام الحجاب فى بعض الأحيان .

وحياة الافراد فى قرية المديونه يحفها عددا من الاحتفالات والازمات التى توجد من أى مجتمع كالميلاد والزواج والمرض والموت وغير ذلك . فالولادة ينظر اليها على انها من اختصاص النساء فحسب فلا يحضرها رجل ابدا رغم أن المعلومات عن عملية الولادة جد ضيئله . فالسيده الحامل تظل تؤدى اعمال المنزل بنشاط إلى أن يأتيها الام المخاض فتذهب إلى مكان الحـــريم بصحبه أقاربها

واصدقها وقابلة القرية . وتحدث عملية الوضع والسيده جالسه على طرف مقعد أو صندوق وإلى جوارها سيده اخرى تساعدها . اما القابلة فتستقبل الطفل ثم تقطع حبله السرى وتغتسله وبعد ذلك تعطيه لامه لترقد إلى جانبها على السرير وعلى النقيض من شعوب عديدة فى العالم لاتقام احتفالات لميلاد الطفل اولقطع حبله السرى .

وفكرة ارضاع لطفل بانتظام قد تبدو غير انسانيه لسكان قرية المدونه أذ يجب ارضاع الطفل حينما يرغب فى ذلك كما انه لايجب ان يرضع الطفل من لبن أمراة غير أمه .

وبعد مرور سبعه ايام على الميلاد يعطى الطفل اسما ومن الممكن أن يكون أى اسم ولكن القاعدة العامة التى يميل العرب اليها وهى تسمية الطفل الاول باسم محمد لا توجد هنا كما لا يسموا ايضا الاطفال على اسماء أحد الاقارب واحتفال التسمية بسيط إذ يجتمع الاقارب والاصدقاء وتعلن الاسرة الاسم . ونفس الاحتفال يعقد لكل من الذكور والاناث ولكن يفضل الابناء الذكور فى بعض الاحيان وحتى فى احتفال التسمية تكون الاستعدادات أكثر فى حالة لو كان المولود ذكرا . ونسبه وفيات الاطفال مرتفعه غير ان الاهالى يتقبلون هذه الحقيقه بسهولة وربما يرجع عدم تسميه الطفل إلا بعد سبعة ايام إلى الرغبه فى مرور ايام الخطر الذى يحتمل أن يموت فيها الطفل .

وتمارس عملية الطهارة لكل الاولاد وهى ضرورة اسلامية ، وتتم العمليه بين عمرى ٣ ن ٧ سنوات ونادرا ما تجرى بعد ذلك السن ويقوم باجراء هذه العملية متخصصون وتجرى احتفالات لذلك .

وينظر للزواج على أنه حالة طبيعيه لكل البالغين، فالصبى لابد أن يتزوج طالما يستطيع أن يعول

أسرة . والزواج رابطة بين العائلات فمن الناحيه النظريه لادخل للعريس أو العروس فى عملية الاختيار . وعلى الرغم من ان زواج الاسلام المفضل بين ابن العم وبنت العم إلا ان الاختيار الفعلى للزوجة فى قرية المنيونه يتوقف أكثر على المميزات الاقتصاديه التى تترتب على المصاهرة بين عائلتين وبطبيعة الحال زواج إبناء الاعمام له تأثير على استقرار المجتمع اذ ان الزواج من عائله الاب سوف تحافظ على المصادر الاقتصادية الاساسيه وعلى المركز الاجتماعى ولكن كما هو متوقع فى وقتنا الحاضر حينما تكون المجتمعات أقل استقرارا فالعائلات التى تجد مصلحة اقتصادية فى زواج معين قد تعزف عن اتباع عادة زواج بنات العم لابناء العم .

وترتيبات الزواج يقوم بها اساسا والد الصبي فالاب يختار العروس وبقية الاسرة تستشار فى هذا الصدد ثم تجرى الترتيبات بعد ذلك دون علم الولد أو الفتاة على الاطلاق . وقبل الزفاف يدعى الصبي إلى اسرة الفتاة ولكن ليس من المفروض أن يرى عروسه وكجزء من ترتيبات الزواج هو دفع نقود وتقديم الاطعمه بالاضافه إلى تقديم اهـــل العريس زوج من الشباب إلى العروس . وتستخدم النقود فى شراء الشبكه التى تعتبر ملكا خاصا للعروس ولتكون تأمينا لها ضد النكبات والطلاق . أما الطعام فيستخدم فى حفل الزفاف الذى يعقد فى بيت العروسة أما الشبشب فهو رمز لرحله العروسة إلى منزل الزوجية .

وتستغرق حفل الزواج ذاته ثلاثه أيام فعقد القران يتم فى اليوم الاول بين والدى العروسين ، وفى خلال اليومين الاول يبقى كل من العروسين فى منزلهما يمرحون ويغنون مع اصدقائهم فى احتفالات بسيطة وفى اليوم الثالث يحلـــق العريس ويرتدى ثيابا جديده ثم يحتفل به اصدقائه على هيئه غذاء عزاب بينما

تزين العروس فى منزل ابويها بصحبة اقاربها وفى وقت متأخر من الليل ينسل من وسط اصدقائه ويذهب إلى عروسة .

ويبيح الاسلام للزوج ان يطلق زوجته لاسباب محددة غير انه لا يمكن للزوجه ان تطلق زوجها وفى الواقع قد يكون اهل الزوجه من القوة بحيث يمكن حمايتها وربما يكون للرأى العام تأثير اقوى من القانون من هذا الصدد والزنا من جانب الزوجه يعتبر جريمه لا تغتفر وسبب قوى للطلاق وعـــدم انجاب سبب أخر للطلاق حتى فى اسرة الزوجه إذ ان المفروض من الزواج هو انجاب الاطفال . رجل واحد فى قريه المديونه حاول ان يزيد من حجم اسرته عن طريق الزواج من امرأتين فى وقت واحد مع العلم بأنه فى الامكان أن يتزوج من اربع نساء غير انه لا يوجد بالقريه من لديه الامكانيات على ان يقوم بهذا العمل .

وتعالج الامراض فى القريه بطرق ماديه وروحيه فالكسور والقطوع والخدوش وماغير ذلك تعالج بالطريقه العملية اما الامراض غير المنظورة والمجهولة الاسباب فتعالج باستخدام انواع متعددة من الاعشاب والتشريط وبعض الاوليه الذين قد يستخدموا الطبول لطرد الارواح الشريرة من المريض .

وينظر إلى الموت على أنه رحله من عالم صعب إلى عالم السلام إلا ان مراسم الجنازة تشبة إلى حد كبير تلك الموجودة لدى معتنقى الديانه المسيحيه فتغسل الجثه بالماء والصابون وتكفن فى قماش قطنى ابيض وتغطى ببشكير قطنى أيضا وفى اليوم التالى للوفاة تجرى مراسم الدفن ويشترى الخبز والتين خصيصا لمراسم الدفن حيث يوزع على الناس الذين يحضروا الدفن ، وتوضع الجثه فى خشبه تحمل إلى المدفن ويسير حولها المشيعون . ويوضع الميت فى لحدة ثم يوارى

التراب ويرتل القران . وبعد الدفن يقام المأتم لمدة ثلاثة ايام

أما عن معتقدات أهالى قريه المدبو نه فهى تشبه تلك الموجودة فى بقية انحاء مراكش ترتبط أساسا بتعاليم الجماعات السنيه إذ من المعروف ان الاسلام قد أنتشر فى هذه المناطق وانه فى خلال الزمن حدث اختلافات عليه فى اتباع تعاليم السنه ومن ثم فالسلوك الفعلى والشعائر والمعتقدات التى قد توجد فى قريه معينه قد لا تتفق تماما مع تعاليم الاسلام . على أى حال فليس هناك أى قريه اسلاميه منعزله عن تيار الاسلام وتكون ديانه خاصه بها

والاسلام مثل المسيحيه دين عالمى إذ ينظر المسلمون إلى الاسلام على انه آخر الاديان وانه تتمه للرسالا السماوية التى نزلت قبله . ويعتمد الدين الاسلامى على ثلاثه معتقدات أولها فى وحدانية الخالق والايمان بوجودة والثانى وجود الملائكه وهم وسيله للاتصال بالبشر والمعتقد الثالث هو الايمان بالحياة الاخرة وان كل فرد مسئول عن عمله الدنيبارى . ويعتبر المسلمون القرآن دستورهم والحديث الشريف منارا يوضح لهم السلوك الصحيح ويعتمد الاسلام على خمسة اركان وهى شهادة الا اله إلا الله واقامة الصلاة وحج البيت ودفع الزكاة وصوم رمضان

وسكان قرية المدبو نه يتبعون تعاليم دينهم غير ان البعض يجهل عنها بعض عنها الاشياء . ويعتبر المسجد فى قرية المدبو نه هو مركز النشاط الدينى كما يضم ايضا مدرسة لقرية . والشيخ أو الفقى وهو رجل الدين المتعلم هو الموظف الوحيد الذى يتقاضى أجرا من سكان القرية وواجبه الاول هو تعليم الصغار الى جانب اقامة عديد من الانشطة الدينيه . ولايوجد شيخ معين بالقريه يختص بأقامة شعائر الدين بل يمكن ان يقوم بهذا العمل أى شخص متعلم ومن ثم يعهد إلى معلم الاطفال الاضطلاع باقامة شعائر الدين والتى اهمها صلاة الجمعة .

وتعتبر الاعياد الدينيه من أهم الاحتفالات التى تقام فى قريه المديونه ومن ابرزها مولد النبى الذى يحتفل به فى اليوم الثانى عشر من الشهر الثالث الهجرى وحيث تستمر الاحتفالات سبعه أيام . كذلك يقام احتفال أخر فى خلال موسم الحج وهو العيد الكبير حيث تنحر الذبائح ذلك إلى جانب العيد الصغير والاحتفال بيوم عاشوراء .

وعلاقه قريه المديونة بالاوربين محدودة وغير مباشرة ففى وقت دراستها كان لا يوجد بها سوى شخص أوربى واحد وهو انثروبولوجى كان يقطن القرية بالاضافة إلى ان حوالى ٧٣٠ فدانا من اراضيها الزراعيه قد بيعت إلى اوربين يقيمون خارجها . ولم يحدث ذلك نتيجه لضغط الاوربين على الاهالى انما قد باعوا اراضيهم بمحض ارادتهم إذ ان الرغبه فى الحصول على المال كانت دافعا قويا وراء ذلك . ويبدو ان اتجاه بيع الارض فى قريه المديونة كان يسير مع الاتجاه العام فى مراكش حيث فقدت البلاد انذاك استقلالها الاقتصادى والسياسى وربما ومن المؤكد ان الهجرة إلى المدن الكبرى كانت مصاحبة لهذا الاتجاه . على أى حال فلابد وان الاوضاع قد تغيرت فى قرية المديونه فى غضون الفترة التى اعقبت دراستها بحيث تأثرت بالتيارات الاقتصادية والسياسيه الجديدة التى طرأت على شمال إفريقية .

قرية هندية

قرية من قرى الهند

تمثل محاولة وصف قرية من قرى الهند إحدى الصعوبات الرئيسية لدى دراسي السلالات الذي يقوم بفحص أحدا لجماعات التي تمثل جزءا حضارة قديمة عظيمة معقدة ، أكثر من كونها دراسة بمجتمع مكتفى ذاتيا ومتجانس إلى حد ما فى معظم القبائل. فإن قرية واحدة فى دولة كالهند فى غاية التعقيد. فالقرية فى حد ذاتها لها وحدة فعلية ولكن أكثر نساءها ينتمون إلى مجتمعات أخرى، كما ينتمى كل فرد منها إلى طائفة ما ، وبقدر عدد الطوائف فى القرية هناك تنوعات فى العادات يلتزمون بها خارج القرية أيضاً ، كما أن هنـــاك فى كل قرية هندية عدد من المسلمين ، ومن ثم تتعايش ديانتان عظيمتان جنباً إلى جنب فى قرية .

وقرية «شامربت» Shamirpet تحتوى على ٢٥٠٠ نسمة ، يتمركزون فى هضبة «الدكن» على مسافة ٢٥كم من مـدينة حيدر أباد . واللغة التى يتعلمها معظم السكان هى « التلوجو » Telugu ولكن كثيرون يتعلمون الأوردية، والتى يتحدثها المسلمون فى شمال الهند ، كلغة ثانية. وفيما عدا ذلك فإن قرية شامربت تتميز بكل السمات التى نجدها فى المجتمع الريفى فى وسط الهند وشبه الجزيرة . والتركـيب الإجتماعى للقرية يتمثل فى طوائف نمطية . وبين السكان الهندوس هناك ١٤٠٠ نسمة ينتمون إلى « الطوائف النظيفـة » و ٦٨٠ نسمة من المنبوذين . وأما المسلمون خارج الطوائف فهم حوالى ٣٤٠ نسمة . واثنان من أدنى الفئـات فى الطوائف النظيفة أناس قدموا حديثاً من مجتمعات قبلية . وتوزيع الناس بهذا الشكل إلى طوائف هو إحدى الطرق التى تشكل بها المجتمع الهندى .

وقرية شامربت ليست قديمة ، وإن كانت طرقها كذلك . وطبقا للأساطير فإنها تأسست منذ ٣٥٠ عاما مضت حين أمر الحـاكم المسلم لمدينة حيدر أباد

بناء خزان مياه كبير . حينئذ استقر عدد كبير من الذين اشتركوا فى بناء المشروع فى نفس المكان وسرعان ما لحق بهم مستوطنون جدد جذبتهم تسهيلات الرى الموجودة . وظلت القرية إقطاعية تنتمى إلى عائلة مسلمة كبيرة حتى عام ١٩٤٨ ، حين ضمت حيدر أباد إلى جمهورية الهند ، ومنذ ذلك التاريخ لم يصبح لحيدر أباد حاكم بالوراثة ، بل دخلت فى إطار الحكم الإدارى الحديث .

وتتميز هضبة دكان بالمظهر الريفى . ففيها الحقول الخضراء ، الخصبة ، والصخور القاحلة ، وتحميها الأشجار الضخمة والشجيرات دائمة الخضرة والعدد الهائل من البحيرات والخزانات التى تزين المنطقة وتصنع منظراً ساحراً . ويبلغ متوسط الأمطار خمسة وعشرين بوصة سنويا والمناخ دافىء طول العام وإن لم يكن مريح طول العام .

وينتمى سكان قرية شامربت إلى الشعوب التى تتكلم الدرافيدية والتى أضافت ممتلكاتها القديمة الكثير فى صنع الحضارة الهندية . ومن الناحية السلالية فإن سكان المنطقة يمثلون خليطا متجانسا من عناصر كثيرة . فالمسلمون ينحدرون من أجداد اعتنقوا الإسلام فى نفس المنطقة وليس من مهاجرين من الشمال ، ومن ثم فهم لا يختلفون كثيرا عن الهندوس فى الشكل .

وأما عن الثياب والتزين فإن المسلمين والهندوس يختلفون كثيراً . فالموضة الهندوسية تتنوع حسب الثروة . فكل الهندوس ، ماعدا أكثرهم غنى ، يلبسون الرداء الهندوسى النصفى أو «الدوتى dhoti» وعليه قميص . والفتيات يلبسن جنله بسيط وبلوزة . وأما الأغنياء فيلبسون ثيابا مختلفة ، وتظهر الاختلافات أكثر فى مناسبات معينة ، فربما يرتدى الرجل معطفاً ، وربما يرتدى « بيجاما » بدلا من الدتى أو البنطلون الضيق الذى جاءت منه البيجاما الغربية . وتتدثر النساء

الثريات بالسارى . ويزين الهندوس أنفسهم بالذهب والفضة . وتتحلى النساء بالحلقان والعقود والخلاخال والحزام والخواتم فى الأيدى والأرجل على السواء .

وأما المسلمون فيلبسون بطريقة متشابهة فالرجال يلبسون سروالا واسعاً وقميصاً . وأما خارج البيت فهم يلبسون معطفا طويلا مزرراً حتى العنق وطربوشا أحمر أوطاقية من صوف الغنم الأسود . وتلبس الفتيات جوبا بحزام فى الخصر ووشاحا رقيقا حول الكتفين . والنساء المتزوجات يلبسن سارى وبلوزة ، كما يجب أن يتحجبن فى حضور الرجال فيماعدا الأقارب المقربين ، وكذلك يلبسن خارج البيت عباءة تغطى جسدهن من قمة الرأس إلى أقصى القدم .

والقرية لم تنشأ بخطة محددة . فالشارع الواسع الرئيسى تحده المبانى البيضاء الحجرية التى تقع فيها المكاتب الحكومية المتعددة ، والمدارس ومكتب البريد والمحال الصغيرة . وفى الحارات الضيقة المتعرجة التى تتفرع من هذا الشارع يعيش أفراد الطوائف النظيفة من مسلمين . وأما الطائفتان المنبوذتان وعدد من الصادين الحرفيين فيقيمون فى مناطق منعزلة عن القرية . والحوارى الضيقة عادة ما تكون قذرة لأن أصحاب المساكن يلقون بالقمامة فيها . وعلى إحدى الطائفتين المنبوذتين أن تكنس الشوارع ، وبمساعدة الخنازير والكلاب فإنها تنجح فى ذلك .

ومنازل القرية ذات ثلاثة أنماط رئيسية . أوسعها وهو المعروف باسم « بهوانتى » يعيش فيه أثرياء المزارعين والناجحون من الحرفيين . وأكثر بيوت المسلمين من هذا النمط . والمنزل يتكون من خمس أو ست حجرات يحيط بها فناء واسع وسور . وداخل الفناء نجد حظيرة المواشى وحظيرة آلات الزراعة وأدوات المنزل . وحوالى ست منازل من هذه المنازل الراقية بها مراحيض صحية صغيرة ،

فى داخل الفناء . والمنزل نفسه حجرى وسقفه مغطى بالقرميد وله فراندة تطل على الفناء والحجرات منظمة بطريقة تكون صحنا من ثلاثة جوانب . وأما أثاث الحجرات فهو رث وغير مريح . فهو عبارة عن عدد من المقاعد الخشبية والكنبات التى تكفى للجلوس . وأكثر القطع راحة عادة هو السرير . ويزين الأثاث والجدران والأبواب عادة رسوم وزخرفة .

كما أن المنزل العادى لمتوسطى الحال مبنى من الحجر وسقفه مغطى بالقرميد ولكنه أصغر حجما بكثير وأقل فخامة من البهوانتى . وإن كان هناك فناء فإن ما فيه من أملاك يبلغ نصف ما فى البهوانتى تقريبا . وأما منزل الفقراء «الجدس» وهو حجرة واحدة من الطين مسقوفة بالقش . وليس فيها ما يذكر إلا أدوات طبخ بسيطة .

وقرية شامربت أكبر من قرية شان كوم وأكثر تعقيدا . والزراعة هى الحرفة الرئيسية ولكن فيها كثير من الحرف الأخرى . ففيها صناعة الفخار والحلاقة والتجارة والنسيج والكى والرعى . وكل حرفة من هذه الحرف تختص بها طائفة معينة وإن كان بعض أعضاء الطائفة يزرعون مساحات متفاوتة من الأرض .

وأهم محاصيل المنطقة الأرز والذرة العويجه كما تزرع والذرة الشامية والفول السودانى وبذور التربة الأخرى إلى جانب الدخان ومجموعة كبيرة من الخضروات ويجيد والقرويون التسميد واستخدام الرى بوسائل الشادوف القديمة ، كما يستخدمون الساقية التى تديرها الثيران والأبقار فى معظم الأحيان . كما يحلبون الأبقار والجاموس التى تمثل جزءا هاما من مصادر الغذاء ولكن الماشية فى حالة يرثى لها نتيجة انعدام التغذية الجيدة ولا توفر كمية كبيرة من

اللبن . وتقوم طائفة الرعاة برعى قطعان الماعز ، كما يتولى تربية الخنازير طائفة أخرى تسمى «إركالاس» كما يربون إعداداً كبيرة من الدجاج والحيوانات الأليفة كالكلاب . وعدد القطط فى القرية كبير ولكنها لا تعتبر أليفة .

وأهل قرية شامربت لا يجدون التغذية الكافية بالمعايير الحديثة . وحتى الميسورين منهم يعانون من سوء التغذية الكاملة . فهناك فيتامينات معينة غير متوفرة كما أن البروتين والدهون لا تكفى السكان ، خصوصا بين الطبقات المنخفضة الدخل . وعادات الأكل وممنوعاته تتنوع فى القرية فالبراهمة والكوميت طائفتان نباتيتان ، فهم ممنوعون من أكل البيض وأيضا السمك . كما أن الهندوس جميعا لا يأكلون الأبقار . وأما المسلمون فيأكلون الأبقار ولكنهم لا يأكلون الخنازير . والسمك واللحم غالية الثمن جدا ولا يستطيع من يأكلونها أن يدفعوا ثمنها فى الغالب . والسكان جميعا يحبون الزبد واللبن ، ولكنهما نادران ومرتفعان الثمن حتى أن قليلا من الناس هم الذين يستطيعون أن يستخدموهما فى الغذاء اليومى . والخضروات الرخيصة هى التى عادة ما تضاف إلى الأرز المسلوق فى غذاء غالبية السكان اليومى .

والنظام الإقتصادى للقرية بوجه عام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام الطوائف . فمعظم الطوائف تمارس احتكار حرفة أو مهنة معينة ، رغم حرية بعض أفراد الطائفة فى أن يمارسوا وظيفة جانبية أخرى ، كالزراعة أو عمل يومى . وكل الطوائف ترتبط ببعضها البعض ارتباطا قويا فى المساهمة فى اقتصاد القرية . وشعور الطوائف بالإرتباط والمشاركة ومقياسها عظيمان جدا ، فكل طائفة لها دور فى الإقتصاد وهو أساسى بالنسبة للأسرة وكل طائفة مغلقة على نفسها ولأن القرية ضيقة فإن على كل رجل أن يجد زوجة له من قرية أخرى ، ولذلك فإن علاقات المصاهرة وزمالة المهنة توجد بين أعضاء الطوائف فى القرى الأخرى ،

ولكن فى داخل القرية نفسها فإن العلاقة بين الطوائف يخلقها تخصص العمل العضوى وسلوك أعضاء الطوائف مع الطوائف الأخرى تحكم تقاليد قديمة راسخة ومعظمها تقرر أن الاختلاف أو الفارق الإجتماعى مانع كبير للزواج كما تتسم الطوائف بنظامها المتدرج فى المراتب .

ويعتقد الهندوس أن مجتمعهم كان مقسما أصـــلا إلى خمس مجموعات تدعى فارنوس (الملونين) : والثلاثة الأول منها وأكثرها أهمية كذلك هم البراهمة (وهم القساوسة والمتعلمون) والثانية هم الكشاترين (المحاربون والحكام) والثالثة هم الفيشيون (وهم التجار) . وهذه الطوائف كانت تعد مولودة مرتين والمجموعة الرابعة هى الطوائف الإستيطانية وهى أدمن من الطوائف السابقة ، ولكنها لا تعتبر من المنبوذين . والمجموعة الخامسة كانت تشمل على الطوائف المنبوذة . وفى قرية شامربت فإن النظام الحالى أكثر تعقيداً . فالطوائف الحديثة تنتظم فى نظام طباقى :

وكل الطوائف مغلقة على نفسها وكلها تعترف بهـــذا النظام الطبقى . وأكثر أشكال الإعتراف بهذه الطبقة هو رفض الشخص لأن يتناول طعام من يد أى عضو فى طائفة أدنى . ووضع كل فرد دائم وثابت ، فهو يولد فى طائفة معينة ولا يمكن أن يتغير وضعه إلى أعلى أو إلى أدنى . وكثيراً ما كانت تقسم الطوائف فى الماضى حتى أن بعض الطوائف أصبحت أقساماً مغلقة على نفسها أعلى أو أدنى فى الأقسام الأخرى .. ولا يتزوج عضو فى قسم من نفس القسم الذى ينتمى إليه دائماً يجب أن يتزوج من قسم مختلف .

ويقدم أعضاء الطوائف خدماتهم دون انتظار عائد مباشر . فهذه الخدمات

تعد واجبا على الطـائفة كما أن الطـائفة الأخرى سوف تردها يوما ما . فالمزارع مثلا يحصل على أدوات جديدة كل فترة من النجار ، وأوانى فخارية من الفخار ويحلق له الحلاق ، إلى آخره ، ثم يقوم بدفع كل هذا بعد حصـــاد عامين من محصوله . وترسخ العلاقات المهنية بين الأفراد وتصبح تقليدية عبر أجيال الأسرة فى الغالب . والذين يحتاجون خدمات مؤقتة من صاحب حرفة عليه أن يدفع مقدما ولسوف يجد القرويين الفريق لايتعاملون بالنقد بقانون فى أجورهم .

وأما مجتمع المسلمين فى القرية فليس فيه طوائف ولا طبقات . وهم عادة يتمتعون بدخل مرتفع كما أن حكام مدينة حيدر أباد كانوا مسلمين حتى وقت قريب وهم يفخرون بأنفسهم . وأكثر المسلمين يشتغلون بالتجارة وآخرون من أثرياء المزارعين . وأما الهندوس فلهم ديانة أكثر قـــدما ويشعرون بالتفوق على المسلمين . وحتى عام ١٩٤٨ كان للمسلمين سند فى الدولة ولكن بعد أن انتهى حكم المسلمين بدأ الهندوس يظهرون احتقارهم الصريح للمسلمين ولكن هذا الاتجاه خفت مدته بعد أعوام قليلة من ذلك رغم أن المجموعتين لاتزالان تؤمنان بتفوقهما الأصيل . وفيما يتعلق بالاقتصـــاد الاجتماعى فإن المسلمين يعتبرون نوعا من الطائفة تعادل بشكل ماطائفة الهندوس الزراعية ويسخر الهندوس من عادات المسلمين مثل عدم إلتفاتهم إلى التقـاليد الطائفية فى الزواج كزواج أبناء العم . كما يعتبر المسلمون متظاهرين بالنسبة للهندوس (يأكل المسلم أرزا حامضا فى بيته ويخرج يلعق شفتيه ويدعى أنه أكل أرزا محمرا ولحما شهيا) كما ينظر المسلمين إلى الهندوس أنهم جبناء وحقراء .

والتنظيم السياسى للدولة يتمثل فى حالتين متميزتين تماما . إحدى الطائفتين هى التى تنبثق من القرية ذاتها وتقرر أكثر شئون القرية العادية اجتماعيا ودينيا .

والمجموعة الثانية هى ستة من الممثلين للحكومة الهندية وهم مسئولون عن جمع الضرائب والسجلات الرسمية والبوليس ، وأهم هؤلاء الممثلين من وجة نظر القرويين هو (الباتوارى) لأنه المسئول عن سجلات الأرض والعوائد . كما تعين الحكومة مجموعة من أربعه عشرة عاملا يقومون بالأعمال اليدوية الخاصة بالقرية ، وعلى رأس المجموعة المحليـــة من الموظفين هو رئيس القرية وهذا الشخص هو أغنى فرد فى القرية وهو يتوارث الوظيفة عن أجداده . وإن لم تعد له نفس السلطات القديمة فأنه لا زال يتمتع بتأثيره العظيم فى فض المنازعات فى القرية . وعادة فإنه لا يتخذ قراراته الهامة بطريقة تعسفية ، ولكنه يستثير مجلس القرية الذى هو أهم أعضاءه ، ويتكون المجلس من أكثر الأشخاص ثراء وتأثيرا فى القرية وزعماء الطوائف المختلفة والجمـــاعات الدينية وهو يشتمل على سبعة وعشرون عضوا . واختصاصات المجلس متنوعة فهو يساعد الرئيس على فض المنازعات التى لا تعرض على المحاكم الحكومية . وينظم احتفـالات القرية ويبادر دائما بتخطيط مشروعات تنمية المجتمع وبالرغم من أن هنـــاك عصبيات متعارضة كثيرة تعارض أى قرار فإن الأقلية دائما ماترضخ فى سبيل تماسك المجتمع . كما أن الطوائف تقوم بالقسم الأعظم فى عملية الضغط الاجتماعى . فكل طائفة ترتبط بالطائفة المماثلة لها فى مناطق أخرى فى حفظ تقاليد الطائفة وكل طائفة بالقرية لها رئيسها المتوارث الذى ينفذ قواعد السلوك التقليدية . وأى خروج من هذه التقاليد فإنه يحاسب صاحبه بينما تعرض الحالات الأكثر خطرا على مجلس القرية .

والوضع الاجتماعى للأفراد يتقرر بانتمائهم الطائفى ، ورغم ذلك فإنه يمكن الصعود فى السلم الاجتماعى إذا أحرز قدر من الثراء ، فمثلا أحد الفلاحين المنبوذين أصبح مزارعاً غنياً فى القرية وصار مشهوراً . وهو يشغل مركزاً مؤثراً فيها .

رغم أنه لا يزال يحترم تلك الطوائف الأعلى منه ورغم أنه لا يزال منبوذاً إلا أن صوته فى المجلس له نفوذه . ويتأثر التمييز الطبقى كذلك بالسن فكبار السن أكثر احتراما ولهم من السلطات ما ليس للشباب ، وكذلك فإن المراكز العليا فى الطائفة ذاتها تتحدد بإحراز مهارات معينة وسمات شخصية معينه ، فالقدرة على التحدث والبلاغة ميزة عظيمة كما أن خفة الدم تلاقى تقديراً عظيما . وينال التعليم أهمية متزايدة فى الوقت الحاضر ، فالتعليم يتيح للفرد فرصة العمل فى الحكومة وينال حقوقه فى العالم الحديث . وفى عامى ١٩٥١ — ١٩٥٢ على كل حال لم يكن أهل القرية ينالون أكثر من أربع سنوات من التعليم .

وعلى كل مستوى فان الرجال يحتلون مكانة أعلى من النساء ، وبصفة خاصة فى الشئون العامة . فالرجال يحتلون كل الوظائف السياسية . ويقتصر عمل النساء على الشئون المنزلية . والوظائف التى يحتلونها فى الشئون العامة غالبا ما تكون غير مباشرة وثانوية . والتقسيم الجنسى للعمل صارم فلا يمكن أن يقوم الرجل بالكنس أو الطبخ أو جلب الماء . كما لا يمكن أن تقوم المرأة بالحرث أو تبيع فى السوق ، رغم أن العوانس والأرامل يستطعن أن يقوموا بأعمال الرجال .

وأنماط الملكية الزراعية تكشف تميزا كبيرا . فمن بين الثلاثة آلاف فدان تمتلك أسرة واحدة ربعها . وتمتلك كل أسرة من ثمان أسر مائة فدان، وعشرون عائلة تمتلك كل منها أربعين فدانا، وستون عائلة تمتلك كل منها خمسة أفدنة وهناك حوالى مائة وعشرون أسرة لا تمتلك شيئاً وحوالى مائة وعشر أخرى تمتلك أقل من خمسة أفدنة . ولابد أن يعمل كل عضو من هذه الأسر كعامل زراعى أو بالمشاركة مع مالك .

وطالما كان الاب حيا فان الاسرة تشترك فى ملكية الارض والعمل فيها .

وحين يموت الاب فان الارض والمواشي والأدوات توزع بالتساوى بين الأبناء ولعل هذا هو السبب فى ضآلة الملكية لدى عدد كبير من السكان . ولا يبيعون الأرض إلا فى الضرورة القصوى ، وحين يحدث هذا فان كل الأسرة تعلن الحداد. والأرض بالنسبة للفلاح الهندى هى الأم وفراقها يشبه خسارة أسرية . وهم يعاملون المـــاشية كأنها أعضاء فى الأسرة وموت أحـــدها أو بيعها يسبب حزناً شديداً .

ووحدة الاسرة العادية فى شامربت هى من خلال الاباء والابناء ، اذ يتصل السكن عن طريق وراثه الابناء . ونظريا فان على الابناء أن يعيشوا فى نفس المنزل لكى يخرجوا جيلا جديدا مهما كان عـددهم كبيرا . ولـكن هـذه الأسرة المشتركة لاتنتشر كثيرا على كل حال ، وبصفة خاصة بـين الأسر الفقيرة ، لأن الأرض الضيقة بانتاجها الضئيل لاتستطيع أن تكفيهم ، وكثيرا ما تنشب المشاجرات عند انفصال الأسر المشتركة . ولـكن الخصومة لاتستمر طويلا لأن أفراد المشتركة يجدون أن عليهم أن يشتركوا فى أمور كثيرة. فالأعياد والاحتفالات والطقوس التى تتعلق بأمور الحياة الهامة كالميلاد والزواج والموت .

ويعد مولد طفل مناسبة هامة يحتفل بها احتفالا كبيرا خاصة إذا كان الطفل الأول للزوجين . وهم يفضلون الاولاد بصفة تقليدية . وأما البنت فليست ذات أهمية كبيرة لانها سوف تنتقل إلى أسرة أخرى بعد الزواج . ولـكن فى التعامل اليومى فلا يبدو أن السكان يعطون حباً أكـــبر للأولاد . وعند الولادة فانه يعتقد أن الأم وأقرب النساء اليها غير طاهرات .

وفى اليوم الثالث أو الخامس فأن طقوسا معينة تقام لتطهر أعضاء الاسرة جميعا ما عدا الام . وفى اليوم الواحد والعشرين أو الثلاثين فى بعض الطوائف

يختارون للوليد إسما ويحلقون رأسه ويضعوه فى مهده. وتستحم الام لمصاحبة بعض الطقوس حتى تصبح طاهرة مرة أخرى . ويصحب هذا الاحتفال وغناء يشارك فيه الاصدقاء والاقارب . وتشارك كما جرت التقاليد بعض الطوائف المهنية فى هذا الاحتفال ويتنبأ البراهمة للولد بمستقبله وتقوم زوجات الحلاقين بدور الداية بالنسبة للطوائف النظيفة ، ويتولى الغسالون أمر الملابس والفراش .

ويلاقى الاطفال عناية كبيرة من قبل الام ، فهى ترعاه كلما طلب ذلك ، كما أنه محل اهتمام جميع أعضاء الاسرة وأحيانا يطعم الوليد لبن الام حتى سن الرابعة أو الخامسة ثم يفقد الطفل الاهتمام فى الخامسة تماما .

ففى هذا الوقت يمكن أن تكون الام قد ولدت طفلا آخر ، ويدفع الغلام فى سن الخامسة لكى يلهو مع أقرانه وتبدأ الاسرة فى تعليمه السلوك الطيب من الخبيث. ويتزايد سلطان الاب يوما بعد يوم ويتزايد احترام الابن له كلما كبر. وتهتم الام بالدرجة الاولى بتدريب بناتها وبصفة خاصته تعلمهم لمواجهة المشاكل التى سيلاقينها بعد زواجهن .

وبداية البلوغ الجنسى تمثل تغيرا بارزا . وأول دورة شهرية للفتاة تقام لها الاحتفالات والطقوس . تعزل حتى انتهاء الفترة ثم تغتسل وتلبس ثيابا جديدة وتظل الاسرة تقيم العبادات للالهة الذهبية فى البيت ثم تأخذ مجموعة من النساء الفتاة ويكملن الطقوس عند ضريح الاسرة.وهذا الإحتفال يعلن أنها قد أصبحت أمرأة وأنها قادرة على الزواج . وأما بالنسبة للغلمان فان بلوغهم يأتى تدريجيا ولا يحتفل بتغيرهم الجنسى مثلما يفعل للفتيات .

وعند البلوغ يجب أن يتزوج الشاب . ويتم الزواج عن طريق التفاوض بين الأسر المعنية دون الرجوع إلى رغبة الشباب . وقد حدثت عدة حروب عاطفية

ولكنها تعتبر خروجا على القواعد المتواضعة . وأفضل زواج هو بين أبناء العم ولكنها لا تحدث كثيرا على كل حال . وفى كل الحالات يجب أن يتزوج الشاب فتاة من خارج قريته . وفى كل حالات الزواج تقريبا يجب أن توفر أسرة الزوجة زوجة .

وتختلف طقوس الزواج من طائفة لأخرى ولكن أثر السنسكرتيه واضح فيها جميعا . فيبدأ والد الزوج فى المفاوضة وتقام حفلة الزواج فى بيت العروس . وإذا كان الزواج فى قرية غريبة فعلى أسرة الزوجة أن توفر بيتا لإقامة أقارب العريس . وفى أول يوم يعد عشاء كبير ترحيبا بالضيوف ثم يقام الزواج فى اليوم التالى . وأول طقس هو عبادة اله الأسرة والذى يشترك فيه العريس والعروس . وأهم طقس هو « لاجنام » الذى ينشر فيه البراهمة أشعارهم ويضع العريس عقدا من الحب الأسود حول عنق العروس ويضع الخواتم على أصابع قدميها الصغيرة . وآخر طقس فى الزواج هو جلوس العريس والعروس بين دخان البخور والنار المتصاعدة حينما يرتل الكاهن أشعاره المقدسة . ثم تقام طقوس ثانوية أخرى وأخيرا تودع العروس مع عريسها وأهله بين أغانى المراق الحزينة .

وطبقا للتقاليد فإن إرادة الزوج مطاعة لأنه سيد زوجته وهى خادمه المخلص المطيع . وأى انسان فى شامربت يقول أن هذا هو المفروض ولكن الواقع يختلف شيئا . وفى السنوات الأولى من الزواج فإن استقلال الزوجة يكون أقل منه بعد سنوات حين تربى البنات وتشارك بدور حاسم فى إداره البيت .

وإذا كانت تعيش فى أسرة مشتركة مع حماها وحماتها فإن وضعها يكون قلقا شيئا ما ، وذلك يرجع إلى إصرار الحماة على أن تكون الزوجة خاضعة طبقا

للتقاليد . ولكن كثيرا ما يتوق الزوجان الحديثان إلى الإستقلال ببيت لهما ، وكثيرا ما ينقلان ذلك حين تسمح لهم قدرتهم المالية .

وعلى غير ما يعتقد كثير من القبائل فإن الهندوسي والمسلمون يعتقدون أن الموت يحدث بسبب أسباب عضوية . ولكن فى حالات الوفاة الشاذة ينسبون أسباب الموت إلى قوى خارقة كالسحر أو غضب الآلهة . وفى مجتمع الهندوس يمارس حرق جثة الميت ودفنه . ويدفن الأطفال عادة عند البراهمة البالغين وبصفة عامـــة ، فإن المعمرون والأثرياء من الناس يحرقون بينما يكتفى المتبنون بالدفن .

وحين يتوفى شخص فإن الخبر يرسل إلى الأصدقاء والأقارب وتغسل الجثة وتكفن وتربط فى نعش من الخشب يغطى بالقماش ويزين بالأزهار . وتصحب فرقة موسيقية النعش إلى المدفن أو أرض المحرقه . وقبل أن يوضع النعش فى المحرقة أو القبر فإن أكبر الورثه يرش الماء حول المحرقة أو القبر ثلاث مرات . ثم يشعل أحـد الأقارب النار أو إذا كان يدفن فإن كل الأقارب يشاركون فى وضعه فى القبر . وفى طريق عودتهم فإنهم يأخذون حماما تطهيريا فى الطريق . وإذا حدثت الوفاة فى موعـــد طيب فإنه يعتقد أن الروح سوف تصعد إلى خالقها فورا ، وأما غير ذلك فإنها سوف تحلق فوق البيت لمدة أحد عشر أو ثلاثة عشر يوما .

وفى اليوم الثالث للوفاة فإن البيت يطهر بتنظيفة وغسل كل الثياب والفراش والتخلص من أدوات المطبخ كلها . وفى اليوم الحادى عشر أو الثالث عشر يقدمون الطعام والمـــاء للروح ويحلق الأقارب شعورهم ويستحمون ويقيمون احتفالا أخيرا . وبين الطوائف السامية فإنهم يجمعون الطعام المحروقة

وينثرونها فى نهر مقدس . وفى بعض الحالات فإن الأسر الغنية تأخذ العظام إلى نهر الجانج أقدس نهر فى الهند . وفى العيد التالى للقرية فإن الأسرة تقيم احتفالا للروح حتى تستقر فى ضريح الأسرة مع باقى أرواح الجدود .

وأشكال الوفاة الشاذة مثل حادث مروع أو كارثة ، تفسر على أنها عن عمل القوى الخارقة . فربما تعادى أرواح الجدود أقاربها الأحياء ، وربما تنتقم آلهة القريه من المعتدين عليها ، وربما تكون نجـــوم النحس سببا فى الكوارث . والكاهن البراهمى هو الذى يستطيع أن يصف الدواء لهـذه الكوارث . فأرواح الاجداد تسترضى بالاعتذار والصلاة لها . وآلهة القرية عاده ما تطلب التضحية باحدى الماعز أو الغنم . وأما إذا كانت النجوم هى الغاضبة فإن الصوم وإقامة الطقوس هى السبيل . وعاده ما يستشار الكاهن قبل زراعـة محصول ما إذا كانت النجوم تباركه أم لا .

وأما السحر والاشباح الشريره فتحتاج خطوات أكثر حسما . وكما يعتقد فى كثير من أنحاء العالم فإن للساحر لغة خاصة به ولا يمكن ان يعرف ، وان كان الناس يستطيعون ان يخمنوا من فاعل الشر ، واما الاشباح فهى اكثر صعوبه ، والسبيل الوحيد هو تجنبها ، ولكن بعضها امكن « ترويضه » واصبح فى خدمة اشخاص معينين . وهم يظنون ان الاشباح هى ارواح انتقام لبعض الاشخاص الذين لم يكونوا راضين ساعة موتهم . والنساء الحوامل ، والذين ينتحرون والاشخاص الذين يموتون وهم يكرهون شخصا ما والذين يغتالون فى شبابهم والغارقون يمكن ان يصبحوا اشباحا بعد الموت .

ومعظم المشكلات اليومية التى تصادف الناس فى حياتهم وتتطلب مساعدة القوى الخارقة يصلون ويقيمون الطقوس من أجل حلها ويضحون لروح الأجداد

أو الالهة . وأكثر هذه الطقوس شيوعا هى الصوم فى أحد الأيام أو القدر بالصوم فى يوم قادم إذا تحققت رغبة أو قضيت حاجة .

والديانة الهندوسية هى مجموعة هائلة ومتنوعة من العناصر المتباينه .فبالاضافة إلى المعتقدات الفولكلورية فى الأشباح وأرواح الأجداد والشياطين نجد تراث هائلا من المعتقدات فى الآلهة والالهات والصلوات والطقوس والاحتفالات . وبالاضافة إلى ذلك نجد أن الأشخاص والأسر والطوائف الخاصة تكون جماعات دينية مستقلة فى كل مجتمع . وأما الاسلام فانه على عكس هذا الكم المتضارب والمفكك . فالمسلمون فى شامربت ينتسبون إلى المذهب السنى ويتبعون تعاليم السنية كما وجدت فى القرآن .

وفيما عدا البراهمة فليس للهندوس وقت معين للعبادة ، ولايزور المعبد فى القرية يوميا الإعدد ضئيل . فهم لايلجأون إلى الالهة إلا فى أوقات الشدة وأثناء احتفالات القرية وكما يوجد فى شامربت فان الهندوسية ليست نظاما كلاسيكيا ثابتا ولكنه دين آلى يتمثل فى الصوم والأعياد والاحتفالات والطقوس المعروفة لمواجهة الاوقات الحرجة فى الحياة . فهو دين عملى أكثر منه دين روحى .

والاحتفالات الدينية تنقسم إلى ثلاثة أنواع : احتفالات أسرية ، احتفالات طائفية احتفالات قروية . والاحتفالات الطائفية والاسرية عديدة ومتنوعة ولايمكن وصفها هنا بالتفصيل . وأما احتفالات القرية فاقل عددا ولكنها أكثر بروزا فى حياة المجتمع إذ يشارك فيها الجميع بما فيهم المسلمون ولعل أهم الاحتفالات السنوية هو الذى يقام لبوخاما وهى الهة الجدرى .ولايؤمن المسلمون بآلهة الديانة الهندوسيةولكنهم يخافون من آلهة القرية المحليين مثلهم مثل بقية أهل القرية ولذلك فهم يشاركون فى الاحتفال .

وتبدأ الاستعدادات مبكرة فى أول اليوم . فتأخذ كل أسرة إناء جديد من الفخار وتزينه بألوان جميلة وتملأ بالارز كقربان للآلهة . ويدور كاهن فى نفس الوقت فى أنحاء القرية ليجمع الارز والزيت من جميع من بالقرية . وقبل أن يبدأ وقت الاحتفال تبدأ جماعة المادیجان فی دق الطبول لجمع الناس لمكان وسط فى القرية وحين يأتى الجميع حاملين أوانيهم من الارز (يونام) فان الموكب يسير وراء الطبالين خلال القرية . وكلما اقترب الموكب من ضريح الالهة تلبس روحها بعض الناس ويروجون فى غيبوبة . وفى الضريح يقدم الكاهن إلى الإلهة قربان الارز الذى قدمته القرية . ثم يقدم القربان الفردى الذى يقدم كل شخص إلى الإلهة فى ترتيب حسب درجة كل طائفة ودرجة كل أسرة داخل الطائفة . واختيار الكاهن للامر دائما مايثير عدادات ومشاكل كثيرة . وتقدم طائفة الرعاة الماعز والاغنام قربانا للآلهة نيابة عن القرية كلها كما يفعل الافراد عن أسرهم . وتترك رؤوس الحيوانات وأرجلها فى الضريح ولكن الارز واللحم يؤخذ إلى البيوت لإقامة العزائم .

وايمان الهندوس بالثلاث وهوم لله المنتشر فى الهند موجود كذلك فى شامربت فالاله براهما هو الخالق وفشنو هو الذى يحافظ على الكون وشيفا هو الذى يدمر وياما وكريشنا هى آلهة أخرى ، كما توجد المعتقدات الهندوسة الهامة فى طباع القرويين المميزة . وأحد هذه المعتقدات هو معتقد الكارما ، وهو معناه أن مصير الإنسان فى الاخرة يعتمد على أفعاله فى الدينا . وهذا معناه الظاهرى أن الانسان يجب أن يختار لنفسه وأنه مخير . ولكن يلازم هذا الاعتقاد فكره أخرى هى أن أفعال الانسان فى الماضى تحكم شخصيته فى الحاضر وكثيرا ما تجدهم يقولون مثلا ما قــــدر لنا يجب أن نراه ، ولاراد لقضاء الله وما قدره الله لابد محتوم . ولكن هـــذه المعتقدات بطبيعة الحال لا تمنع الناس من محاولة حل

مشاكلهم ولكنها تبرر روح التسليم التي تنتابهم حين يعجزون عن حلها .

وتناسخ الارواح وتوالدها تكون إيمان راسخ عند الهندوس، فالحياة عملية مترابطة من الوجود لاتنتهى . والشخص الذى يسلك مسلكا طيبا فسوف يدخل الجنة أو يولد فى طائفة أفضل مره أخرى . أما الذى يسلك مسلكا خبيثا فسيذهب إلى النار أو يولد فى طائفة أدنى مرة أخـــرى ، أو إذا كان مسلكه لايغتفر فسيولد فى جنس من أجناس الحيوانات الدنيا .

وتتسم مفاهيم القرويين عن الجنة والنار بالوضوح . فالجنة مكان السعادة فكل من فى الجنة ينالون ما يتمنون فى الحال . وكل الناس فى الجنة يعيشون فى القصور الفاخرة حيث يقوم على خدمتهم جيوش من الخدم . وهناك يأكلون أشهى الطعام وما لذ وطاب وقد قال أحد المنبوذين أنه يعتقد أن فى الجنة تستطيع أن نجد ماتريد من الارز والحلوى .لانه ليس هناك من الموظفين من يسىء اليك أو ينهرك. والنار على العكس من ذلك مكان مفزع ولكنها ليست مستقر الشيطان الذى يدفع الانسان إلى المعصية فالنار تحتوى على مئات من الغرف ، تتدرج فى الرعب اكثر واكثر ، ويتولى زبانية الله نقل الانسان العاصى من كل غرفة مفزعة إلى أخرى أكثر فزعا .

وتختلف الهندوسية عن المسيحية والإســـلام فى جوانب كثيرة . فالهندوس فى شامربت يعيشون فى وئام مع المسلمين، فرغم شعورهم بالتفرقة فانهم لا يرسلون الأرساليات لهداية الكفرة ولا يضطهدونهم فالديانة نفسها تتكون من خليط عجيب من الآلهة والمعتقدات والعادات والطقوس المحلية. ولو كان المسلمون أقل تمسكا بدينهم لذابوا فى الهندوسية وأصبحوا من مجموعة من تلك المجموعات الكثيرة التي تدخل فى الهندوسية .

ولكن الهندوسية تهتم اهتماما كبيرا بالسلوك الأخلاق ، رغم الاستعداد لتقبل آلهه ومعتقدات جديدة . والفعل الطيب الذى يضمن حياة سعيدة فى الآخرة يسمى « دارما » . والدارما هو الفعل الذى يرعى التقاليد والموروثات ومراعات الصوم والأعياد والحج والاستحمام الطقوس واجتناب ما يدنس المرء . وهناك أنواع من المحرمات خاصة ببعض الطوائف وبعض الأفعال كالزنا والقتل والعنف يبغضها المجتمع كله . والدارما هى الحض على الصواب والنهى عن المعصية .

وتوصف الهند دائما بأنها بلد التسليم بالقدر وعدم الشعور بالزمن ، ولكن سياسه الهند الحالية ، خصوصا سياستها الذرية المستقلة ، تدل على التغير الجذرى الذى أصاب الهند ، ولكن ما الذى يحدث فى مجتمع صغير كقريه شامربت ؟

أولا يجب أن نعى أن التغيرات التى تحدث فى الهند كدولة قد بدأت قبل الحرب العالمية الثانية وثورة المستعمرات . فلقد كانت الهند معبر الكثير من الثقافات والتأثيرات الإقتصادية والغزو . وما قبل التاريخ يحتمل أن الحضارات العظيمة لنهر السند مثل حضارة موهنجودورا كانت بايدى المهاجرين . وكانت غزوات الفدا أكثرها بروزا ، ولكنها كانت قليلا من كثيرة ومن الغزوات المعروفة فإن غزوة الاسكندر الأكبر كانت ذو أثر محدود ، ولكن بعد القرن الثانى عشر فأن تدخل المسلمين وتغلغهم فيما عرف بامبراطورية المغولية كان له آثر ثقافى وسياسى يمتد حتى يومنا هذا فى مجتمع محدود مثل قرية شامربت .

وقدحدث تأثير آخر وكان من الغرب هذه المرة بسبب الغزو لبرتغالى لجوا عام ١٥١٠ ، ثم توالت المنافسه بين بريطانيا والمانيا وفرنسا الاستيلاء على اقتصاد الهند . ثم قامت الامبراطورية البريطانية فى الهند عام ١٧٥٧ .

ولقد أثر الحكم البريطانى الطويل علي جوانب كثيرة فى الثقافة الهندية القوميه

وبخاصة فى القانون والإقتصاد والحكم . ومنذ انسحاب البريطانين وتقسيم الهند فى عام ١٩٤٧ إلى باكستان مسلمة وهندوسية فأن كثيرا من التوتر والمشاكل قد قامت بسبب المشاكل بين الهندوس والمسلمين فى شبه الجزيرة وبسبب التغيرات الإجتماعية التى تحدث مناطق كثيرة من العالم كانت تعتمد على غيرها .

وأما شامربت نفسها فقد كانت جزءا من دولة شبه مستقلة هى حيدر اباد ولم تتأثر كثيرا بالحكم الأنجليزى أو بحركة الإستقلال الوطنية ، وبالذات أثر غاندى وحزب المؤتمر . وأكثر الحركات السياسية أهمية هى حركة القضاء على الأقطاع الزراعى فى عام ١٩٤٨ ، حين أصبحت حيدر آباد جزءا من الاتحاد الفيدرالى وانتهى تميز المسلمين فيها ، وأصبح الناس يتقبلون مظاهر التغيير فى الحكم وفى أنشطة الرخاء وبرامج التنمية الزراعية فى شامربت .

وفى عام ١٩٥١ ذهب الناس للانتخابات لأول مرة فى التاريخ . وذلك ليختاروا ممثليهم فى البرلمان الوطنى والهيئة التشريعية .

ولقد تحسن الإتصال بالمدينة فى الأعوام الأخيرة - فبالاضافة للعربات التى تجرها الثيران هناك سيارة فورد موديل ١٩٢٨ يملكها رئيس القرية ، وعشر دراجات وأتوبيسات . ورأى الناس السينما والسيرك فى المدينة . ويملك الناس الفوتوجراف وهناك جهاز راديو حديث . والشباب يرتدى الزى الأوربى الحديث . كما يملك بعض الناس أقلام الحبر والنظارات الشمسية والأمواس الحديثة والكشافات .

وتصاحب هذه التغيرات الملموسة بعض المبتكرات الاقتصادية الخالصة . فالثياب المنسوجة على الآلات مثل محل النسيج المحلى . فنادرا ما ترى الناس يعملون بالنسيج الذى كان فى الماضى هو النشاط الوحيد لقضاء وقت الفراغ .

ويستعمل الحلاقون والنجارون والحدادون والصاغة الآلات الحديثة . وهذا يستدعى كثيرا من المال ومما أدى إلى زيادة الفلاحين لنشاطهم وبيعهم المحصول بالنقد ، وهم يحاولون زيادة المحصول باستخدام بذور محسنة وسماد كيماوى . ولكن لم يطرأ تغيير كبير على أدوات الزراعة وربما يكون مرجعه إلى ضيق ذات اليد .

والمفاهيم الحديثة للمرض وعلاجه بدأت تغزو المعتقدات القديمة التى كان يؤمن بها أهل قرية شامربت . ومن المؤكد أن معظم الناس لا يزالون يعتقدون أن الكوليرا والجدرى سببها الآلهتين ولكنهم لم يعودوا يفرون هربا من سيارات التطعيم الحكومية ، وهم يبحثون عن التطعيم بلهف مما يعد سابقة غريبة بالنسبة للقرى فى جميع أنحاء العالم . فالقرويون فى جميع أنحاء العالم لا يزالون يستخدمون السحر والتراتيم والطقوس الشعبية ضد الأمراض . وأهل شامربت أيضا لم يتخلوا عن هذه الأساليب تماما ، ولكنهم لم يعودوا ينظرون إليها على أنها بديل للعلم ومضادة له ، وعادة فإنهم يجربون الأساليب القديمة أولا ثم يلجأون إلى الأساليب العلمية أو يذهبون إلى مستشفيات المدينة حين تفشل الأولى

والتنظيم الإجتماعى متمثلا فى العلاقات الأسرية والطائفية يتغير تغيرا طفيفا ، وإن كان نظام الطوائف لم ينته بعد . فبعض المهن التى لا يمكن أن تندرج تحت نظام الطائفة وبعض المرونة الاقتصادية والاجتماعية قد جعلت من الممكن أن يتجاهل بعض الناس قوانين الطوائف الصارمة . ولقد ألغى الدستور الهندى نظام المنبوذين ، ورغم أنه لا يزال موجودا فى شامربت فسوف ينتهى منها بالتأكيد فى القريب .

ولكن الجزئيات البسيطة التى تعبر عن دخول الحداثة إلى الحياة اليومية فى شامربت قليلة حتى الآن ولاتبلغ من الثقل حدا يجعلها تؤثر على البنيان الاجتماعى والعادات الريفية . فلازال العالم محدودا بحدود القرية بالنسبة لأهل شامربت . والتاريخ عندهم هو مجموعة الأساطير الطائفية ، ويبدو أن التقاليد والمؤسسات الاجتماعية يظنون أنها نشأت مع نشأة البشرية على الأرض . والشعور الوطنى لا يزال مبهما لا يعرفونه فلا يكادون يعرفون أسماء الهائتها غاندى وجواهر لال نهرو .

وفى مقابل الأخلاقيات الحديثة للعالم الغربى والتى تسعى إلى السيطرة على الطبيعة ، فإن العنصر الأساسى فى فكر أهل القرية هو تكيف الفرد مع الكون والمجتمع الذى يمثل جزءا من الكون ، وهذا هو الدارما . وحين يحدث أمر جلل فإنه يعزى إلى القدر لا إلى سبب إحصائى ما ، وكل أشكال العلاقات الفرديه والجمعيه تتدرج فى نظام تصاعدى .وأ كثر هذه الأشكال وضوحا هو نظام الطائفه ولكن نفس النظام ينسحب على الأشياء والحيوانات وحتى الأطعمه . ورغم أن التغييرات الحديثه تخففمن حدة تعصب السيد ضد أحد المنبوذين فإن فكرة السيادة والخضوع لا تزال راسخه بشكل جورى .

ولا تزال المفاهيم الفردية الحديثه عن حقوق الإنسان والمساواة غير مفهومه لدى أهل القرية . ففى الخمسينات لو كان لأهل القرية أن يختاروا بين التقدم والتقاليد لاختاروا التقاليد بطريقه آليه . فالتقاليد هى السبيل الصحيح وأى خروج عنها يعد خروجا إلى طريق مجهول . ولكن هذه المبادىء النظريه ولعل الخروج عليها ليس ضربا من المستحيل . فالأفراد فى شامربت الان يتقبلون ما تنتجه الحضارة الحديثه ، وكلما زادت سرعه التغييرات فى الهند الحضرية فلسوف تصبح آثارها أكثر وضوحا فى شامربت .

أهم مراجع الباب الرابع

1 — Coon, C.S., Tribes of the rif, Harvard African studies, Cambridge Vol. 9., 1931

2 — ————————, North afica, in R. Linton (ed.), Most of the world, New York, 1949.

3 — ————————, Caravan : The story of the Middle East, New York, 1951.

4 — Neakin, B., The Moors, London, 1962.

5 — Westermarch, E.A., Ritual and belief in Morocco, london, 1926.

1 — Dube, S.C., indian Village, London, 1955.

2 — Hutton, J.H., Caste in andia, Cambridge, 1946.

3 — Rawlinson, H.G., india : Ashort cultural history, N.Y., 1938.

الفهـــــرس

رقم الصفحه

رقم الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

فهرس الأشكال